الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاحي

٥

رحلة تدبر

في رحاب القرآن

الجزء الثاني

من سورة المائدة إلى سورة التوبة

دار القلم
دمشق

رحلة تدبر

في رحاب القرآن

٢

دار القلم
دمشق

أسَّسَها:
محمد علي دولة رحمه الله تعالى
سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

حقوق الطبع محفوظة

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

ISBN: 978-9933-29-328-4

9 789933 293284

رِحلة تدبُّر

في رِحابِ القرآنِ

الجزءُ الثَّاني

مِنْ سُورةِ المائدةِ إلى سُورةِ التَّوبةِ

الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاحي

دار القلم
دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ المَائِدَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ
الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ
وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ
الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

التفسير

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ أتمُّوا العقود التي بينكم وبين الله تعالى، وبينكم وبين الخلق ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ أي الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه منها ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ إلَّا

الصيد إذا كنتم محرمين فلا يحل لكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾ يشرع من الأحكام ما يشاء.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ ارعوا حرماته التي أمركم بتعظيمها، ويدخل في ذلك الإحرام ومحرمات الحرم ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ ولا تنتهكوا حرمته بالقتال في الأشهر الحرم وهي الأشهر الأربعة: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب ﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ﴾ ولا تستحلوا الهدي الذي يُهدى إلى بيت الله تعالى في حج أو عمرة ﴿وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ ولا تستحلّوا الهدي الذي له قلائد تُجْعَلُ في أعناقه؛ إظهاراً لشعائر الله تعالى وإعلاماً على أنه هدي ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ ولا تتعرضوا لقاصدي بيت الله تعالى، بسوء ممن ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ من المكاسب المباحة ﴿وَرِضۡوَٰنٗا﴾ ويريد مرضاة الله تعالى بحجٍّ أو عمرةٍ أو طوافٍ أو عبادة ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ﴾ من الإحرام أو خرجتم من الحرم ﴿فَٱصۡطَادُواْ﴾ فلا حرج عليكم في الاصطياد بعد ذلك ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ لا يحمِلنَّكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ﴾ بغضهم وعداوتهم ﴿أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ بصدهم لكم عن المسجد الحرام ﴿أَن تَعۡتَدُواْ﴾ عليهم ﴿وَتَعَاوَنُواْ﴾ فيما بينكم ﴿عَلَى ٱلۡبِرِّ﴾ وهو كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة ﴿وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ وتعاونوا على ترك كل ما يكرهه الله تعالى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ﴾ معصية الله تعالى ﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ التعدي على حقوق الله تعالى أو حقوق خلقه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾ لكل من عصاه.

التدبر

١ ـ الإسلام يرعى العقود والمواثيق التي تجري بين المخلوقين وخالقهم، وبينهم وبين بعضهم بعضاً، ويؤكّد على أهميتها وضرورة الوفاء بها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾.

٢ ـ سعة الشريعة ويسرها؛ إذ جعلت الأصل في الأشياء الحل، والتحريم عارض خلاف الأصل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾.

٣ ـ تعظيم حال الإحرام، وأنه ليس لباساً مجرداً، وإنما حالة يلتزم فيها العبد أمام ربه بتكاليف لم يكن مكلّفاً بها إلّا في تلك الحال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾.

٤ ـ لله تعالى حكم في كل ما يجري على الخلق، وليس لمخلوق مهما بلغ علمه أن يختار أو يتشهّى من دين الله تعالى ما يريد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾.

٥ ـ تعظيم شعائر الله تعالى هو السلوك العملي التطبيقي لممارسة العبادة التي شرعها الله تعالى كما أراد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن

تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾.

٦ - تأهيل الإنسان وتدريبه على القيام بحقوق الله تعالى، من خلال جملة من الشعائر العبادية، التي يظهر فيها تمسك الإنسان بدينه والحفاظ على شعائره ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾.

٧ - تحقيق العدل من أعظم القضايا التي جاءت بها الشريعة، والتي تقوم عليها مصالح العباد في الدارين ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾.

٨ - أياً كانت مواقف العدو السابقة معك، فلا يحل لك الاعتداء عليهم بجرائر الماضي، مهما كانت مؤثرة وكبيرة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾.

٩ - من الحيف والظلم أن تخاصم الناس بأخطائهم الماضية، وتحاصرهم بأفعالهم السابقة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ ترفَّقْ وأدر شأنك بعزم، وتجاوز عن أحداث الماضي، مهما بلغ أثرها في نفسك وواقعك.

١٠ - كثيرون من الذين وقفوا في طريق الدعوة بالأمس، وخاصموها، ووقفوا عقبات في طريق أمنياتها، جاؤوا اليوم يتبعون أثرها، ويدفعون بها إلى أمانيها.. ما ألذ الصبر! ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾.

١١ ـ النفوس التي لا تحسن العفو، ولا تتجاوز عن أخطاء الماضي، وتظل ترصد أخطاء القوم ولو بعد سنين، نفوس لا تفقه من دينها إلَّا الصور ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾.

١٢ ـ يأسرك موقف نبيك ﷺ وهو داخل للكعبة وهو يطأطئ رأسه، ويقول للذين وقفوا في طريقه وصنعوا العقبات دون أمانيه وطاردوه وآذوه حتى نزف الدماء: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[1].

١٣ ـ كن عضواً في ساحات البر والتقوى، وإياك أن تكون مشاركاً في ساحات الإثم والعدوان ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

١٤ ـ من توفيق الله تعالى لك أن تشارك في بناء كل فضيلة، وتحرص أن تكون عضواً في كل خير ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ ومن شؤم إنسان أن يشارك في مد مساحة المنكرات ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾.

١٥ ـ من سعادتك أن تأتي يوم القيامة وتجد لك في كل مساحة خير جهداً وبراً في كثير من القضايا التي ناصرتها، ووقفت عضداً للفضيلة فيها ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾.

١٦ ـ كم من إنسان يأتي يوم القيامة وفي صحائفه مواقف عاضد فيها المنكرات، ووقف نصيراً للباطل! ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾.

١٧ ـ لا تحتقر منكراً شاركت في بنائه وقيامه، فالله تعالى يتوعد في مواقف الجزاء ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

❀ ❀ ❀

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٢٣٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» رقم (١٦٨٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ
بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ
ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟
بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى
مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾
يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم
مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ
﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ
لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ
مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

التفسير

• ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ وهي: كل حيوان مات دون ذكاة ﴿وَٱلدَّمُ﴾ المسفوح ﴿وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ وهو: حيوان معروف ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ ذكر عليه اسم غير الله تعالى ﴿وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ﴾ وهي التي ماتت مخنوقة ﴿وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ﴾ وهي التي ضُرِبَتْ حتى ماتت ﴿وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ﴾ وهي التي سقطت من مكانٍ عالٍ حتى ماتت ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ وهي التي تنطحها دابة أخرى فتموت ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ الذي يفترس ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾ بأن أدركتم هذه الحيوانات وفيها حياة مستقرةٌ فذكيتموها ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ وهي كل ما يوضع للعبادة من حجر أو غيره، ويذبح له أو عنده ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ﴾ تطلبوا معرفة ما قسم لكم ﴿بِٱلۡأَزۡلَٰمِ﴾ وهي قداح ثلاثة يكتب في أحدها افعل، وفي الثاني لا تفعل، ولا يكتب في الثالث شيء، فإذا أراد أن يعرف حظه من زواج أو سفر ونحوه يفعل ذلك ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ هذه المحرمات ﴿فِسۡقٌ﴾ خروج عن طاعة الله تعالى. ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ الذي أتم الله تعالى فيه دينه ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾ حصل لهم اليأس من ترككم لدينكم ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾ فلا تخافوا من أهل الشرك ﴿وَٱخۡشَوۡنِ﴾ خافوا الله تعالى ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ يوم عرفة الذي أتم الله تعالى فيه هذا الدين ﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ كل ما تحتاجون إليه ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ الظاهرة والباطنة ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ اخترته واصطفيته لكم ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ ألجأته الضرورة إلى أكل شيء من المحرمات ﴿فِي مَخۡمَصَةٍ﴾ مجاعة ﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ﴾ مائل ﴿لِّإِثۡمٖ﴾ كأن يأكل من غير ضرورة، أو يأكل فوق ما يريد ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٞ ٣﴾ بالمؤمنين.

• ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ من الأطعمـة ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ وهي كلُّ ما فيه نفعٌ أو لذّةٌ دون ضررٍ على الإنسان في بدنه أو عقله ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ وأحل لكم ما علمتم من الجوارح وهي عموم الحيوانات القابلة للتعليم، وتعليمها بأن ترسل إذا استرسـلت، وتنزجر إذا انزجرت، وإذا أمسكت لم تأكل ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ معلِّمين ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من التعليم على الصيد ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ ممَّا أمسـكن مـن الصيد لأجلكم ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ علـى الجارح عند إرسـاله ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في فعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾

• ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ وهـي كل ما فيـه نفع أو لـذة دون ضرر على الإنسان في بدنه أو عقله ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿حِلٌّ لَّكُمْ﴾ حلالٌ للمسـلمين ﴿وَطَعَامُكُمْ﴾ أيها المسـلمون ﴿حِلٌّ لَّهُمْ﴾ لليهود والنصـارى ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الحرائـر العفيفات حلالٌ للمؤمنين ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الحرائـر العفيفات من أهل الكتاب ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ من اليهود والنصارى ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يُبحْنَ لكم إذا آتيتموهن مهورهـن ﴿مُحْصِنِينَ﴾ عفيفين ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ غير مجاهرين بالزنى ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ غير متخذين عشـيقات ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ بالله تعالى ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ بطل وضاع ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ الذين خسروا كل شيء.

التَّدَبُّر

١ـ عناية الشريعة بالإنسـان واهتمامها بحياته، ومنع كل ما يضر به في الحياة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ

وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

٢ ـ تحارب الشريعة الضَّررَ المعنويَّ كما تحارب في ذات الوقت الضَّرر الحسي، لا فرق ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ فالأول فيه ذهاب الأنفس، والثاني فيه ذهاب الأديان!

٣ ـ من أعظم النعم التي امتنَّ الله تعالى بها على عباده تمام دينهم ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

٤ ـ إذا رأيت من يبني صوراً للجمال من غير هذا الوحي فالفت نظره لهذا المعنى الكبير ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

٥ ـ لم يبق شيء يحتاج إليه الناس في واقعهم لم يصل إليهم بعدُ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ وكل دعوى تعارض ذلك فهي نفاق.

٦ ـ هذا الدين الذي نتعبد الله تعالى به لم يسنّه بشر، أو يكتبه نظام، وإنما رضيه لك الله تعالى ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

٧ ـ تكفي هذه الآيـة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ في صفع كل منافق ينعق بشهواته أمام مُحْكَمَات هذا الدين!

٨ ـ كل حلال في شـريعة الله تعالى فهو طيب، وكل حرام فيها فهو خبيث، وما عدا ذلك ممَّا يستحسنه الخلق فهو جزء من الأوهام التي أخذت حقَّها من واقع كثيرين ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾.

٩ ـ حتى الكلب؛ أنجس حيوان في الشـريعة إذا نال حظه من التعليم حل صيده وكان طيباً ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ ما أكثر آثار العلم في حياة أهله وأصحابه!

١٠ ـ التقوى ليست شيئاً خاصاً بما بينك وبين الله تعالى، بل هي حاضرة حتى في شـأنك الخاص ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ حتـى ما تصيده وتأكلـه بعد ذلك محاط بسياج الشريعة لا يحق لك أن تتجاوزها في شيء.

١١ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ حتى في أكلك، وصيدك، وتعاملك، وكل ما يجري في شأنك الخاص.

١٢ ـ حرص الإسـلام على الطهر والعفاف والنقـاء والفضيلة ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ حتـى فـي زواج الكتابيات، يجـب أن تكون صالحة لعش الزوجية، وإلَّا فلا مفروح بها.

١٣ ـ التحليل والتحريم شرع ودين، لا يحق التهوّك فيه بالجهل، وقد ينقل صاحبه من الإيمان للكفر ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْأَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

١٤ ـ الذين يمارسون الفواحش، لا يستحقون فضيلة الطهر والعفاف، التي يحرص عليها الإسلام من خلال الزواج ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْأَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٥)﴾.

❀ ❀ ❀

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ
وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ
أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا
فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾
وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم
بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ
شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ
أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

التفسير

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وأنتم محدثين ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ توضؤوا وضوءاً كاملاً ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا﴾ على جنابة من جماع أو إنزال ﴿فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ اغتسلوا بالماء ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ﴾ لا تقدرون على استعمال الماء ﴿أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ولم يكن معكم ماء للوضوء ﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾ البول ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ جامعتموهن ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ﴾ اقصدوا ﴿صَعِيدٗا﴾ وجه الأرض ﴿طَيِّبٗا﴾ طاهراً ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾ من التراب ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾ من ضيق ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ من الأوساخ والذنوب ﴿وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالترخص في التيمم عند عدم الماء ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ الله تعالى على فضله.

• ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالهداية للإسلام ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ عهده الذي أخذه عليكم، قيل: هو ما أخذه الله على بني آدم وهم في صُلْبِ أبيهم كالذر. وقيل: هو العهد الذي قطعه كل إنسان بالإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ ﴿إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ وقد قلتم: سمعنا وأطعنا، وذلك في ليلة العقبة مع رسول الله ﷺ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾ بما تنطوي عليه من أسرار وأفكار.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ أي قائمين بحقوقه ﴿شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ بالعدل ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ لا يحملنكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ﴾

بغضهم ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ بالحق ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ التي أمرتم بها من الله تعالى ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقايةً بفعلِ أوامره واجتنابِ نواهيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ لا يخفى عليه من ذلك شيء.

- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾ وجزاء كبير لأعمالهم الصالحة.

التَّدَبُّر

١ ـ جمال الشريعة وطهرها وأناقتها، فهي تحرص ألَّا يأتي الإنسان للطاعة إلَّا في أكمل صوره وأجمل معانيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾.

٢ ـ العبادات ليست صوراً مجرَّدة، وإنَّما معانٍ تستحق ألا يأتي إليها الإنسان إلَّا وهو في كامل أناقته وجماله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن

يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ هذا الوضوء ليس صورة، وإنَّما هو إزاحة لظلام الذنوب، والإتيان بك طاهراً من كل شيء.

٣ ـ اليسر، ورفع الحرج، والسعة، أصول ثابتة في شريعة الله تعالى ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وإن ديناً يحمل هذه المعاني لهو حقيق بالاحتفاء!

٤ ـ جهلة أولئك الذين يرون دين الله تعالى مجرد تكاليف لا غاية فيها ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٥ ـ الذين يريدون أن يتعرفوا على بعض مقاصد هذه الشريعة فليقرؤوا هذا المعنى بإمعان ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٦ ـ من تمام نعم الله تعالى عليك، ألَّا يحول بينك وبين شعائر دينه شيءٌ، تفعل منها وسعك، وتجري في فلك طاقتك وقدرتك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

٧ ـ كم مرة استوقفك هذا المعنى؟! ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وكم مرة أقبل بك على دين الله تعالى؟!

٨ـ الذين يدركون نعم الله تعالى بوعي، هم الذين يحسنون عبادة الشكر ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وما عداهم يفوتهم بفوات هذا المعنى شيء كثير.

٩ـ من مقاصد التيسير ورفع الحرج أن تقوم لله تعالى بحقه من الشكر والعرفان ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

١٠ـ إذا لم يستجلب هذا التيسير قلبك ومشاعرك وعواطفك لشكر ربك فاعلم أنه لم يأخذ من قلبك مداه ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

١١ـ العدل ناموس هذا الكون، وسراج ظلامه، ووتده الذي تدور عليه قضايا الإنسان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

١٢ـ إذا اختل هـذا الميزان في حياة فرد أو أسـرة أو مجتمع أو وطن وأمة فقد اختل كل شـيء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

١٣ـ حتى العدو الذي عاش يطاردك، وينتهز فرص الوقيعة بك، إذا دال الزمان عليه، فليس لك معه إلّا ميـزان العدل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ ما أعظم دين الله تعالى!

١٤ ـ قال ﷺ: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[١]، «فإنِّي لا أشهد على جور»[٢] التزاماً بمنهج العدالة، وتحقيقاً لمبادئ الإسلام الكبرى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

١٥ ـ هذا وعد الله تعالى لكم أيها المؤمنون فابقوا على ذات الطريق المستقيم ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾.

❀ ❀ ❀

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٤٧٥) ومسلم رقم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه مسلم رقم (٦٢٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ
ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ
فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ
إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ
وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا
حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ
ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا
نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ
يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا
ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ
فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾

التفسير

• ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله تعالى ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾ ملازمين لها، لا ينفكُّون عنها.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ اذكروا ما أنعم الله تعالى به عليكم ﴿إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ يبطشوا بكم ﴿فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ﴾ وقاكم شرَّهم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقايةً بفعلِ أوامرِهِ واجتنابِ نواهيه ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ فليعتمدوا عليه وليفوِّضوا أمورهم إليه.

• ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ عهداً وميثاقاً غليظاً ﴿وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗا﴾ رئيساً وعريفاً على قومه ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ﴾ لهؤلاء النقباء ﴿إِنِّي مَعَكُمۡ﴾ بالعون والنصر ﴿لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أديتموها كما أمرتكم ﴿وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لمستحقيها ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾ كلهم ﴿وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ﴾ عظَّمتموهم وقمتم بواجبهم ﴿وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ تصدقتم بأموالكم ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ لأمحونّ خطاياكم ومعاصيكم ﴿وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ يوم القيامة ﴿فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ﴾ من بعد العهدِ والميثاقِ الذي أخذ عليكم ﴿فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ خرج عن الطريقِ وضلَّ عنه.

• ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ﴾ بسبب نقض الميثاق الذي أخُذ عليهم ﴿لَعَنَّٰهُمۡ﴾ طردناهم وأبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗ﴾ صلبةً لا تلين لموعظة ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ يبدِّلونه بغيره،

أو يتأولونه على غير مراده ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا﴾ نصيباً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ من كتاب الله تعالى التوراة ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ يا محمد ﴿تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ ترى خيانتهم لله تعالى وللمؤمنين في كلِّ وقت ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ فإنهم وفوا بعهدهم وحفظوا ميثاقهم ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ فلا تؤاخذهم بما صدر منهم ﴿وَٱصْفَحْ﴾ تجاوز عنهم، ولا يبقَ في قلبك أثر عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ وهم كلُّ محسنٍ في عبادة ربه، ومحسن مع خلقه.

التَّدَبُّرُ

١ـ هذه النهاية التي بلغوها جزاء تلك الأعمال والآثار التي صنعوها ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾.

٢ـ تذكر النعم يفيض على أهله الإيمان والعمل الصالح ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

٣ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ دعوة لتقليب النظر فيما أعطاك الله تعالى من نعم ومباهج في الحياة. ما أكثرها! وما أحوجنا إلى شكرها!

٤ـ معية الله تعالى لعبده موقوفةٌ على هذه المعاني الكبار: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالرسل وتوقيرهم، والصدقة في سبيل الله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ

وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ ومن ضرب فيها بسهم وافر لقي ما عند الله تعالى من جزاء.

٥ ـ نقض العهود والمواثيق موجبٌ للعنةِ الله تعالى، وقسوةِ القلوب ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

٦ ـ العبث بالعلم وعدم القيام بحظوظه في الدنيا موجبٌ لنسيانه وفوات حظوظه من واقع صاحبه ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

٧ ـ من أسوأ الفجائع في حياة طالب العلم نسيان ما فتح الله تعالى به عليه ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ وما ذهبتْ نعمةٌ إلَّا بذنب.

٨ ـ عدم العمل بالعلم موجبٌ للنسيان ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ
فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ
وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ
بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ
قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا
كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن
كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ
مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ
سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى
ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ
ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ
أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾

التفسير

• ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ فزكّوا أنفسهم أنهم أتباع عيسى عليه السلام ﴿أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ﴾ عهدهم ﴿فَنَسُواْ حَظّٗا﴾ نصيباً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ من ذلك الميثاق ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ﴾ ألقينا بينهم ﴿ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فلا يزالون متخاصمين متفرِّقين ﴿وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ﴾ يخبرهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ في أيام الدنيا.

• ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ من اليهود والنصارى ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ محمد ﷺ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾ يوضّح لكم ﴿كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ من التوراة والإنجيل ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ يترك بيان كثير مما تخفون ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ﴾ وهو القرآن الكريم ﴿وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ واضحٌ بيّن.

• ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ﴾ بالقرآن ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ من سلك الطرق التي تبلغه مراضي الله تعالى ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ طرق السلامة من العذاب ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ من ظلمات الكفر والمعاصي ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ إلى نور الإيمان والطاعة ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ بإذن الله تعالى ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ﴾ يدلُّهم ويرشدهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ لا اعوجاج فيه.

• ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ فصاروا بقولهم هذا من الكافرين ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ فمن يقدرُ أن يمنعَ الله تعالى من إهلاك هؤلاء كلهم ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ يتصرف فيها كيف يشاء ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ فكما أنه خلق عيسى من أم بلا أب، كذلك يخلق ما يشاء كيف شاء ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ لا يعجزه من ذلك شيء.

التَّدَبُّر

١ ـ نسيان العهود والمواثيق التي أخذها الله تعالى على عباده موجبٌ للنزاع والفرقة والخلاف ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾.

٢ ـ كل علم لا يحتفل به في التطبيق؛ لا يكون له واقع في الحركة والتأثير ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾.

٣ ـ للعلم تبعات يأتي السؤال عنها يومَ الحساب ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾.

٤ ـ القرآن كتاب هداية، مَنْ تمسَّك به دُلَّ على الطريق ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾.

٥ ـ العودة لهذا القرآن هي الطريق الأمثل للخروج من هذا النفق المظلم الذي تعيشه الأمة اليوم ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَـٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾.

٦ ـ حين تبدأ في تلاوة كتاب ربك وتدبُّره وتعمل به فانتظر بشرى ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾.

٧ ـ الخروج من ظلام المشكلات والأزمات لا يتم إلَّا من خلال هذا الوحي ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾.

٨ ـ كل الحلول التي نعالج بها مشكلاتنا الشخصية لا بد أن تأتي من هذا الأصل الكبير (الوحي) ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ وإلَّا صارت في النهاية لا قيمة لها ولا أثر!

٩ ـ الهداية وقفٌ على فقه هذا الوحي وفهمه ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾.

١٠ ـ كل المؤسسات التي تُعنى بحفظ كتاب الله تعالى ما لم تقرأ هذا المعنى ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا

كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ وتضع له برامج ومشروعات تدبرية تفقه ما تقرأ، وتحوّل هذا الركام المعرفي والقيمي والمفاهيمي إلى تطبيقات عملية وإلّا فلا مفروح بها.

١١ ـ الأوهام سببٌ في كثيرٍ من التصورات الكاذبة والمفاهيم الخاطئة ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ من أين جاءت هذه العقيدة الزائفة لولا الأوهام؟!

١٢ ـ الأوهام والأفكار الكاذبة لا يدفعها إلّا الدليل والبرهان الصادق من الوحي ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾.

١٣ ـ كلُّ معلومةٍ أو فكرةٍ أو تصوّرٍ يجب أن تعرض على الوحي، قبل أن تأخذ حقَّها من فكر الإنسان ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾.

١٤ ـ حين تستولي الأوهام على عقل الإنسان تقضي على كلّ شيء ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ تُراها هنا بَنَتْ عقيدةً كبرى في قلوب أصحابها، وأصلها وهمٌ لا حقيقةَ له.

❀ ❀ ❀

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا
مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ
نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا
وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ
ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ
فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ
وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا
فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ
فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣

التفسير

• ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ دعوى فراغة لا رصيد لها من الحقيقة ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ إن كنتم أبناؤه وأحباؤه فلم يعذبكم بذنوبكم ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ كسائر الخلق، لا فرق ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ بفضلــه ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ بعدلــه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فهو المالــك المتصرّف فيها ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ المرجع في النهاية.

• ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمــد ﷺ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ يوضّح لكم أحكام الله تعالى ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ على انقطاعٍ منهم ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ حتى لا تقولوا ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ﴾ يبشّــر بثواب الله تعالى ﴿وَلَا نَذِيرٍ﴾ يخوّف من عقاب الله تعالى ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ﴾ يبشّركم بثواب الله تعالى للمؤمنين ﴿وَنَذِيرٌ﴾ يبلغكم عقاب الله تعالى للمتخلّفين ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ لا يعجزه شيء.

• ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ قوموا بحقّها من الشــكر ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ يدعونكم إلى الله تعالــى، ويبلّغونكم رســالته ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ تملكون أمركم بعد أن كنتم مستعبدين من فرعون وجنده ﴿وَءَاتَىٰكُم﴾ من النعم ﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ قبلكم.

• ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ بيت المقدس وما حوله ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قدّر أنها مسكنكم ومقرُّكم ﴿وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ لا ترجعوا عن أمري وتتركوا طاعتي ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ للدنيا والآخرة.

• ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾ شديدي القوة والشجاعة ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢﴾ بعد خروجهم.

• ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ منهم ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الله تعالى ﴿أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا﴾ بالتوفيق وكلمة الحق ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾ اقتحموا عليهم بابهم ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ﴾ فستكون لكم الغلبة بمجرَّد دخولكم عليهم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ به تعالى.

التَّدَبُّر

١ ـ ما أسهل الدعوى وما أقلَّ العمل! ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾ كثيرون يزعمون أنهم صنعوا أشياء كثيرة في واقعهم، ولا علاقة لما يقولون بالحقائق في شيء.

٢ ـ الجهل بالله تعالى موجبٌ لمثل هذه الطوام ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾.

٣ ـ مهما بلغ زكاؤك وصلاحك، لا يحقُّ لك أن تزكِّي نفسك؛ فكيف ترتقي هذا المرتقى الصعب! ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾.

٤ ـ الخبث والفساد من مَعْدِنِهِ لا يُسْتَغْرَبُ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ وإذا تتبعت مشـاهد اليهود في القرآن، أدركت أن هذه مجرَّد نبتة في مسـاحاتٍ شاسعةٍ من الظلم والعدوان.

٥ ـ الشُّبَهُ والأوهام والتصورات الخاطئة لا ينسفها من عقول أصحابها إلَّا الوحي ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

٦ ـ الكبر والاستعلاء أرضٌ خصبةٌ للخذلان ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ ما أودى بيهود لِمَا وصلوا إليه إلَّا هذه النفوس المستعلية من فراغ!

٧ ـ العلم هو السـلاح الذي تُردُّ به شُـبَهُ الجهل وضلالات الأوهام ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

٨ ـ حلم الله تعالى على عباده ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ على الرغم من هذا الوصف الكاذب والعاري عن الحقائق، وعلى الرغم

من الزور والبهتان، جاء القرآن يبيِّن لهـم الحقائق، ويدلُّهم على الطريق ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾.

٩ - ولاية الله تعالى لا تُستحَقُّ بالدعاوى الباطلة، وإنَّما تحتاج إلى أدلة كافية على صدقها وحقيقتهـا ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

١٠ - محبَّة الله تعالى وولايته لخلقه لا تحتاج إلى نسـب أو مـال أو مركز، وإنَّما تحتاج إلى صدق نية، وحسن إقبالٍ على الله تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

١١ - البلاغ وإيصال رسـالة الله تعالى للعالمين، وبيان دينه ومنهجه، هي الأصل من رسالة الرسل وبعثهم في العالمين ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ وهو واجب الدعاة إلى يوم الدين.

١٢ - خلافة الرسـل مسـؤوليةٌ وأمانةٌ، تحتاج إلى رجال يبلغـون منهج الله تعالى للعالمين ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

١٣ - من فقه الداعي أن يتسلل إلى قلوب المدعوّين بشيءٍ يدفع بقلوبهم إلى الله تعالى، قبل أن يسـألهم عملاً أو يكلفهم واجباً، أو يذكرهم مسؤولية ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

١٤ ـ كلُّ إنسانٍ تريد أن تتسلل إلى قلبه وتصل لمقصودك من حواره، فذكِّره أولاً بنعم الله تعالى عليه في الدنيا ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

١٥ ـ حتى ولدك وطالبك ذكِّره بما يُشرِقُ به وجهه أولاً، وليأتي إلى درسك وموعظتك ونصيحتك راغباً ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

١٦ ـ الذين يحملون هموم الناس، ويحرصون على تقبُّلهم الهداية، يتفنَّنون في استثارة مشاعرهم، وحَثِّ قلوبهم قبل أن يدلفوا عليهم بشيءٍ من تكاليف ذلك الطريق ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

١٧ ـ حين تكون الأرض صالحة للإنبات، والقلوب صالحة للاستقبال، فتقدم إلى تلك الساحات، وألقِ فيها بذرك المبارك ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾.

١٨ ـ إذا ألقيت بذرك المبارك فذكّر بما تؤول إليه عواقب الرفض والخذلان ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾.

١٩ ـ لا تتوقع أرضاً خصبة من بداية إلقاء حبك فيها، فدونَ ذلك الربيع مسافاتٌ من الصحراء ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

٢٠ ـ لن يعدم الدعاة والمصلحون حملة للمنهج من الجماهير المصطفة في عرض الطريق ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

٢١ ـ حين تقوم بواجبك على مراد الله تعالى، يأتي مدد التوفيق دون موعد سابق ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٢ ـ أقم علم العمل لدين الله تعالى في أي مساحة من الأرض، وسيصطف حولك أنصار الدعوة، الذين لم تعرفهم من قبل ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٣ ـ مشكلة الذين لم يجدوا أعوناً في الطريق، ولم يجدوا أنصاراً في المواقف أنهم لم يبدؤوا بعد ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٤ ـ الأنصار والأعوان موجودون في كل مساحة، غير أنهم يحتاجون إلى صاحب راية وموقف، يدير شأن البدايات ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٥ ـ كل آمالنا وأحلامنا وأمانينا وقفٌ على الخطوة الأولى ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٦ ـ ابدأ مشروعك وقصة حلمك، ودَعِ النتائجَ يتولَّاها الكبير المتعال ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٧ ـ قبيح جداً هذا المعنى ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ تلك القلوب صالحةٌ جداً لأسوأ منه.

٢٨ ـ كل مشروع تبدأ قصته، أو حلم تدفع بخطوته الأولى، أو رسالة بر ومعروف، تود أن تمدَّ في مساحتها، عليك أن تتصوّر مثل هذا الرد القبيح ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

❀ ❀ ❀

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ
أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ
يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ
﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا
فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ
لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ
رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ
مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ
لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾
فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى
سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا
ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

التفسير

• ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ﴾ أي المدينة ﴿أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ وقطعوا بذلك كلَّ فرصة لعزِّهم ونصرهم ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ القوم في المدينة ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ منتظرون لكم.

• ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِي﴾ طائعين لك ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾ افصلنا عنهم؛ فإنهم خارجون عن طاعتك ملازمين لمخالفتك ومعصيتك.

• ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ﴾ أي الأرض المقدسة ﴿عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ زمن التحريم ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يتحيَّرون في الأرض، لا سبيل لهم في الوصول إلى الأرض المقدسة ﴿فَلَا تَأۡسَ﴾ لا تحزن ﴿عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ الخارجين عن طاعة الله تعالى.

• ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ﴾ قصة أو خبر ﴿ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾ قابيل وهابيل ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ بالصدق ﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾ فأخرج كلٌّ منهما شيئاً من ماله تقرُّباً إلى الله تعالى ﴿فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا﴾ قَبِلَ الله تعالى قربان هابيل ﴿وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾ لم يتقبل قربان قابيل ﴿قَالَ﴾ قابيل: ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾ يا هابيل حسداً وبغياً ﴿قَالَ﴾ الذي تُقبل منه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ إنما يتقبل الله تعالى من المتقين له القائمين بأمره.

• ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي﴾ تريد قتلي ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ﴾ فلست بقاتلك ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾ وخوف الله تعالى رادعٌ لي عن قتلك.

• ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾ ترجع ﴿بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾ بوزري ووزر نفسك ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ أهلها ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ جزاء كلِّ ظالم.

• ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾ سهّلت له ﴿قَتْلَ أَخِيهِ﴾ هابيل ﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ لدنياه وآخرته.

• ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ لما قتل أخاه لم يدر كيف يواريه؛ لكونه أول ميت من بني آدم، فبعث الله تعالى غُرابين اقتتلا فقتل أحدهما صاحبه فحفر له ثم واراه ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ يا حسرتا ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى﴾ عورته، والمقصود هنا جسده الذي قتله ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ على ما فعل.

التَّدَبُّر

١ ـ الذين يبدؤون مشاريعهم وفي حسِّهم استقبال الناس لما يصنعون بفرح، عليهم أن يعيدوا حساباتهم ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

٢ ـ قراءة الوحي وسير الكبار تعطيك دلالةً لحجم ما ينتظر مشروعك وفكرتك ورسالتك في قادم مستقبلك ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

٣ ـ إذا سمعت داعيةً أو مصلحاً أو حاملاً لرايةٍ يشتكي من إعراض الآخرين في زمانه، فذكّره بمواقف القوم ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا

﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ جواباً على خموله وضعف إرادته.

٤ ـ هل بلغك سوء أدبٍ كهذا ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ هيِّئ نفسك لاستقبال العثرات، وعوارض الطريق، في قادم أيامك مهما بلغت.

٥ ـ بعد أن تعمل وسعك، وتدفع بكل ما تملك، ويتعذّر عليك عناق أحلامك، فلا حرج حينها من الاعتذار ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

٦ ـ لست مسؤولاً عن هداية الناس فذلك شأن الله تعالى، شأنك أنت أن تدفع بكل همومك في وصول رسالة الخير للعالمين فحسب ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

٧ ـ كل فكرة أو مشروع أو رسالة أو قضية لها نهاية ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

٨ ـ نجاحك مرهونٌ بإخلاصك، وجهدك، واستنفاد طاقاتك فحسب ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ لولا ذلك لما استجاب الله تعالى دعاءه مباشرة، وألقى بهم في عالم الضياع.

٩ ـ القلوب التي تأبى الدعوة، وتُصرُّ على مصادرة الأفكار الحية حقيقةٌ في النهاية بهذا الضياع الكبير ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

١٠ - لا حدَّ للخذلان! كان يمكنهم أن يقبلوا دعوة ذلك النبي لتتحقَّق كل أحلامهم، فلما أصروا على الرفض كانت هذه النهاية المُرَّة ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

١١ - الفُرَص تسنح ولا تعود ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

١٢ - حين يرفض الإنسان كل ما يسعده في العالم عليه أن ينتظر التيه الكبير ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ كثيرون سمعوا آلاف المواعظ، وتهيأت لهم مئات الفرص، وما زالوا رافضين الهداية.

١٣ - الحسد والبغي أول ذنبٍ عُصِيَ الله تعالى به في الأرض ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

١٤ - الحسد مرضٌ إذا استشرى في قلب إنسان أتى على كلِّ خيراته ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

١٥ ـ حاجة النفوس إلى التربيـة والتأهيل ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ أصلُ العمل قربةٌ؛ فأفضى بصاحبه إلى استحلالِ دمٍ حرام!

١٦ ـ حتى في رحاب العلم وبين طلابه، تأتي مثل هذه الموبقات ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ وعلى طالـب العلم أن يأخذَ من العلم ما يعالج هذه الفجوات، ويسـدُّ نوافذ الخلل، ويؤهِّلُ نفسـه لا سـتقبال نجاحات الآخرين كأنها له لا فرق.

١٧ ـ كل مساحة يشترك فيها جماعة، قابلةٌ لتفشي هذا المرض في واقعها، إن لم ينتبه له من بداية الطريـق ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

١٨ ـ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ رسالةٌ للعاملين في مشروعات وبرامج، تخدم ساحات الأمة، عليهم أن يرقبوا ما يقدمون، ويتأكدوا أن هذه المشروعات والبرامج لله، ومن أجل الله!

١٩ ـ تفقّد قلبك وعملك ومشـــروعك، هل هذا كله لله تعالى؟ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٢٠ ـ لا تنشـــغل بصورة العمل وحجمه وأثره وتاريخه، بل انشـــغل بإجابة هذا السؤال العريض: كم مصروف منه لله تعالى، ومن أجل الله؟! ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٢١ ـ لا تلتفت إلى أعداد المتابعين لك في وسائل التواصل الاجتماعي بل التفت إلى إخلاص العمل لربك وجنِّبه مظاهر المكاثرة، التي لا تغني بعد فوات تلك المباهج شيئاً ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٢٢ ـ الإيمان بالله تعالى وحده يصنع مستقبل الإنسان كما يشاء ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ عرض عليه أنه سيقتله فكفَّه إيمانُهُ عن مجاراة تلك الخسارة في واقعه.

٢٣ ـ هذا تستجيشه كلمة في موقف خلاف، فتفضي به إلى استباحة كل شيء، وذاك يستفزه أخوه بقتله ووداع دنياه والرحلة من الأرض، فلا يحرِّك ساكناً ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ وكذلك تصنع حقائق الإيمان.

٢٤ ـ الخوف من الله تعالى مانعٌ من كثيرٍ من فواجع الزمان ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

٢٥ ـ رأيت الخوف من الله دخل مع صاحبه في فندق غربة، ومساحات سفر ووحدة، فلم يمكِّنه من أن يمدَّ يده أو عينه إلى ما يسخط ربه ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾.

٢٦ ـ كم مرة وقف هذا المعنى دون أحداثٍ كثيرة! ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾ لولاه لضاعت حياة كثيرين في الهوامش!

٢٧ ـ من سنَّ في الإسلام سنَّةً سيئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ كم من مدينٍ في ساحات القيامة لمواقف من هذا المعنى!

٢٨ ـ كثيرون هم الذين يردِّدون هذا المعنى ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ بعد فوات أوانه.

٢٩ ـ ما زلنا في أوقات الأمن من تكرار هذه الحسرات ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾.

٣٠ ـ ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ ما أشدَّها في أيام الحسرات!

❀ ❀ ❀

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ
نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ
جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا
جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ
فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ
لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ
لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

التفسير

• ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ من أجل قصة القتل في ابني آدم، وعاقبته الوخيمة ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بقطع الطريق وسفك الدماء، ونهب الأموال، والبغي على عباد الله تعالى ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ لأن تجرؤه على قتله بمنزلة قتل الناس جميعاً ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ استبقى أحداً فلم يقتله مع قيام الداعي إلى ذلك أو تحقُّق الفرصة ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ لأن ما معه من الخوف يمنعه من قتل من لا يستحقُّ القتل، وفائدة هذا التشبيه: الترهيبُ والردعُ من قتلِ نفسٍ واحدةٍ، بتصويره كأنه قتلٌ لجميع الناس، والترغيب على إحيائها كأنه أحيا كل الناس ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الواضحة البيّنة ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ من بني إسرائيل ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ في التعدِّي على حدود الله تعالى.

• ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يبارزونه بالعداوة ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بالقتل والنهب والسلب ﴿أَن يُقَتَّلُوٓا۟﴾ إن قتلوا أنفساً معصومة ﴿أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟﴾ إن قتلوا وأخذوا المال صُلِبُوا على جذوع الأشجار ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ إذا أخذوا المال ولم يقتلوا، قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، اليد اليمنى مع الرجل اليسرى ﴿أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يُخرجون من الأرض، ويبعدون عنها، وذلك إذا أخافوا دون قتلٍ أو أخذِ مال ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ ذلٌ وفضيحة ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ شديد.

• ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾ فمن تاب قبل إلقاء القبض عليه ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٞ ٣٤﴾ بالمؤمنين.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقايةً، بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ اطلبوا ما يقرِّبكم إلى الله تعالى ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ بأنفسكم وأموالكم وألسنتكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ تفوزون بمطلوبكم.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ لو كانوا يملكون كل ما في الأرض ﴿وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ ولهم مثل ما في الأرض مرتين ﴿لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ لقدَّموه إلى الله تعالى بدلاً عن تعذيبهم ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡ﴾ ومع ذلك لم يقبل منهم كل ذلك ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦﴾.

التَّدَبُّر

١ ـ كرامة الإنسان، بالمحافظة على حياته وتجريم الشريعة لكل فعل يؤدي إلى حرمانه من الحياة ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾.

٢ ـ بماذا يجيبُ الذين يريقون دماءَ المسلمين لأدنى الأسبابِ عن هذا الجرمِ العظيمِ يومَ القيامة؟ ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ

أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

٣ ـ أَلَمْ يَعِ العالم الذي شرَّد أطفالَ المسلمين في كلِّ مكان وأراقَ دماءَ الأبرياء هذه الأوزار التي تنتظرهم في ساحات القصاص ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

٤ ـ ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ إذا كان هذا في حياةِ جسدٍ؛ فكيف بالذي يحيي أرواحاً بالدعوة والإصلاح والأفكار الناهضة والمشاريع.

٥ ـ العبر والعظات والدلائل والبينات لا تنفع إلّا أصحاب القلوب الحيّة ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ ما زادت هؤلاء إلّا إسرافاً وبعداً!

٦ ـ ماذا يقول أولئك الذين ساهموا في انحراف كثيرين عندما يقفون بين يدي الله سبحانه يوم الجزاء والحساب ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ إذا كان هذا جزاء من قتل جسداً؛ فكيف بمن قتل روحاً ومعنى!

٧ ـ حتى الكلمة التي تصنع قلقاً وشتاتاً في نفوس المؤمنين، وتحرمهم أياماً من رؤية الربيع، هي كذلك، عليها وعيدٌ وجزاء ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.

٨ ـ ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ تجري أيضاً في حقِّ من أضلَّ إنساناً، أو أَرْكَسَهُ بعد الهداية، أو زين له حتى أوقعه في المخدرات، أو علَّمه وهيَّأ له الإلحاد.

٩ ـ تضع الشريعة حدوداً تضبط بها أمنَ الأوطانِ والمجتمعات ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾.

١٠ ـ لا يمكن أن تصان الأوطان والمجتمعات من عبث العابثين وكيد المبطلين إلَّا بمثل هذه التشريعات الزاجرة عن الفوضى ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾.

١١ ـ تفرض الشريعة قدراً مناسباً من الحدود على قدر الفوضى الحاصلة من العابثين ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾.

١٢ ـ الأمن يستحقُّ هذه الروادع الكبرى ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾.

١٣ ـ تصون الشريعة حقوق الناس، وتكفل لهم العيش في أجواءٍ آمنة، وتضمن لهم الحياة كما يشــاؤون، دون خوفٍ أو ذعر ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾.

١٤ ـ ســعة رحمة الله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾ حتى هؤلاء الذين أخلُّوا بالأمن، وسفكوا الدماء، وأخذوا المال، وعاثوا في الطريق بالفساد، إذا ندموا وأقبلوا على الله تعالى تائبين وردوا الحقوق إلى أصحابها. قَبِلَ الله تعالى منهم توبتهم، وعفى عنهم، وأسدل ستاراً دون ماضيهم.

١٥ ـ أيّاً كان خطأ ولدك أو طالبك أو زميلك في حقّك، فلك في مثل هذا المعنى اقتــداء ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾.

١٦ ـ لا تعجل على الآخرين، وتحاصرهم بأخطائهم، وتخلق لهم القلق من خلال ما وقعوا فيه، بل هَبْ لهم فرصة للعودة، وأسدل عليهم ستارَ العفو، وأَعِدْهُم إلى حياض الحبِّ مــن جديــد ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾.

١٧ ـ من جوانب عظمة النبي ﷺ أنه أخذ من هذا المعنى وســعه كإنســان ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾.

١٨ ـ كلّما تلبَّسْنا بالجفاء، وتعاملنا بالغلظة، وأخذنا بسيف الجدِّ بَعُدْنا كثيراً عن مواطن الخيــرات ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾.

١٩ ـ ثلاثة أشـياء تشـرف بك على الهدى: التقـوى، واقتفاء وسـائل الفلاح والصلاح، والجهاد في سـبيل الله تعالـى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٢٠ ـ ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ ليس بالضرورة في سـاحة معركة الجهاد بالسيف والسـنان، وإنَّما في كلِّ سـاحةٍ تحتاج إلى العلم والمشـاريع والأفكار الجادة والتصورات الطموحة في واقع الحياة.

٢١ ـ حتى الجهل في أرض المسلمين، يحتاج إلى هذا المعنى الكبير ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ﴾.

٢٢ ـ ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ دعـوة للقيـام من فراش نومـك، وهموم ذاتك، ومساحة واقعك للنفير في مسـاحات الأمة وآمالها ومشاريعها التي ما زالت في أَمَسِّ حاجتها للمجاهدين.

٢٣ ـ ساحات البدع والمنكرات في أشدِّ الحاجة إلى هذا المعنى ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ﴾.

٢٤ ـ ليأتينَّ يومٌ على كلِّ معرضٍ يتمنَّى أن يفتدي كل ماضيه وما يملك، للفكاك من مسـؤولية النهايات ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾.

٢٥ ـ صنعوا كلَّ شيءٍ، وفاتَهم أعظمُ الأشياء ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾.

٢٦ ـ ما تغني الحضارة التي بناها الكافر يوم الحساب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾.

٢٧ ـ إذا غابت الرؤيةُ الكلّيةُ لحياةِ إنسانٍ غابَ معها في النهاية كلُّ شيء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾.

٢٨ ـ مشكلة الإنسان في كثير من الأحيان؛ إما أنه لم يتأكد من سلامة طريقه، أو أنه لم يحسن الالتفات للمراجعة الجادَّة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾.

٢٩ ـ كلَّما رأيت منتجاً مثيراً، وآلة تستحوذ على الإعجاب، وعمارة فائقة يديرها الغربي تذكَّرتُ أعظمَ خسارةٍ ينتظرها في حياته كلِّها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾.

❀ ❀ ❀

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟
أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ
عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ
لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ
ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ
وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ
أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى
ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

التفسير

• ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ هذه أمانيهم ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ أي الكفار ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ دائم مستمر ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ وهما كل من أخذ مالاً من غيره خفيةً من حرزه ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ تقطع يده اليمنى من الرسغ ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾ جزاءً على فعلهما ﴿نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ عذاباً رادعاً ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا غالب لأمره ﴿حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ في فعله وحكمه.

• ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾ أقلع عن فعله، وعزم على عدم العودة، وندم على ذلك ﴿وَأَصْلَحَ﴾ فيما بينه وبين الله تعالى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ فيغفر له ذنبه الذي اقترفه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ بالمؤمنين.

• ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المتصرِّف فيهما كيف شاء ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ بعدله ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ بفضله ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ لا يعجزه شيء.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ لا تجد في نفسك مشقَّةً وألماً وحزناً على من يكفر بالله تعالى بعد إيمانه ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ كلاماً مجرَّداً عن الحقيقة ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ ولم تنعقد على الإيمان، لا تحزن على مثل هؤلاء؛ فإن إيمانهم ما كان إلَّا بأفواههم ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي اليهود ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ قابلون لكذب رؤسائهم وكبارهم ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ لطوائف من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ لم يحضروا مجلسك ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ يبدِّلونه ويغيِّرونه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ بعد ما كان في مكانه ومحله اللائق به ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ إن جاءكم كلامنا هذا من قبل محمد ﴿فَخُذُوهُ﴾ اقبلوه

واعملوا بــه ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بأن جاءكم بغيـره ﴿فَٱحْذَرُواْ﴾ قبوله وأخذه ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ ضلالـه ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ لـن تسـتطيع دفع إرادة الله تعالى عنـه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من رجس الكفـر والنفـاق ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ ذلٌّ ومهانة ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ شديد.

التَّدَبُّرُ

١ ـ السـرقةُ إخلالٌ بالأمن العـام، وتَعَدٍّ علـى حقوق الآخرين، وسـطوٌ على ممتلكاتٍ كَدَّ فيها الإنسـان زمنـاً من عمـره لتحصيلها ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾.

٢ ـ أعطى الإسلام مجالاً واسعاً لكسب الرزق، وأدّب على الانحراف عن ذلك الطريـق ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾.

٣ ـ اليد محترمة في الإسلام، ولكل أصبعٍ منها ديةٌ من المال، لكنها حين تذهب إلى غيـر مظان العمـل الحقيقية تسـتهان وتسـتحقر حتى تقطـع دون مقابل ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ قال الشاعر:

عِزَّ الأمانة أغلاها، وأرخصَها ذُلُّ الخيانةِ، فافهم حكمة الباري

٤ ـ يقطع الشارع اليد التي امتدت، ويحرص على تشذيب الجسم من الأعضاء الدخيلة عليه، تراه في أول وهلة يقطع اليد الآخذة، وفي المرة الثانية يقطع الرجل

الحاملة له إلى مواقع الجريمة ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨﴾.

٥ ـ أياً كانت جريمة الإنسان التي وقع فيها، ما تزال التوبة باسطة للمقبلين عليها ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٩﴾.

٦ ـ تكامل هذه الشريعة وانتظام صورها، وجمعها بين الجزاء والرحمة، معالم تدعو للبهجة والامتنان، يسرق الإنسان فتقيم عليه الحد المانع من التدنّس بالشهوات ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨﴾ ثم يندم ويعود متأسفاً، ويستعتب من ربه عما بدر منه، ويريد أن يكون عضواً صالحاً في ذاته وواقعه ومجتمعه، فتهبه الشريعة لباساً جديداً، وتصفح عنه في كل ما بدر منه، ويعود يؤدي رسالته كما شاء ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٩﴾.

٧ ـ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٤٠﴾ إذا لم تُقرأ العقيدة من قبل فهذه بعض النوافذ المطلة على معانيها، ويمكنك قراءتها من جديد.

٨ ـ إذا تعلَّقت بمخلوق ورغبت في ما في يديه، وألقيت إليه بشيءٍ من هموم قلبك؛ فتذكر هذا المعنى الكبير ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٤٠﴾.

٩ ـ أيها المتسوّلون على أبواب العالمين! اقرؤوا فصلاً واحداً في العقيدة يحميكم من طول هذه المواقف ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٤٠﴾.

١٠ـ علّق قلبك بالله، وتوجه إليه، وأحسن ما بينك وبينه، فهو الذي يدير عجلة الحياة، ويجري قدره في الكون كما يشاء ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

١١ـ إذا أردت أن تتعرّف على مفهوم التلبّس بالأفكار والمفاهيم والمشاريع؛ فاقرأ هذه التسلية لصاحب ذلك القلب الكبير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾.

١٢ـ إذا لم تأخذ الفكرة حظَّها من قلوب أصحابها، وإلّا فلا مفروح بواقعها في مستقبل الأيام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾.

١٣ـ يا له من فرقٍ كبيرٍ بين صاحب راية، يخفِّف الله تعالى عليه أحزانَهُ إن ذهبت في سبيل فكرته ومشروعه ورسالته الكبرى، وآخر يزعمُ أنّه يصنعُ واقعاً، وهو لا يهبُ له إلّا فتاتَ الأوقات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾.

١٤ـ إذا اشتقت إلى قراءة آثار هذا المعنى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ فخذ جولةً ببصرك ومشاعرك إلى المنضمِّين اليومَ تحت لواءِ هذا الدين.

١٥ـ فعلاً لا تبلغ آمالنا مداها إلّا حين نعطِها كلَّ شيء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾.

١٦ـ ما أحوجَ الأمّةَ اليومَ إلى بعض مشاهد هذا المعنى الكبير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾.

١٧ـ إذا أردت أن تذكّر صاحب فكرةٍ أو مشروعٍ بهدفه ورؤيته وقصة مستقبله؛ فاقرأ عليه بعضاً من فصول هذا المعنى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾.

١٨ ـ هذا لا يؤدي واجباً حسّياً جسديّاً، وإنَّما يحكي قصصاً من فصول المشاعر والوجدان، حين نهبها لأفكارنا الناهضة، ومشاريعنا الكبيرة، وتصوراتنا الكبرى في الحياة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾.

١٩ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ فصولٌ من سيرةِ إنسانٍ وهبَ للعالمِ في حينه كلَّ شيء.

٢٠ ـ الآن تذكرت قول أنس بن مالك: حين قدم النبي ﷺ المدينة أضاءَ منها كلُّ شيءٍ، وحين رحلَ منها أظلمَ فيها كلُّ شيء[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾.

٢١ ـ يتحدثون عن العيش للمشروع، والولاء للفكرة وشاهدهم في ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ يموت كمداً حين يراهم ينزحون إلى الضلال، ويتركون وارف الإيمان.

٢٢ ـ يتألم للضائعين في مسارب الضلال! هذا هو مفهوم الولاء للأفكار والمفاهيم في زمان الكبار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾.

٢٣ ـ لم تعرف الدعوة والمشاريع وقتاً مفصولاً ومحسوباً لها، ووقتاً آخر لحامل رايتها، إلَّا حين تحولت إلى وظيفة، نَقْتاتُ منها بالقدر الذي نعطيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾.

٢٤ ـ تذكرت وأنا أقرأ هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ الذين يهبون للدعوة والمشروع والفكرة بعضاً من أوقاتهم، لن يروا تلك النهاية التي يحلمون بها.

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٦١٨).

٢٥ ـ هذا الحزن الذي يحكيه الله تعالى عن صاحب المشروع الكبير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ ليس حكاية مشاعر في لحظة، وإنما حزن يلازمه على الدوام.

٢٦ ـ هذه سنة الله تعالى فيمن رفض دعوات الإصلاح، وأصرَّ على فكرته المشؤومة، وأبى إلَّا أن يكون من الضالّين ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾.

٢٧ ـ إذا رأيته يعتدُّ بنفسه في بداية الطريق، ويتهجَّم على علماء الأمة، ويسفِّه آراءَ فقهاءٍ لهم حظهم من الحجة؛ فاعلم أنَّه أصابه سهمٌ من قول الله تعالى ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾.

٢٨ ـ لمَّا علم الله تعالى فساد قلبه ألقى به في وادٍ من أوديةِ الضياع ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

٢٩ ـ لا تقلقوا أيها الدعاة؛ فالذين يودّعون الطريق أرادوا لأنفسهم الدناءة، وكتب الله تعالى على قلوبهم الفساد ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

❀ ❀ ❀

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ فَإِن جَآءُوكَ
فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن
يَضُرُّوكَ شَيْـًٔاۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ
ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ
وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ
هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ
ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ
وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ
فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ
بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ
قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن
لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

- ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ مستجيبون لكذب قادتهم ورؤسائهم ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ للحرام ﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾ للحكم بينهم ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ لك الخيار في ذلك ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾ فلا سبيل لهم عليك ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ العادلين في أحكامهم.
- ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ بينهم ﴿وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ فيما يحتكمون فيه إليك ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ بعد أن حكمت بينهم، أعرضوا وتولَّوا عن حكمك ﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ فمن يفعل هذه الأفعال فليس من أهل الإيمان.
- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ على موسى بن عمران عليه السلام ﴿فِيهَا هُدًى﴾ يهدي إلى الحق ﴿وَنُورٌ﴾ يُسْتَضَاءُ به في ظلمات الجهل ﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾ بالتوراة ﴿ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ لله تعالى، وانقادوا لأمره ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ لليهود ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ ويحكم بها كذلك الأتقياء المعظِّمون لله تعالى ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ ويحكم بها كذلك العلماء ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ بسبب أن الله تعالى استحفظهم كتابه ﴿وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ﴾ على كتاب الله تعالى ﴿شُهَدَآءَ﴾ أمناء ورقباء ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟﴾ أيها العلماء ﴿ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ واخشوا الله تعالى ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ فلا تكتموا الحق وتظهروا الباطل لأجل متاع الدنيا ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في كتابه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ بالله تعالى، وهذا إذا اعتقد الحاكم جواز الحكم بغير ما أنزل الله تعالى، وإذا اعتقد أن حكم غير الله تعالى كحكم الله تعالى، وإذا اعتقد أن حكم غير الله تعالى أحسن من حكمه تعالى، فكلُّ هذه من الصور كفر.

• ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ في التوراة ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ فمن قتل نفساً عدواناً وظلماً قُتل بها ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ ومن فقأ عين إنسان عمداً فقئت عينه ﴿وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ﴾ ومن جدع أنف إنسان عمداً جُدع أنفه ﴿وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ﴾ ومن قطع أذن إنسان عمداً قطعت أذنه ﴿وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ ومن كسر سن إنسانٍ عمداً كُسرت سنُّه ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ فمن جرح إنساناً عمداً اُقتصَّ من الجارح بمثل ما فعل ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ بالقصاص فعَفا عمَّن جنى عليه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ كفارةٌ لذنوب العافي، وقيل: كفارةٌ لذنوب الجاني ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ وذلك إذا اعتقد الحاكم أن ما أنزل الله تعالى أحسن الأحكام وأنفع للعباد وأنه الواجب تطبيقه، ولكن حمله البغض والحقد على المحكوم عليه فحكم بغير ما أنزل الله تعالى.

التدبر

١ ـ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ هذه صفات يهود بالأمس، وهي صفات بعض المسلمين اليوم! لم يسمعوا الكذب فحسب، وإنما قالوه وتناقلوه وتواردوا على صنوف الربا؛ فأكلوا منه ما يشاؤون.

٢ ـ من كمال عقلك أنك إذا قرأت صفةً ليهودٍ، أن تفزع منها هارباً وتوليها ظهرك، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فكم من عطبٍ أحاطَ بغافلٍ في الطريق ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾.

٣ ـ هذا زمان بلغ فيه أكل المال العام مبلغه، وبلغ الكذب فيه الآفاق، فما بقي من صفات الخذلان؟! ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾.

٤ ـ إذا وجدت صفةً يحبُّها الله تعالى فأقم لها في نفسك شأناً تجد أرباحها أعجلَ ما تكون ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

٥ ـ العدلُ منهجٌ يجب أَنْ يجريَ في بيتك مع زوجك، وولدك، وطالبك، ومن تتعامل معه، وفي كلِّ شأنٍ من حياتك ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

٦ ـ الخشيةُ من المخلوقين عبثٌ بأصلِ التوحيد ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ وإذا رأيت مؤمناً يقيم للمخلوقين على حساب الله تعالى شأناً؛ فاعلم أنه بحاجةٍ إلى إعادة درس العقيدة من جديد.

٧ ـ لو قام التوحيد في قلوبنا كما أراد الله تعالى، لما أقمنا للمخلوقين شأناً إلَّا في حدود الشريعة ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾.

٨ ـ ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ﴾ دعوةٌ لاحترام جناب العلم، وتقديره وتعظيم شأنه والقيام بحقه، وألَّا يتسوّل به الإنسان المخلوقين في شيء.

٩ ـ ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ﴾ تنعي على الذين تزلَّفوا بالعلم إلى مناصبَ مرموقةٍ، أو مواقعَ ليست لهم.

١٠ ـ كل وظيفة أو رسالة أو موقع بلغها صاحبها من خلال عَرْضِ العلم كمزاد لها فهي إلى الخذلان ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ﴾.

١١ ـ الافتئات على الشريعة والتقدم بين يديها كفرٌ موجبٌ للخروج من الدين ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

١٢ ـ الشريعة ليست عبادات صورية، يؤديها الإنسان في محراب المسجد، ثم يؤوب إلى بيته، ويتجرّد لشهوات نفسه كما يشاء، وإنَّما منهجٌ يجري في كل تفاصيل حياته ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

١٣ ـ الشريعة تجلُّ هذا الإنسان وتعظمه وترفعه إلى مقامٍ كبير، وتجرِّمُ الاعتداء عليه بأي صورة، وتقتصُّ له من المعتدين، مهما بلغ شأنهم ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

١٤ ـ من جمال هذه الشريعة وأناقتها؛ أنها كفلت للمظلوم أخذ حقه كاملاً وبذات النقص الذي لحقه فيه، ودعته إلى العفو والصلح والصدقة ليعلو في مراتب الدارين ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

١٥ ـ حين ترتفع نفسك عن الثأر، تُلقي بذنوبك في عارضة الطريق ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾.

١٦ ـ الصفح عن الآخرين موجبٌ لخيرات الدارين ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾.

١٧ ـ يمكنك أن تتشفّى من ذلك الذي ظلمك، ويمكنك أن تستعلي وتسأل الله تعالى شيئاً باقياً لا يزول ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ
أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ
ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ
بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

التفسير

• ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أتبعنا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ من بعد الأنبياء والمرسلين الذين يحكمون بالتوراة ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ نبياً رسولاً ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ موافقاً لها ومثبّتاً لما فيها من الحق ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ كتاب الله تعالى ﴿فِيهِ هُدًى﴾ يهدي إلى الحق ﴿وَنُورٌ﴾ يستضاء به من ظلمات الجهل ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ مؤيداً لما فيها ﴿وَهُدًى﴾ إلى الحق ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦)﴾ ذكرى وعبرة.

• ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ من الأحكام ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٤٧)﴾ إذا كان الحكم لهوًى في النفس؛ لرشوة أو قرابة أو صداقة ونحو ذلك.

• ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ أيها الرسول ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ شهيداً لها، وأميناً عليها، وحافظاً لها ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ يا محمد ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ عليك من القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ شهواتهم ورغباتهم ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ الذي أنزله الله تعالى عليك ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً﴾ شريعةً وطريقةً واضحة ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ سبيلاً ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لو أراد ﴿لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ لا تختلف في شيء ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ليبتليكم باختلاف الشرائع، وينظر مدى اتباع كل طائفة لشريعتها ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ بادروا إليها ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ فيخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)﴾ من أمر دينكم ودنياكم.

• ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ عليك من القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ شهواتهم ورغباتهم ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ يضلُّوك ﴿عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ جزاءً على توليهم ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ خارجون عن طاعة الله تعالى.

• ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أيريدون بإعراضهم عنك حكم الجاهلية؟! ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾ فلا أحدَ أحسن من الله تعالى حكماً ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ حكم الله تعالى!

التَّدَبُّر

١ ـ هذا موكب الشرف والبناء في التاريخ، يذكّر بهم القرآن، ويسرد علينا بعض ذكرياتهم بشوق ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

٢ ـ كلُّ الرسالات متفقةٌ في أصولها، وإن اختلفت في الفروع ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

٣ ـ الهوى أضرُّ ما على إنسان، وكم أضاع هذا المعنى من شرائع الله تعالى ما أضاع ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

٤ ـ هذا الخلاف الممتدُّ في مساحات الأرض على تحكيم الشريعة إنما هو لغلبة الأهواء ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

٥ ـ لو أنَّ الأمة تمحَّضت قلوبها لله تعالى، وسلّمت أمرها إليه لكان تحكيمُ الشريعة أحبَّ ما يكون إليها ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

٦ ـ معيار الإيمان في حياة الفرد والجماعة بمقدار تحكيم هذا الفرد وتلك الجماعة لشريعة الله تعالى في قضاياهم وخلافاتهم وشؤونهم ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

٧ ـ ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ دعوة لإدراك الغاية الكبرى التي خُلِقَ من أجلها الإنسان.

٨ ـ يحبُّ الله تعالى التؤدة إلّا في مواطن الخيرات، فإنّه يحبُّ أولئك السَّبَّاقين إلى ساحاتها ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

٩ ـ ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ دعوةٌ للوعيِ بالفرص، وإدراكِ المساحات التي تستحقُّ السباق.

١٠ ـ ما زال يراهن على إدراك الصف الأول، وتكبيرة الإحرام، وميمنة الصف، وسباق المؤذنين، وفي مثل هذا المعنى تناخ مطايا الصالحين ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

١١ ـ ضرب في كل واد بسهم، فهو في صفوف الجماعة الأولى، ومن أصحاب تكبيرة الإحرام، وله ورد ثابت من الصيام والعمرة والقرآن ونافلة الصلاة والذكر والصدقة، وهذا هو الوعي بهذا المعنى ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

١٢ ـ له مشروع يبذل فيه كل طاقاته، وإذا وجد فرصة سانحة للمشاركة في مشاريع الأمة وهب لها من وقته إدراكاً منه لتلك الدعوى المثيرة ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

١٣ ـ لهذا المعنى ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ قال الأول: إذا استطعت ألا يسبقك إلى الله تعالى أحد فافعل.

١٤ ـ الخطاب الدعوي فنٌّ، أراد منه السباق فدعاه ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وخشي منه التواني فذكَّره ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ وإذا أردت أن تسقي غيرك سلسبيل الأحلام فذكِّره بأمدِ تلك الآمال.

١٥ ـ يجب أن تكون الشريعة حاكمةً في كلِّ شيء ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

١٦ ـ ترك تحكيم الشريعة لأيِّ داعٍ فتنةٌ قد تودي بالإنسان إلى الضياع ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

١٧ ـ ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ قد يكون هذا التحذير من زوجك أو ولدك، يريدونك أن تلبي شهواتهم على حساب شريعة الله تعالى.

١٨ ـ كل قضية تدير رحى نقاشها في واقعك الشخصي، أو مقر عملك، أو مع زملائك ورفقتك، فيجب أن تكون الشريعة حاكمةً وضابطةً لها من الزلل ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

١٩ ـ المصالح والمفاسد التي يتحدثون عنها إذا خرجت عن إطار هذه الشريعة فهي وهمٌ لا قيمةَ لها ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

٢٠ ـ فرقٌ كبيرٌ بين من يدير كلَّ قضية على وفق هذه الشريعة، وآخر يأخذ منها ما يلبي شهواته، ويدع منها ما يتعارض معها ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

٢١ ـ ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ رسالة للمفتين وطلاب العلم وحرّاس الشريعة، ألّا يتّخذك القومُ سُلَّماً لرغباتهم وشهواتهم.

٢٢ ـ من دلائل صلاح قلبك أن تتمثّل حكم شريعة الله تعالى في كلّ شأنٍ من شؤونك ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ التولي علامة الشقاء.

٢٣ ـ إذا رأيته يستكبر عن حكم الشريعة، ويتطاول عليها، ويرفض التحاكم إلى منهجها فاعلم أنه مفتون ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾.

٢٤ ـ ما كنتُ أتصوَّر أنَّ عاقبة الذنوب تحولُ بين أصحابها وبين الحقائق لهذه الدرجة إلّا الآن ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾.

٢٥ ـ كم من ذنبٍ ألقى بصاحبه في غياهبِ الضّلال ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾!

٢٦ ـ لا تنظر للكثرة الغالبة، يكفيهم هذا الوسم ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾.

٢٧ ـ حين تغيب الحقائق عن الواقع فمن حقّك أن تسمع (فلان فعل، وأولئك صنعوا، وهذا واقع الناس، ونحن مثل غيرنا) ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾.

٢٨ ـ إذا سمعت مستدلاً بالكثرة على فعلٍ، فردَّه إلى هذه الحقيقة الغائبة عن فكره وعقله ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾.

٢٩ ـ أكثر العادات والأعراف القبلية، هي من الجاهلية التي تحذّر منها شريعة الله تعالى ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

٣٠ ـ تبلغ الغفلة بكثيرين أنهم يرون أن أحكام الجاهلية وأغلالها أمضى من شريعة الله تعالى ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

٣١ ـ غالب الجرائم التي تتمُّ تحت ستار حكم الجاهلية يتشرّب الواقع مستنقعاتها، ويمتدُّ أثرها وتتفشَّى بشكلٍ أخطرَ وأكبر ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

٣٢ ـ الشريعة حين تعالج أي قضية لا تنظر للوقت الذي يجري فيه ذلك الحكم، وإنما تنظر لمآلات ومقاصد كبرى، تترتب على ذلك الحكم فيما بعد ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

* * *

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ
أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ
يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ
مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾
وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ
إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ
وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ
وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ
يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾

التفسير

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ تحبونهم وتناصرونهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ إنما يوالي بعضهم بعضاً ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ حبّاً ومناصرةً وموالاة ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ يهودياً أو نصرانياً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ فلا يدلُّهم على خير.

• ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ نفاق أو شك ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ في موالاة اليهود والنصارى ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ نخاف أن يظفر هؤلاء، وتكون لهم الغلبة والدولة، فينالنا مكروه من ذلك ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ الذي يُعز به الإسلام ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ فيه نصر المسلمين ﴿فَيُصْبِحُواْ﴾ المنافقون ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من نفاق ﴿نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ على فعلهم.

• ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ متعجبين من حال هؤلاء المنافقين ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ المنافقون ﴿ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ حلفوا بالله تعالى ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ مؤكّدين ومغلّظين أيمانهم ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ في الإيمان وما يترتب عليه من النصر والتأييد ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بطلت ﴿فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ للدنيا والآخرة.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ فيرجع عن الإسلام ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ بدلاً منهم ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ لإيمانهم واستقامتهم ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ رحماء بهم متواضعين لهم ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ غلاظ شداد معهم ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ من أجل إعلاء كلمة الله تعالى ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ اعتراضَ معترض ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ على هؤلاء المؤمنين ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ بتوفيقه ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ بكل شيء.

• ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ هؤلاء أولياء المؤمنين في كل زمان ومكان.

• ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ﴾ بالإيمان والتقوى ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ بالحبِّ والمتابعة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالولاء والمناصرة ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ الفائزون.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا﴾ استهزاءً وسخرية ﴿وَلَعِبًا﴾ عبثاً ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من اليهود والنصارى ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ من سائر الطوائف ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ تحبونهم وتتولونهم وتناصرونهم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه، ومن ذلك عدم موالاة هؤلاء الكفار ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ بالله تعالى حق الإيمان.

التدبر

١ ـ العقيدة أصلٌ في دينِ الإنسانِ، وأيُّ خللٍ فيها مُؤْذِنٌ بضلال صاحبها، وضياع دينه ومنهجه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

٢ ـ المعرفة هي الطريق الأمثل لبناء أفكار الإنسان ومفاهيمه وتصوراته في الحياة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ لو لم تكن هذه المعرفة واضحةً لدى المسلم لضلَّ في تكوين عقيدته من بداية الطريق.

٣ ـ الاعتزاز والانتماء للأفكار التي نحملها، والمناهج والعقائد التي ندين بها، ضرورة قصوى في تكوين شخصية المسلم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ

وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

٤ ـ فرقٌ كبيرٌ بين الأخلاق التي يتمثَّلها الإنسان مع عدوِّه، مع عزته بدينه ومبادئه وعقيدته، وبين الانغماس في هوية العدو على حساب تلك العقيدة والمبادئ التي يدين بها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

٥ ـ مهما بلغ تعامل الكافر معك، سيظل الولاء الأكبر لبعضهم بعضاً على حساب كل الأعراف والمبادئ والعهود التي أبرموها معك؛ فكن فطناً عارفاً بالقوم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

٦ ـ إذا رأيته تولاهم وأحبهم وناصرهم، فلا تستغرب أن يحمل أفكارهم ويدعو إليها، فلم يبق منه إلَّا تلك النهايات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

٧ ـ إياك أن تقع في خلافِ ما نهاك الله تعالى عنه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ مهما كان عذرك تلك اللحظة!

٨ ـ موالات الكافرين بعض مظاهر النفاق ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

٩ ـ ما أشبه الليلة بالبارحة ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ لا تجهد نفسك بالبحث، ستراهم عند النائبات رأي عين.

١٠ ـ من أبشع الخسائر في التاريخ خسارة العقائد ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

١١ ـ دين الله تعالى لا يتسوّل المعرضين في منتصف الطريق، بل يمضي بمن معه، ويلقي بالمتخلِّفين في هوامش الأحداث ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾.

١٢ ـ لا تنتظر القاعدين لنصرة دينك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ فالأجيال القادمة كافية لرفع رايات الحقائق.

١٣ ـ لم يتوقف الدين يوماً من أجل بشر! حتى حين رحل الرسول ﷺ سارت الأمة في طريقها دون توقف ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾.

١٤ ـ الذين تركوا الدين، واكتفوا بالقعود، وتنازلوا عن مساحات هي في أمسِّ الحاجة إليهم، وتخلفوا عن الطريق، إنما أضرُّوا بأنفسهم فحسب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾.

١٥ ـ حملك لرايةِ دينِكَ فضلٌ منحَكَ الله تعالـى إياه؛ فإياك وعوائد المتخلِّفين! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾.

١٦ ـ لا تظنَّنَّ أنَّ الإسـلامَ انتفـعَ بِك، وذهابُك عوارٌ في طريقه، كلا! سيمضي الإسلام، وكأنَّك لم تولد مع الأحياء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾.

١٧ ـ إذا فتح الله تعالى لك مشـروعاً أو موهبة أو وظيفة أو مسؤولية لتخدم بها دينك؛ فاعلم أن الله تعالى تفضَّل عليك بذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾.

١٨ ـ ما أكثر نعم الله تعالى على عبدٍ! فتحَ له مشروعاً يخدمُ به دينه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

١٩ ـ أين هذه الولاية الشـريفة؟! ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ من ولايات النفاق والمنافقين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ ما أبعد الفرق!

٢٠ ـ ثمَّة أناسٌ مهما كانت الحوادث والطوارق والأحداث والأزمات، لا يمكن أن تتزعزع مبادؤهم وعقائدهم التي يؤمنون بها ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ
حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ وأناسٌ بمجرَّد هيعةٍ على الإســلام ينسلخون من تلك
المبادئ؛ وكأنَّها لا شيء ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ
أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ
أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ
هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ
﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ
ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ
وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا
قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم
مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ
وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

التفسير

- ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أذّنتم لها ﴿ٱتَّخَذُوهَا﴾ الكفار ﴿هُزُوًا﴾ سخرية واستهزاءً ﴿وَلَعِبًا﴾ عبثاً ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أمر الله تعالى.

- ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ هل تعيبون وتنكرون علينا ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ إيماننا بالله تعالى ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ من كتب الله تعالى على أنبيائه ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ خارجون عن طاعة الله تعالى.

- ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ من هذا الذي تعيبونه علينا ﴿مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ جزاءً وعقوبة ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ طرده وأبعده من رحمة الله تعالى ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ سخط عليه ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ ومسخ بعضهم قردةً وخنازير ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ وجعل منهم عباداً للطاغوت، وهو كل ما عُبِدَ من دون الله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ منزلةً يوم القيامة ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ أبعد عن الطريق الصحيح.

- ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ المنافقون ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ بالله تعالى ﴿وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ﴾ وقد دخلوا إليكم وهم كفار ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ﴾ وخرجوا كفاراً كذلك، لم ينتفعوا بشيء ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾ في نفوسهم.

- ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ﴾ يسارعون في المعاصي ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ على الغير ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ وأكلهم المال الحرام ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ ما أسوأ عملهم!

• ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ﴾ هلَّا نهاهم ﴿ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ علماء اليهود ورؤساؤهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ أي المعاصي ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ الحرام ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ما أسوأ صنيعهم!

• ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ محبوسةٌ عن فعلِ الخير ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ حُبِسَتْ ومُنِعَتْ ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ طردوا من رحمة الله تعالى ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ مبسوطة للعطاء ينفق كيف شاء متى شاء ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من الوحي ﴿طُغْيَٰنًا﴾ إلى طغيانهم ﴿وَكُفْرًا﴾ إلى كفرهم ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ النزاع والشقاق ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فلا يتآلفون ولا يتحابُّون ولا يتناصرون على شيء ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ يكيدون بها الإسلام وأهله ﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ بخذلانهم وتفرُّقهم وانتصار المسلمين عليهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يجتهدون فيها ﴿فَسَادًا﴾ خراباً ودماراً بالمعاصي والمنكرات ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ في الأرض بالمعاصي والمنكرات.

التَّدَبُّر

١ ـ الاستهزاء بدين الله تعالى، والعبث بقيمه ومقدراته أثرٌ من الحقد الذي يكِنُّه أهلُ الكتاب لدين الله تعالى في قلوبهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

٢ ـ كثرة الفسق موجبةٌ للطغيان ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

٣ ـ العبرة بالنهايات ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾.

٤ ـ النفاق وشأن المنافقين ظلام لم يعد يحتاج إلى إزاحة ستار! ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾ لهم وجهان كلاهما عارٍ عن الحقائق، يأتون بوجهٍ مظلمٍ، ويعودون بذات الظلام.

٥ ـ لم يعد خاصّاً باليهود فحسب ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ بل بات وسماً لبعض الذين يترددون على المساجد في كل يوم خمس مرات.

٦ ـ لو أجريت حساباً عاجلاً لعدد معاملات الربا، التي تجري في اليوم الواحد في واقع المسلمين؛ لأدركت خطر المسألة، وأثرها على مستقبل المسلمين ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

٧ ـ جولة واحدة على عدد المسجونين في فساد المال العام كافيةٌ للدلالة على اتِّباع اليهودِ فيما يصنعون ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

٨ ـ يمكنك من خلال هذا الوسم العارض أن تعيد قراءة حديث نبيك ﷺ: «**لتتعبن سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه**» قالوا: اليهود والنصارى يا رسول الله! قال: «فمن»[١] ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٤٥٦) ومسلم رقم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

٩ـ إذا رأيته لا يبالي بمعاملة ربا، ولا يتنزَّه عن مال المسلمين العام فاتلُ عليه آي الذكرى ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

١٠ـ يا طلاب العلم! أنقذوا المتورطين في الآثام والعدوان وأكلة الربا قبل فوات الأوان ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ هلَّا قام أئمتهم وعلماؤهم بواجب البيان والنصيحة!

١١ـ ما يصنع طالب علم بعلمه، وهو يرى عباد الله تعالى يتخوضون في الحرام، ولا يجدون ناصحاً أميناً ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

١٢ـ وإن مساحةً محرومةً من طالبِ علمٍ يدافع عن هذه الشريعة لهي مساحةٌ تحتاج إلى عزاء ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

١٣ـ العلماء وطلاب العلم هم حرَّاس الشريعة، والدعاة لكلِّ فضيلة، وعلى الأمة أن تعي دورهم وأثرهم الكبير في إيقاظ الأمة من سباتها، وإعادة وحدتها من خلال بيان أحكام هذه الشريعة، والقيام بواجباتها، وتعظيم شعائرها وبيان حدودها، وإلَّا تهاوت الأمة وضاعت في غياهب الشهوات، وأصبحت في النهاية لا شيء، وإذا قرأت هذه الآية قرأت عزاءً عاجلاً بعد السقوط لأمة خلت من دور العلماء ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ هلَّا قام علماؤهم بدورهم في توعيتهم ممّا يقعون فيه، وأخرجوهم من صناعة تلك الآثام!

١٤ـ إذا قامت راية العلم في مساحة أخذ دين الله تعالى حظَّه من واقعها ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

١٥ ـ يا سقى الله طالب علم، يثير حُبَّ المعرفة والعلم والأفكار في وسطه، ويعين الناس على امتثال أوامر الله تعالى كل حين ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

١٦ ـ ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ رسالة موجهة لكل طالب علم متكئ على أريكته، والعالم حوله يموج بالمنكرات!

١٧ ـ التخلّي عن الواجبات موجبٌ للخذلان! ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

١٨ ـ يا طلاب العلم! ما تقولون لله تعالى يوم القيامة حين يأتي المرابون يتخبطون في الأرض، ويشتكون أنهم لم يجدوا واعظاً يبيّن لهم حقائق الربا وآثاره في ذلك اليوم ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

١٩ ـ وإني أخشى من زمانٍ يُقاد فيه طلاب العلم إلى العذاب قبل غيرهم من العالمين. ما أقبحَ التفريط! ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

٢٠ ـ لم تُسِئ أمةٌ أدبها مع الله تعالى كما أساءت يهود ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ ويأتي متشدّقٌ ويقول عنهم: إنهم أمة حضارة!

٢١ ـ ورأيت في مثل زماننا مَنْ يسير على طريق اليهود من أبناء المسلمين، ويسيئون لدين الله تعالى صباح مساء! ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ

طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

٢٢ ـ لم يعد غريباً أن تسمع في واقعك وبيئتك ومجتمع المسلمين من يعتدي على الذات الإلٰهية، بصُوَرٍ لم تتوقعها من كافر لم يؤمن يوماً بشيء من تكاليف الدين! ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

٢٣ ـ أسوأ ما حفظ التاريخ أن يكون العلم شقاءً في حياة صاحبه ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾!

٢٤ ـ ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾ صورة بدأت تتشكل في حياة بعضنا! يتعلم فيمتلئ قلبه حسداً ورياءً لمَنْ حوله، حتى يخيل لنفسه أن جسمه أخذ حيّزاً من مساحة الأرض، فلا يعود يبصر مِنْ حوله أحداً.

٢٥ ـ إذا لم يرزقك العلم خضوعاً وخشوعاً وتواضعاً؛ فلا مفروح به في شيءٍ من واقعك ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾!

٢٦ ـ إذا كثر نزاعك، ومجادلتك، ورأيت من نفسك توقاً إلى النقاش والخلاف في حضرة الكبار، فلو جمعت كتبك وأحرقتها وعدت لمسجدك عابداً خيرٌ لك من حالةٍ ستجلب عليك شقاء الدارين ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾!

٢٧ ـ من فجائع زمانك أن ترى صغيراً، يتحدّث بغير علم في مجالس الكبار ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾!

٢٨ ـ ودَّ بعض طلاب العلم أن لو لبس مشلحه وهو لم يتخرج من مدرسته بعد! للنفوس نزعةٌ إن لم يحاصرها صاحبها بالتذكير، وإلَّا كان الموت حتفها المنتظر ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾!

٢٩ ـ كثيرة هي الحروب التي يديرها اليهود، وتقف دون نهايتها تلك السنن ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾.

٣٠ ـ ماذا لو أدرك المسلمون هذه الحقيقة ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ وأقاموا لله تعالى شأناً في كلِّ معركةٍ يديرونها مع هؤلاء المخذولين!

٣١ ـ ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ هذه رسالة اليهود التي يبشِّرون بها العالم كل حين!

٣٢ ـ ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ هذه شهادة الله تعالى لصناع الحضارة الغربية في عالم اليوم.

٣٣ ـ هل تنتظرون خيراً من قوم هذا وسمهم الكبير ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾؟!

٣٤ ـ إذا رأيتهم اجتمعوا؛ فاعلم أنهم يخططون في توسيع هذه الرسالة ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ وإذا رأيتهم شاركوا باسم الإنسانية، فقد بدؤوا في العمل لرسالتهم ومشروعهم الكبير ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾.

٣٦ ـ يا لسوءة إنسان يحدثنا عن الغرب وهم ميراث السوء والفساد ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾.

❀ ❀ ❀

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ
سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟
ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن
فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ
مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ
وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا
تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

التفسير

• ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ﴾ بالله تعالى ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ محوناها ﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ قاموا بما فيهما من أحكام ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ من سائر الكتب التي نزلت عليهم ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ ببسط أسباب الرزق لهم ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ معتدلة ثابتة على الحق ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ من الأعمال القبيحة المنكرة.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ الناس ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ ما أمرك الله تعالى بتبليغه ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ إن لم تبلغ ما أمرناك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ فلم تبلغ رسالة الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يمنعك من أذيتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ فلا يدلُّهم على الحق.

• ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من الحق ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ تعملوا بما فيهما من أحكام ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ من الكتب السماوية ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من الوحي ﴿طُغْيَٰنًا﴾ إلى طغيانهم ﴿وَكُفْرًا﴾ إلى كفرهم ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ لا تحزن ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ الجاحدين لأمر الله تعالى وشرعه.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ اليهود ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ عبدة الكواكب والملائكة ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ

وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ فيما يستقبلون ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ على ما خلفوا وراءهم.

• ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ عهدهم على الإيمان بالله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ يدعونهم إلى دين الله تعالى ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ دعاهم إلى ما يخالف أهواءهم ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟﴾ بدعوته ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ يقتلون الأنبياء.

التدبر

١ ـ الإيمان والعمل الصالح يصنعان فروقاً كبيرة، ويبسطان الخيرات في واقع صاحبهما كما يشاء ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

٢ ـ هذه رسالة موجهة لأعظم رسول في الدنيا ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ فماذا يقول طلاب العلم؟!

٣ ـ العلم أمانة ومسؤولية كبرى، يجب أن تأخذ حظَّها من الاهتمام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

٤ ـ يا طلاب العلم! دونكم هذه الأمانة الكبرى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

٥ ـ فتح الله تعالى عليه بالعلم، ومع ذلك كلّما دعي للقاء أو كلمة أو مشاركة اعتذر أو تخلّف بعد أن قضى وعداً على نفسه بالوفاء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ إن كان له قلب حي فهذا أوان الاستيعاب!

٦ ـ ثمة طلاب علم يناهضون الباطل، ويقفون في وجه المنكرات، وينشرون العلم في كل مكان، ولم تزدهم هذه الرسالة إلّا وعياً بمسوؤلياتهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

٧ ـ الرسالة، والعمل، والوظيفة تكليف وليست تشريفاً، وعلى مَنْ وهبه الله تعالى شيئاً من ذلك أن يقوم بحقها الشرعي تاماً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

٨ ـ أحسب أن في هذه الآية زجراً للقاعدين من طلاب العلم عن الوفاء بمسوؤلياتهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

٩ ـ كل قول أو دعوة أو مسألة لا تقام عليها حجج العلم وبينات الأدلة، فلا عبرة بها في الواقع ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

١٠ ـ العلم إما بينة من دليل، أو تجربة عملية تطبيقية من صاحب تخصص، وما عدا ذلك فدعاوي وأوهام لا قيمة لها في واقع صاحبها ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ

عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

١١ - لا تستغربنّ خبراً عن بني إسرائيل أياً كانت صورته، والتاريخ طافح بالمنكرات منهم ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

١٢ - حين ترى دماء الأبرياء في أرض تغتصب على أيدي اليهود فلا تستغرب ذلك، فقد سفكوا دماء الأنبياء ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

١٣ - مؤسف جداً أن نقرأ تاريخاً لليهود مملوءاً بالخيانات والظلم والبغي والعدوان، حتى على الأنبياء، وننتظر حلولاً عاجلةً من صنّاعها لحالتنا المأساوية في العالم الإسلامي ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ
عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا
يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ
ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾
لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ
إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾
مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ
ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ
ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ
يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ
لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

التفسير

• ﴿وَحَسِبُوٓاْ﴾ ظنوا ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ أي أن معصيتهم لا تجرُّ عليهم عذاباً وبلاءً ﴿فَعَمُواْ﴾ عن رؤية الحق ﴿وَصَمُّواْ﴾ عن سماعه ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ بعد أن تابوا تاب الله تعالى عليهم ﴿ثُمَّ عَمُواْ﴾ عن رؤية الحق ﴿وَصَمُّواْ﴾ عن سماعه ﴿كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ أي الذين تركوا التوبة كثير، ولم يستمر على التوبة إلّا القليل ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾ فيجازي كل عامل بعمله.

• ﴿لَقَدۡ كَفَرَ﴾ النصارى ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ لنسبتهم الألوهية لغير الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾ وحّدوه وامتثلوا أمره ونهيه ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ من يجعل له شريكاً في الملك ﴿فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ منعه من دخولها مطلقاً ﴿وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ مكانه ومستقره ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ ينقذونهم من عذاب الله تعالى.

• ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ﴾ النصارى ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ الأب، والابن، وروح القدس، تعالى الله عما يقولون ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ لا شريك له ﴿وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ﴾ القائلون ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الكذب ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾ شديد.

• ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فيرجعون إلى ما يحبه ويرضاه ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥ﴾ على ما كان منهم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٞ ٧٤﴾ بالمؤمنين.

• ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ﴾ من الرسل ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ مضت قبله رسل ﴿وَأُمُّهُۥ﴾ مريم ﴿صِدِّيقَةٞ﴾ صادقةٌ في قولها

مصدِّقة لمـا جاءها ﴿كَانَا﴾ هي وابنها ﴿يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ كسـائر البشر ﴿ٱنظُرۡ﴾ تأمل ﴿كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ نصرّفها ونوضّحها ﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾ كيف يُصرفون عن الحق.

- ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ﴾ ومـن لا يملك شـيئاً كيف يُعْبَدُ من دون الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للأقوال ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾ بالأفعال.

التدبر

١ ـ المعصية لا تبـرح أرضاً حتى تصحّرهـا، ولا تغادر واقعـاً حتى تلّوثه بالسواد ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾ لـم تبـرح أرضهم، ولم تغادر واقعهم، حتى أعمتهم عن الحق، وسـدَّت عليهم وسائلَ المعرفةِ التي بها يهتدون.

٢ ـ من الوعي أن ندرك أنّ كلَّ بابٍ أقفل في وجوهنا، وكل مشـكلة ثارت في واقعنا، كانت من تلك النافذة التي أسـأنا فيها العلاقة فيما بيننا وبين الله تعالى ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾.

٣ ـ من يُسِئ الظنَّ بربِّه ويلوِّث عقيدته بالكفر، فلا تستغرب منه كل أحداث السوء التي يصنعها في العالم بعد ذلك ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ لَّقَدۡ

كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾.

٤ ـ يالله! كم هي عظيمة رحمتُهُ! يكفرون ويشركون ويستهزئون ويصنعون فواجع المنكرات، ويَعْـرِضُ عليهم ربُّهم التوبةَ فـي الختام ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾.

٥ ـ أيها المتشائمون! هذه نافذة تطلُّ على أبواب الفأل والأمل ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾.

٦ ـ والله ما رأيت باباً أوسع عند الله تعالى من هذا الباب ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾!!

٧ ـ وإذا رأيت واعظاً يحجّر مفاهيم هذه الرحمـة، ويضيِّق من مباهجها، فاعلم أنما يتكلم عن نفسه المتكدّسة بالآلام ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾.

٨ ـ الذين لم يقرؤوا عن الإسلام شيئاً؛ لتكن هذه أول صفحة يقرؤونها في تاريخه ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾.

٩ ـ ليت الذين يعرّفون بالإسـلام يبدؤون من خـلال هذه النوافـذ المطلة على الحياة ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾.

١٠ ـ إذا رأيت شـبهة يلوكها لسـانُ منافقٍ فأغِزْ عليها بسـلاح العلم ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

١١ ـ ما استعدت الأمة على عدوها بمثل العلم ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ بيان العقيدة في عيسى عليه السلام أثرٌ من آثار العلم.

١٢ ـ الأوهام تدمِّر العقول، وتأتي على كل ما فيها من مساحات ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ ما زالت بهم حتى جعلت مخلوقاً يأكل ويشرب إلهاً يضر وينفع!

١٣ ـ تأجير العقول مشكلة كثيرين ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ هذه هي القصة بكل تفاصيلها، فلِمَ تنقادون للأوهام؟!

❀ ❀ ❀

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا
تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا
وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا
عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ
عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾
تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا
قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ
خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ
قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا
سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا
عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾

التفسير

• ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ لا تتجاوزوا الحدَّ في اعتقاداتكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ فغلوا في أنبيائهم ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ من الخلق ﴿وَضَلُّوا۟﴾ هم في أنفسهم ﴿عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ عن الطريق الحق.

• ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ طردوا وأبعدوا من رحمة الله تعالى ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ في الزبور ﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ في الإنجيل ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾ الله تعالى ﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ على حقوق الله تعالى وحقوق خلقه.

• ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ فلا ينهى بعضهم بعضاً عن فعل المنكرات ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ ما أسوأ فعلهم!

• ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالمحبة والنصرة ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ من أعمال ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ لا يخرجون منه.

• ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ تعظيماً وعملاً ﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ ما أحبوهم ولا نصروهم ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ خارجون عن طاعة الله تعالى.

• ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ﴾ لِمَا هم عليه من الحقد والحسد والكبر ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ وغيرهم من المشركين ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ محبّة ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ للمؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ

قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ الذين يقولون عن أنفسهم: إنهم نصارى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ علماء زهَّاداً ﴿وَرُهْبَانًا﴾ عُبّاداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ على الحق ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ من القرآن ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ يبكون لسماعه ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ بسبب معرفتهم للحق ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ بالله تعالى ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ على الناس من هذه الأمة يوم القيامة.

التَّدَبُّر

١ ـ الخلل في المفاهيم وراء كثيرٍ من التشوُّهات العقدية والفكرية والسلوكية ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾.

٢ ـ الغلو في الأشخاص أكبرُ خطرٍ يواجه العقيدة، ويوهن قواها في قلب إنسان ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾.

٣ ـ الغلو وراء كثيرٍ من الأخطاء والمشكلات والأزمات التي تعانيها الأمة في واقعها ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾.

٤ ـ حتى الفرد حين يختلُّ عنده هذا الميزان في أيِّ تصوُّرٍ أو قضيَّةٍ أو عادةٍ يمارسها، تختلُّ عليه كل حياته ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾.

٥ ـ العلم هو الميزان الذي يضبط الأفكار والمفاهيم والتصورات والرؤى، وينظِّمها في فلكها الصحيح ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾.

٦ ـ غالباً ما تنشأ الأوهام، والأفكار المنحرفة، والتصورات الخاطئة، بسبب الجهل ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾.

٧ ـ درس التاريخ مهم في معرفة واقع الحياة ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ ترى من خلاله الأمراض التي أصابت الأمة وكيف عاشت زمنها.

٨ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أخطر القضايا التي يجب أن تعتني بها الأمة في تاريخها ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ تخلّوا عنها؛ فاستحقوا لعنة الله تعالى من فوق سبع سموات.

٩ ـ ترك هذه الشعيرة في واقعٍ ما مؤذنٌ بحلول سخط الله تعالى وغضبه ولعنته ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

١٠ ـ حتى الفرد حين يتخلّف عنها، قد يناله من لعنة الله تعالى نصيب ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا

عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

١١ ـ يا للأسف! ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ صورها في واقعنا لا تُحصى من كثرتها!

١٢ ـ ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ لم تعد حكايةً عن الأولين، بل باتت واقعاً في حياة كثيرين!

١٣ ـ لم تعد (لا يتناهون) بل بات تَرْكُهُ حريةً شخصيّة وذوقاً وفناً وجمالاً في التعامل مع الآخرين!

١٤ ـ لو فقهنا هذا المعنى لأعاد كلُّ واحدٍ منَّا لهذه الشعيرة حقَّها الكبير ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

١٥ ـ ما أكثر تحذير القرآن من موالاة الكافرين ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

١٦ ـ موالاة الكافرين مفضيةٌ إلى سخط الله تعالى وعقابه ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

١٧ ـ إذا أردت أن تعرف أهمية العقيدة وقضايا التوحيد؛ فانظر لهذا الحشد الهائل من الآيات للتنفير من موالاة أهل الضلال ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ
هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا
ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾.

١٨ ـ لا يفوتنّ علمك أنَّ قواعدَ الشيءِ موجبةٌ لتمام البناء أو فساده، وهذا هو الفقه ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾.

١٩ ـ اليهود أعداء الإسلام والمسلمين ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ والنصارى كذلك أعداء، والآية هنا حديث عن بعض علمائهم ورهبائهم في زمن مضى، وليست وصفاً لحال القوم العام.

❀ ❀ ❀

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن
يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ
مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ
﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ
أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ
وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ
عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ
أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ
كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا
ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ
فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

التفسير

• ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ وما يمنعنا من الإيمان بالله تعالى ﴿وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ وقد جاءنا الحق من ربنا ﴿وَنَطْمَعُ﴾ نرغب ﴿أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ في الجنة.

• ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟﴾ جازاهم بسبب ذلك ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يُحوَّلون عنها ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ مع الله تعالى ومع خلقه، وهذا الوصف في طائفةٍ من النصارى كالنجاشي، كانت تعيش تلك الفترة من الزمن، وتنزّل القرآن يحكي حالها، ويبين عن واقعها، طائفة مذعنة للحق، لا تستكبر عن سماعه، ولا تستنكف عن قبوله، طائفة يهيجها القرآن، ويعصف بمشاعرها حتى يفيض الدمع برهاناً على الصدق، ولا يملكون لحظة سماعه من إعلان الإيمان بالله تعالى وسؤال الله أن يلحقهم بالشاهدين، فأما نصارى اليوم فيكفي فيهم قول الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ فلم يعملوا بها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ نار جهنّم.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ من المطاعم والمشارب ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ بتحليل ما حرم الله تعالى، أو تحريم ما أحل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ المتجاوزين لأحكامه وشرعه.

• ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ تنعَّموا بما أحلَّ الله لكم ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

- ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾ وهي كل يمين صدرت من الحالف بغير نيَّةٍ أو قصدٍ كقول الحالف: لا والله، وبلى والله ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ بما عزمتم عليه من الأيمان، وعقدت عليه قلوبكم ﴿ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ ﴾ إذا حلفتم ثم حنثتم ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ من أوسط الطعام مما جرى إطعام أهلكم منه ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ ﴾ كسوة عشرة أشخاص ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ عتق رقبة مؤمنة ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ هذه الثلاثة ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾ فيصوم ثلاثة أيام ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ هذه هي كفارة الأيمان إذا حنث فيها صاحبها ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾ من الحلف ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ فتعرفون أحكام الله تعالى فيها ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ الله تعالى على نعمه.

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ ﴾ وهو: كلُّ ما خامَرَ العقلَ وأسكره وأَذْهَبه ﴿وَٱلْمَيْسِرُ ﴾ وهو كلُّ مغالبةٍ فيها عِوَض ﴿وَٱلْأَنصَابُ ﴾ الأحجار التي يَذْبَحُ عندها المشركون القرابين تعظيماً لها، أو التي ينصبونها لعبادتها ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ ﴾ القداح أو سهام من الخشب، يكتبون عليها (افعل، لا تفعل، والثالث لا يكتب عليه شيء)، وإذا أرادوا أن يسافروا أو يفعلوا شيئاً أجالوها؛ فإن خرج افعل فعلوا، وإن خرج لا تفعل لم يفعلوا، وإن خرج غير المكتوب عليه أعادوها ﴿رِجْسٌ ﴾ مستقذر حسّاً أو معنًى ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ من فعله وتحسينه ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ ابتعدوا عنه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ تفوزون.

التدبر

١ ـ لكل فن أهله، والمتسوِّرون على محراب العلم، يجب أن توصد دونهم الأبواب ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

٢ ـ التحليل والتحريم دينٌ، يجب ألَّا تلوكه ألسنة الجاهلين بالشريعة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

٣ ـ مؤلم أن سياج الشريعة (العلم) بات كلأً مباحاً لكل إنسان ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

٤ ـ رأيته يبحث عن علاج لجسده عند أكثر الأطباء حذقاً، ويستفتي في دينه مَنْ لَقِيَهُ في الشارع ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ حتى سيارته يبحث لها عن صاحب صنعة، ودينه لا يتحرَّج أن يسأل عنه أي إنسان كان.

٥ ـ كان من فقه الكبار (لا أدري)! وقد ذهبت، فلم تعد تعرف في أزمان المتعالمين! ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

٦ ـ إذا رأيته يتهوّك في كل مسألة، ويدير شأن كل قضية في الشريعة، ويفتي في كل سؤال؛ فاعلم أنه قد تُودّع من دينه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

٧ ـ المُفْتون موقِّعون عن رب العالمين! فعليهم أن يستعدّوا للجواب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

٨ ـ أياً كان الطعام الذي يُقدَّم بين يديك؛ فاعلم أنه رزق من الله تعالى ساقه إليك، فقم بواجبه من الشكر والعرفان ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

٩ ـ من توفيق الله تعالى لإنسان، أن يتذكَّر أن كل ما بين يديه هو من نعم الله تعالى عليه ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

١٠ ـ إياك أن تبسط سفرة طعامك وعليها من دواخل الربا أو الغش ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ سواء كان ذلك في ذات الطريق أو من المال الذي جئت به هذا المال.

١١ ـ من العبث بنعم الله تعالى على صاحبها أن يستلذَّ بحرام وهو في غِنًى عنه ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

١٢ ـ كم من سفرةٍ ممدودةٍ من عرق العمال والغرباء والمجهدين في ساحات هذه الحياة ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

١٣ ـ جزء من سقف بيته، وهواء مكيّفه، وسيارته التي يركبها من أموال الربا، والمال العام، وأموال العمال والأيتام والفقراء والمساكين ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

١٤ ـ من سعة الشريعة ويسرها أنك لا تحاسب على ما يجري على لسانك من يمين دون قصد ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ وجزء من سعتها أنها جعلت لك الخيار في كفارة اليمين المنعقدة.

١٥ ـ جزءٌ من التربية الجادَّةِ التي تسهمُ في تأهيل الإنسان فرضُ عقوبةٍ على الأخطاء التي يرتكبها الإنسان في مواقفه التي يمر بها ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

١٦ ـ الجهلُ من أعظمِ الأخطارِ التي تواجهك ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ ولذلك كان هذا البيان من الله تعالى لخلقه موجباً للشكر والعرفان.

١٧ ـ انتشار العلم في مساحةٍ موجبٌ للفرح والشكر والبهجة ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ

ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ فيا سقى الله طالبَ علمٍ يهيض على واقعه بأفراحِ العلمِ ومباهجِ الخيرات.

١٨ ـ التدرج من فقه الشريعة في تعاملها مع الإنسان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ هذه الآية آخر آية في اجتثاث هذا البلاء من نفوس ذلك الجيل، ذُكّروا أولاً بأن فيه منافع ومضار، ومضاره أكبر من منافعه ثم أُمِرُوا بتركه وقت الصلاة، فلما تهيأت النفوس لذلك، وأصبحت جاهزةً لتنفيذ ما يطلب منها جاء الأمر باجتنابه بالكلية.

١٩ ـ الفلاح والفوز والنجاح فرع عن اتِّباع أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

❀ ❀ ❀

إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي
ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ
﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ
فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا
ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟
وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ
ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن
يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم
مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ
هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ
صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنتَقِمُ
ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

التفسير

• ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ بسببهما ﴿ وَيَصُدَّكُمْ ﴾ بها ﴿ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ عن فعلها.

• ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ في كلِّ ما يأمرانكم به، وينهيانكم عنه ﴿ وَٱحْذَرُوا۟ ﴾ من معصيتهما ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أعرضتم ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾ إبلاغكم بلاغاً واضحاً.

• ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ ﴾ إثم ﴿ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ﴾ من الخمر والميسر قبل تحريمهما ﴿ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ ﴾ اجتنبوا المحرَّمات ﴿ وَّءَامَنُوا۟ ﴾ بالله تعالى ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ التي تقرِّبهم إلى الله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ ﴾ خافوا الله تعالى ﴿ وَّءَامَنُوا۟ ﴾ بالله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ ﴾ خافوا الله تعالى ﴿ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ في أعمالهم.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ﴾ ليختبرنكم ﴿ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ ﴾ ببعض الصيد، وهو صيد البر الذي يأتيكم وأنتم محرمون، لا يحلُّ لكم قربانه ﴿ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ يكون قريباً منكم، وتتمكَّنون من صيده بأسهل الطرق ﴿ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ﴾ بهذا الابتلاء ﴿ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾ فيترك ذلك خوفاً منه تعالى ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ بعد ذلك التحريم ﴿ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾ شديدٌ موجع.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ وأنتم محرمون بحجٍّ أو عمرة ﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا ﴾ وهو في حال الإحرام ﴿ فَجَزَآءٌ ﴾ فعليه جزاءٌ مماثلٌ لما قتله ﴿ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾ من الإبل أو البقر أو الغنم، ينظر ما يشبهه منها فيذبحه ويتصدق به ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ رجلان عدلان يعرفان الحكم في ذلك ﴿ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ﴾ واصل ﴿ ٱلْكَعْبَةِ ﴾ فيذبح في

الحرم ﴿أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ كفارة ذلك الجزاء طعام مساكين، يجعل مقابل المثل من النعم طعامٌ يطعمُ به المساكين، فيقوَّمُ الجزاء، ويُشْتَرَى بقيمته طعامٌ فيطعَمُ كل مسكين مُدَّ بُرٍّ أو نحوه مما يكفيه ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامٗا﴾ أو يصوم عن إطعام كل مسكين يوماً ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦ﴾ عاقبة فعله ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ قبل نزول التحريم ﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ إلى قتل الصيد بعد ذلك ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُ﴾ يعاقبه ويجازيه ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾ لا غالب لأمره ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ ممَّن خالف أمره.

التدبر

١ ـ كل مخالفة لله تعالى هي طاعة للشيطان، وهي مؤذنة بفساد حال صاحبها عاجلاً أو آجلاً ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾.

٢ ـ كل ما حرَّمت الشريعة فهو حراسة للإنسان من أن يقع فيما يسوؤه في قادم الأيام ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾.

٣ ـ كم مرة تساءل الإنسان عن الحكمة في بعض البيوع لا لرفع جهله، وإنما لبيان خلوها من المفاسد المتوهَّمة، ثم في النهاية عضّ أصابع الندم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ من الفقه أن تعلمَ أنَّ ما حرَّمته الشريعة إنما هو رعايةٌ لك من المشكلات.

٤ ـ كل معاملة محرَّمةٍ تجري في واقعك، فهي توسيع في حظوظ الشيطان من واقعك ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾.

٥ ـ حرصت الشريعة على حماية دين الإنسان وعقله وماله، ووضعت كافة السبل الواقية من وقوع الإنسان في تلك الخسارة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) ﴾.

٦ ـ سيّان عند الشيطان تخلُّفك عن الطاعة، أو ما يكون بينك وبين غيرك من خلاف، كلاهما مكسبٌ كبيرٌ في النهاية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) ﴾.

٧ ـ الابتلاء سنة ربانية، ولله تعالى منه حكم ومقاصد عظيمة، يتحقق منها مراد الله تعالى في النهاية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) ﴾.

٨ ـ تدريب الإنسان وتأهيله لتحمُّل أعباء هذا الدين، من خلال هذه الابتلاءات التي يجريها الله تعالى عليه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) ﴾.

٩ ـ ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ درسٌ عمليٌّ تطبيقيٌّ للمبادئ التي تعلّمها الإنسان في حياته.

١٠ ـ الانضباط صورة تطبيقية لأثر مفاهيم الدين على صاحبها، سواء كان ذلك في الالتزام بأوامر الله تعالى والمحافظة عليها، أو في الابتعاد عن حدود الله تعالى وحرماته ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾.

١١ ـ ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ يجري هذا المقصد حتى في سفرك، وخلوتك في غرفتك، وسهرك بين جدرانها.

١٢ ـ ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ حين يتهيأ لك مالٌ في وقت حاجة، وخلوةٌ بامرأةٍ ولا رقيبَ في المكان، وتوقيعٌ على معاملةٍ يغيّر مسارها، وتجري في صالحك في قادم الأيام.

١٣ ـ المخالفة مع قيام حجج الله تعالى دليل على فساد النفوس ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ ﴾.

١٤ ـ العبادات ليست صوراً مجرَّدةً من معانيها، بل فيها التزاماتٌ ضخمةٌ تؤهِّل الإنسانَ للاستعلاء على الشهوات العارضة في الطريق ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ ﴾.

١٥ ـ الخطأ الذي يمارسه صاحبه عن عمدٍ لا تمرره الشريعة خالياً من الجزاء، بل تؤدب صاحبه، وتذيقه مس العقوبة، حتى يتأهل للعمل والانضباط في مستقبل أيامه القادمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾.

١٦ ـ مع عناية الشريعة بالانضباط في حياة الإنسان، وحرصها على تأديبه عند المخالفة ليرتفع عن حضيض الشهوات؛ إلَّا أنها في المقابل لا تريد إعناته والإشقاق عليه، بل يكفيها منه أن يأتي بالمطلوب في ضوء خيارات ممكنة ترسمها له الشريعة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ
عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ
قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟
عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ
سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا
جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

التفسير

• ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ وهو كل حيوان ممَّا لا يعيش إلَّا في البحر ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ الميت منه ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ لمن كان مقيماً منكم ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ وللمسافرين يتزوَّدون به في سفرهم ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ ما دمتم متلبِّسين بالإحرام ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ تُجمعون وتُجازون.

• ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ يقوم به أمر دينهم ومعاشهم ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ الأشهر الأربعة الحرم جعلها الله تعالى كذلك، قياماً للناس يأمنون فيها من القتل وانتهاك الحرم ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ ما يذبح في الحرم ﴿وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ ما يعلّق على الهدي ليعرف به أنه هدي ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لا يغيب عليه من علمها شيء ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾.

• ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ لمن أذنب ثم تاب من ذنبه.

• ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ إبلاغكم دين الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ ما تظهرون ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ ما تسرّون.

• ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ من الأعمال والأقوال والأموال ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ حتى لو كان الخبيث كثيراً؛ فإنه رديءٌ خبيثٌ لا فائدةَ في كثرته ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يا أصحاب العقول ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ تفوزون بمطلوبكم، وتصلون إلى غاياتكم.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ لا تسألوا رسول الله ﷺ عن أشياءَ لا حاجةَ لكم بالسؤال عنها ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ﴾ تظهر وتُبيّن ﴿تَسُؤْكُمْ﴾ يسوؤكم ظهورها ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾ حين نزول القرآن ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ تظهر وتتّضح ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ عن كلِّ مسكوت ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ لا يعاجل المذنبين بذنبهم.

• ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ هذه المسائل المتنطّعة ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ ممَّن سبقكم ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ جاحدين لم يعملوا بما فيها.

• ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ وهي: الناقة التي يشقّون أذنها، ويحرّمون ركوبها ﴿وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ وهي: كلُّ دابّةٍ إذا بلغت سنّاً معيَّناً سيَّبوها، فلا تُركب، ولا يُحمل عليها، ولا تُؤكل ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ وهي كل ناقة إذا ولدت أنثى بعد أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم ﴿وَلَا حَامٍ﴾ وهو الفحل إذا أنتج من صلبه عشرة قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلأ ولا ماء ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بهذه الأفعال ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ أمر الله تعالى وشرعه.

التَّدَبُّر

١ ـ منّة الله تعالى على المسلمين بهذا الحرم الذي جعله الله تعالى سبباً لكثير من مصالحهم ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ وإذا رُزق الإنسان فِقه هذا المعنى أقبل على هذا البيت حاجّاً ومعتمراً، وبقي في نفسه يرتوي من جلاله وفضله.

٢ ـ ما زال بعض المسلمين يرون بركة هذا الحرم حسِّيَّةً فيتمسَّحون بكل جدار فيه ظانِّين أن في هذا الرواء الذي ينشدون! ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ بركة الحرم معنويةٌ، ولا تتم إلَّا بقيام هذه المعاني في قلب المؤمن وإجلاله لشعائر الله تعالى في رحاب ذلك البيت.

٣ ـ ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ دعوة للتوازن في المنهج الذي يسلكه صاحبه في التعامل مع هذه الشريعة.

٤ ـ لا مكانَ للرجاء الكاذب، ولا للخوف الزائد عن حدِّه ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾.

٥ ـ يجب أن يكون المسلم بين جناحي الرجاء والخوف، ورجحان أحدهما على الآخر انحرافٌ وإفراطٌ مفضٍ لعواقبِ الحرمان ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾.

٦ ـ البلاغ وظيفة الرسل ومهمة الكبار ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ وما زالت هذه الوظيفة الكبرى تحتاج إلى كبار.

٧ ـ البلاغ الذي يشير الله تعالى إليه هو البلاغ المستوفي لشروطه، من العلم الكافي، والإبانة في الخطاب، والروح التي تصحبه وتلازمه، والحرص على هداية العالمين من خلاله، وليس ذلك الذي يؤديه صاحبه رغبة في الفكاك من مسؤوليته ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

٨ ـ لو أُخذ هذا الواجب بحقِّه لتحرَّر كثيرٌ من الناس من الأوهام والشركيّات، والأفكار الباطلة، والتصورات الخاطئة ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

٩ ـ لا يستوي طيّبٌ يتوافق مع هذه الشريعة، وباطل مماكسٌ لها وخارج عن أدبها وحدودها ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

١٠ ـ الكثرة التي يصحبها الخبث لا تصنع واقع صاحبها، وإنما تدفع به إلى مواقف الخذلان ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ والطيب وإن كان قليلاً بسيطاً، لكنّه مؤذنٌ بنهايات الخير والتوفيق.

١١ ـ يبيع سيارته بمبلغ كبير وفيها عيبٌ لم يظهره، فتدور عليه دوائر الزمان، فتذهب كل تلك الكثرة ويبقى الخسران ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ ويبيعها بقليلٍ طيّبٍ صادقٍ فتطيب بذلك القليلِ الثمارُ.

١٢ ـ كم من جمالٍ سَلَبَ عقولَ الناظرين، دفع فيه صاحبه أموال الدنيا، ثم عاد عليه بالخسران في كل شيء ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ وكم من جمالٍ عادي عاد على صاحبه بالخيرات.

١٣ ـ يسأل فلان عن عدد أولاده فيقال: عشرة؛ فيقول مسروراً بالعدد والكثرة: ما شاء الله! ويسأل آخر عن عدد أولاده، فيقال: اثنان؛ فيسكت، محتقراً للقلّة ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ هذا حساب العوام، وكم من شأنٍ صنعه الواحد، والاثنان! وكم من رزايا خلَّفتها الكثرة!

١٤ ـ هذا يستغني بمالٍ قليلٍ في معاملةٍ ماليةٍ رغم حاجته، وذاك يكاثر بمال في

معاملة ربوية ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

١٥ ـ ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ هذا حساب الشريعة، وثمة حسابات تديرها الجاهلية بإمعان!

١٦ ـ رأيت أسرةً لم تنجب إلّا ولداً واحداً، طاف بها في النهاية مشارف التكريم والعز، وصنع لها صوتاً مدوّياً في رحاب الأمة، ورأيت أسرة أنجبت عدداً كثيراً تعرّفت من خلالهم على السجون ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

١٧ ـ العجلة مرضٌ يداهم كثيرين، ويضعهم في مرات كثيرة في مواقف محرجة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

١٨ ـ جزء من المشكلات التي تداهمنا، وتأخذ مكانها من واقعنا، أننا نبحث عن الجديد والغريب والقادم، وما بين أيدينا لم يتم استثماره بالشكل الأمثل، أو لم نبدأ بالاستفادة منه بشكل عملي لحظة سؤالنا عن الجديد ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

١٩ ـ مشغول بالآخرين، ويسأل: لم هذا طلّق! وأين تزوّج فلان! وما خبر معاملة فلان في المحكمة! ولِمَ تنازع فلانٌ وفلان، وما يزال يجري في وادي الشتات حتى

يصاب بالخـذلان ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾.

٢٠ ـ قال ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»(١) رسالةٌ مثيرةٌ تصلح في مواجهة هؤلاء العابثين ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾.

٢١ ـ ما زلنا بحاجةٍ ماسَّـةٍ جداً لإدارة فنِّ الممكن، والمسـاحة المتاحة قبل أن نتطلّع لتلك المساحات المجهولة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾.

٢٢ ـ المساحة التي بين يديك أكثر المساحات التي تحتاج إلى تحفيز العمل والبناء والتحديـات ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾.

٢٣ ـ سنموت وتلك المساحات الممكنة سيسـألنا الله تعالى لِمَ لم نتمَّها ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ فما لنا ولذلك الغيب المجهول.

٢٤ ـ درِّبْ نفسك ألَّا تسألَ عن شيءٍ ليس في مساحتك ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾.

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٣١٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢٥ ـ ما كان من شأنك فأدر فيه مساحات البناء والعمل، وغير ذلك دَعْهُ للبطالين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) ﴾.

٢٦ ـ الفضول ليس من شأن الكبار في شيء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) ﴾.

٢٧ ـ ما أحوجنا للتركيز ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) ﴾ تركيزك على ما في يدك ومساحتك ودائرة تأثيرك أثمن بكثيرٍ من تلك المساحات.

٢٨ ـ التحليل والتحريم من شأن الله تعالى فحسب، وليس للإنسان فيه شيء سوى الامتثال ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣) ﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ
لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ
فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۙ
وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ
أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ
مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ
أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ
أَيْمَـٰنِهِمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

التفسير

• ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إلى شرع الله تعالى وحكمه ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ فيما يأمركم به من شرع الله تعالى ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا﴾ كافينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من دين ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ حتى لو كان آباؤهم لا يعلمون من الحقّ شيئاً ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ إلى الحق.

• ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ اجتهدوا في إصلاحها وكمالها ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ من الناس ﴿إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ إلى الحق ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم﴾ يخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ من أعمال.

• ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ شهادة بعضكم على بعض ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ فرأى علاماته ودلائله ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾ حين تريدون أن توصوا بشيء ﴿ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ فأشهدوا منكم اثنين عدلين ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ من الكفار إن لم تجدوا مسلمين يشهدون ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إن كنتم مسافرين ﴿فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ فحضركم الموت وأنتم على حال السفر ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ توقفانهما بعد الصلاة ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ الشاهدان الكافران ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم أنهما كاذبان ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ﴾ بالأيمان التي حلفناها لكم ﴿ثَمَنًا﴾ مقابلاً من الدنيا ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ حتى لو كان المشهود عليه قريباً له ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ بل نؤديها كما سمعناها ﴿إِنَّآ﴾ إن كتمناها ﴿إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ الواقعين في الإثم.

• ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ فاطلع بعد التحليف ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا﴾ الشاهدان ﴿ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ وجد من القرائن ما يدل على كذبهما أو خيانتهما ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ فحالفان

آخران ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ فيشـهدان ويحلفان ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ من أقرب الناس إلى الميـت ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ يحلفان بالله تعالى ﴿لَشَهَـٰدَتُنَآ﴾ التي نؤديها لكـم الآن أنهما كذبا وخانا ﴿أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا﴾ أصحُّ وأصدق ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ عليهما كذبـاً ﴿إِنَّآ﴾ إذا قلنا خلاف الحق ﴿إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ لأنفسنا.

• ﴿ذَٰلِكَ﴾ توكيد شـهادتهم بالأيمان ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب ﴿أَن يَأْتُوا۟﴾ الشاهدان الآخران ﴿بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ الصحيـح دون تحريفٍ أو تبديل ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ لا تقبل أيمانهم فتـرد مرة أخرى على ورثة الميـت ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ اجعلـوا بينكم وبيـن عذابه وقاية بفعـل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ ما تؤمرون به ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ لا يوفقهم إلى الحق.

التَّدَبُّر

١ ـ تأجير العقول مشـكلةٌ أزلية ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ يُدعون إلـى حكم الله تعالـى ويأبون إلّا شـريعة الآباء والأجداد!

٢ ـ ركام العوائد والعادات والتقاليد يأبى إلّا أن يأخـذ مكانه في واقع كثيرين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ ما أكثر عوائد الجاهلية التي أركست كثيرين في مهاوي الردى.

٣ ـ رأيت عبيداً كثر في هذه الأغلال لم يتحرروا منها بعد ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾.

٤ ـ يزوِّج ابنته على محرَّمات، ويحمّل ولده ديوناً باهظة، ويصنع قضايا لا تقرها العقول فضلاً عن الشريعة، وأقرب جواب يأتيك ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾.

٥ ـ المسؤولية ذاتية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

٦ ـ بعد بلوغك جهدك، وسعيك في إصلاح العالمين، وقيامك بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يضرُّك ضلال العالمين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

٧ ـ حاول جهدك أن تنقذه من الغرق؛ فإن أبى إلَّا ذلك الواقع، فالأمر إليه في النهاية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

٨ ـ كمال هذه الشريعة، أنك لا تكاد تجد قضيّةً يحتاجها الإنسان غير محكومة فيها إما نصّاً أو قياساً ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ

عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ
فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾
ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

٩ ـ كفلت الشريعة ضمان حقوق الناس على بعضهم، وسنَّت لهم الأنظمة التي تكفل لهم ذلك حتى في أضيق الظروف ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ
ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ
إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ
بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ
لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ
ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ
وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ
بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ
﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ
ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

التفسير

• ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ من أممكم ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ بذلك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ تعلم كل غيب، وتعرف كل شيء.

• ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ﴾ حين خلقتك من غير أب، وجعلتك رسولاً ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ إذ اصطفيتها على نساء زمانها ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ قويتك ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ بجبريل عليه السلام ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ تدعوهم إلى الله تعالى ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ في حال صغرك ﴿وَكَهْلًا﴾ وفي حال كبرك ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الكتابة والخط ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وضع الأمور مواضعها ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ الكتاب الذي أُنزل على موسى ﴿وَٱلْإِنجِيلَ﴾ الكتاب الذي أنزل عليك ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾ تصوّر من الطين كهيئة الطير ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ فيما صوّر ﴿فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾ كسائر الطيور ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾ من ولد أعمى تجعله بصيراً ﴿وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى﴾ وتشفي مَنْ به مرض البرص ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ فيقومون أحياءً من قبورهم ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ﴾ دفعت وصرفت ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ حين أرادوا قتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الواضحة البيّنة ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ من بني إسرائيل ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ واضح بيِّنُ الدلالة.

• ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ ألهمتهم وألقيت في قلوبهم ﴿أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ بذلك ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ منقادون مطيعون لله تعالى ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ تلاميذ عيسى عليه السلام ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ

يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وهذا ليس شكّاً منهم في قدرة الله تعالى، فإنهم كانوا مؤمنين، وإنما طلباً منهم للطمأنينة كما فعل إبراهيم عليه السلام ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ بالله تعالى حق الإيمان.

• ﴿قَالُواْ﴾ الحواريون ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ من تلك المائدة ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ بكمال قدرة الله تعالى ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ فيما تدعونا إليه ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ عند من لم يحضرها من بني إسرائيل.

التَّدَبُّر

١ ـ حتى المشاريع الضخمة تأتي آثارها يوم العرض ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾.

٢ ـ أثرك وموقعك يوم القيامة على قدر جهدك وعرقك في مشروعك ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾.

٣ ـ ثمة سؤال كبير يوم القيامة عن النتائج، والأحداث التي قضاها الإنسان في رحاب أفكاره، وهمومه ومشاريعه ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾.

٤ ـ قبل أن يجري عليّ وعليك هذا السؤال الكبير عن النعم، نحتاج أن نجري لها حساباً عاجلاً قبل ذلك السؤال ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ

وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾.

٥ ـ من مقاصد حساب النعم، القيام بواجبها من الشكر والعرفان، والعمل والتضحية والبناء ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾.

٦ ـ كثيرة هي النعم التي أسبغها الله تعالى عليك، تحتاج إلى شكر وعرفان ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ تأمل في مهاراتك الشخصية، وما أعطاك الله تعالى من القدرات، وأدر شأنها في مساحات دين الله تعالى.

٧ ـ للمعجزات والآيات التي يؤيّد الله تعالى بها عباده المؤمنين مقاصد من تثبيت الأتباع، وإفحام المخالفين، وقيام الحجج والبينات ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ
خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ
مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾
وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي
وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ
أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي
نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا
قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ
عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ
عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ
وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ
يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾
لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾

التفسير

- ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ نجعل يوم نزولها عيداً ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ لمن في وقتنا ولمن يأتي من بعدنا ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ دليلاً وحجَّةً على كمال قدرتك ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ أفضلهم وأكملهم.

- ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ ما طلبتم من المائدة ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ بعد نزولها ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ عذاباً شديداً لم يسبق أن ذاقه أحدٌ من العالمين.

- ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهو يعلم تعالى أنه لم يقله، وإنما يوبِّخ بذلك النصارى ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ أُنزِّهك عن ذلك ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ ما قلت ذلك، لأنه لا حقَّ لي فيه ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾ من أسرار وأخبار ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ لا يغيب عنك من علم الأشياء شيء.

- ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾ فقلت لهم ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ قوموا بحقِّه من العبادة ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ حفيظاً ورقيباً ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ الحفيظ ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ حفيظاً ورقيباً.

- ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ تحكم فيهم ما تشاء، وتصنع فيهم ما تريد ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ما فعلوا ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ لا غالب لأمرك ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ في تدبير شأنك وخلقك.

• ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ﴾ أي يوم القيامة ﴿يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في أقوالهم وأفعالهم ﴿صِدْقُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾ بساتين ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ لا يخرجون منها ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بما فعلوه من الطاعات ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بما آتاهم من النعيم ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ الكبير.

• ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ فكلُّ شيءٍ ملكه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ يفعل ما يشاء.

التدبر

١ ـ إذا أردت أن تحقق أمانيك فتعلّق بواهب الأشياء ومعطيها، وما لك وللمخلوقين ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

٢ ـ الدعاء أكثر الطرق أثراً في واقع صاحبه ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

٣ ـ الكبار يدركون كيف يبلغون أمانيهم، ومن أين يأتون لصناعة تلك الأماني ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

٤ ـ شفقة المصلحين على أممهم ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ سألوه شيئاً كبيراً وفيه تعنتاً، ومع ذلك أجابهم وتلطّف إلى ربه من أجلهم.

٥ ـ الأدب صناعة الكبار ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ أنزل علينا ولم يقل أنزل عليهم، وكأنه شريكٌ لهم في الطلب.

٦ ـ كثرة الحجج والبينات والدلائل موجبةٌ لزيادة العذاب حين التخلف عن القيام بواجباتها ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

٧ ـ ما أكثر تبعاتكم يا طلاب العلم بين يدي الله تعالى يوم القيامة! ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ تعرفون مراد الله تعالى، وتدركون حكمته، فكيف تتخلَّفون عن منهجه وشريعته!

٨ ـ في ساحات القيامة فرقٌ كبيرٌ بين جاهلٍ لا يدري ما طُلِبَ منه، وبين طالبِ علمٍ استوفى من حجج الله تعالى ما يكفيه للإيمان ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

٩ ـ كم من مستكثر لحجج الله تعالى يوم القيامة دون وعي ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

١٠ ـ فعلاً للعلم تبعات ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

١١ ـ كم من طالبِ علمٍ يحفظ نصوص الوحيين، ولا تقيمه فواجع الزمان من فراش نومه ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

١٢ ـ رأيت طلاباً للعلم هم أكثر المتخلِّفين عن شرفه وواجباته ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

١٣ ـ حتى الجواب على الأسئلة فنٌّ مستقلٌّ يحتاج إلى دراسةٍ وإمعان ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾.

١٤ ـ من كمال عقلك وجمال أدبك التأدُّب في خطاب الله تعالى ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ تعرف سيما طلابِ العلم من حديثهم.

١٥ ـ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ هذه الآية من بدائع الأدب في التعامل مع الله تعالى، قال ابن القيم رحمه الله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ولم يقل (الغفور الرحيم) وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى؛ فإنه قال في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم إلى النار، فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعة، بل مقام براءة منهم. اهـ.

١٦ ـ إذا لم تُرزق في علمك خشيةً وأدباً وجمالاً في الخطاب، فلا مفروح بتلك الأوقات المصروفة في سبيل ذلك المشروع ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾.

١٧ ـ لكلِّ بدايةٍ نهاية ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن

تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

١٨ ـ قد يطول طريقك ومسافة مشروعك وزمن فكرتك، ولكن لكلٍّ ذلك موعد نهاية ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ حتى في الطريق إلى الجنة ستجد مصاعب، تحتاج إلى طول صبر، ولكنك بالغٌ في النهاية ما تريد.

١٩ ـ كم من مشغولٍ عن هذه النهايات، وها هي بين يديه ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

٢٠ ـ القيم والمثل والمبادئ مكلفةٌ ومجهدةٌ ومتعبةٌ، ولكن لها نهايات مشرقة ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

٢١ ـ كل النهايات التي عاشها أصحابها لها زمن، تتوقف فيه، وتنتهي صلاحيتها، إلَّا هذه النهاية فإنَّها ممتدةٌ دون زوال ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

٢٢ ـ ليت المشغولين بنهايات هذه العاجلة التفتوا إلى تلك الأماني الكبار ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

٢٣ ـ إذا سمعت بفوزٍ ونصرٍ وفرحٍ وبهجةٍ فقِسْه على هذه النهاية في عالم الآخرة
﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ
أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

٢٤ ـ انتهت الدنيا وانتهى معها كلُّ شيء ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ
لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ
ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

٢٥ ـ كم من لعاعٍ عاجلٍ انشغلَ به أهلُهُ وأصحابُهُ حتى أشرقت شمس هذه
النهايات ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

٢٦ ـ الصدق يصنعُ مباهجَ الحياة ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾
لا أعني صدق القول فحسب، وإنما أعني صدق النيات والأقوال والأعمال.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ الأَنعَامِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ
وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ
تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ
ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن
لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن
تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾
وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ
أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

التفسير

• ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد كله لله تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ وخلق الليل والنهار ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ يسوُّونه بخلقه في العبادة والتعظيم.

• ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ خلق أباكم آدم من طين ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أي الموت ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ أي الآخرة ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾ تشكّون.

• ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ المعبود فيهما ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾ ما بينكم وبين أنفسكم ﴿وَجَهْرَكُمْ﴾ ما تعلنون ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ ما تعملون.

• ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ تدلهم على الحق ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾ لا يلقون لها بالاً ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ فلم يمتثلوه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟﴾ أخبار ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾ ما كانوا يأخذونه على سبيل السخرية والاستهزاء.

• ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أمّة ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمال والبنين والملك ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ ما لم نعطه إياكم ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ غيثاً كثيراً غزيراً ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ مبالغة في نعيمهم ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ بسبب ذنوبهم ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ أمّةً أخرى.

• ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ مكتوباً في أوراق ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ تيقنوا منه وعرفوه ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ واضح بيّن.

• ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ هلّا أنزل عليه ملك نراه ويكلمنا ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ عليهم ﴿لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ لهلكوا عند عصيانهم مباشرة ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾ لا يمهلون.

التَّدَبُّر

١ ـ التفكر في الكون، والتأمل في خلق الله تعالى، والتعرف من خلاله على بديع صُنعه مفضٍ بصاحبه إلى الإيمان بالله تعالى وتقواه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾.

٢ ـ ما أحوج قلوبنا وعقولنا ومشاعرنا وأفكارنا إلى النظر في ساحات هذا الكون البهيج ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾.

٣ ـ لو لم يكن التأمُّل في الكون كافٍ للذكرى لما عرّض الله تعالى بإعراض الكافرين في هذا الموطن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾.

٤ ـ حين تعمى القلوب عن الحقائق، لا تقنعها مشاهد الكون بما تراه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾.

٥ ـ حتى من سبر حياة الإنسان في الدنيا، وخروجه منها، وخلافة الأجيال لبعضها بعضاً يدرك أن ثمة غايات كبرى في انتظار الإنسان ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾.

٦ ـ أياً كان عملك الذي تجتهد فيه، فإنه لا يغيب عن نظر الله تعالى وعلمه منه شيء ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ وثمة أيام للحساب والجزاء.

٧ ـ حتى أسرارك التي تخفيها في قلبك، أو التي تودعها جوالك، أو التي تضع عليها أرقاماً سرية، لا تغيب عن علم الله تعالى، ولا يفوته منها شيء عليه ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

٨ ـ هذه العلانية منك شهودها كُثر يوم القيامة، بقيت أسرارك مهما بلغ تحفظك عليها، لها يومٌ لا يغيب منها شيء ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

٩ ـ مؤلمٌ أننا نجهد بكلٍّ ما نملك في إغلاق النوافذ التي تطل منها أسرارنا على من حولنا، ونغفل عن تلك الأبواب المشرعة بيننا وبين الحي القيوم ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

١٠ ـ قبيحة جداً تلك اللحظة التي ندير فيها سراً عن العالمين، ومفضوحاً بين يدي العليم الخبير ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

١١ ـ كل كسبك وعملك وجهدك أياً كان نوعه وصورته فهو في علم الحكيم الخبير، لا يغيب عنه منه شيء ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

١٢ ـ ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ حتى ما تخوض فيه جوارحك، ومالك الذي دخل عليك، ونيتك التي تجري في قلبك، وحبر قلمك الذي يجري في قضية من القضايا التي تخصُك، أو تجري في شأن أمتك، وكلمتك التي تدفع بها قضية أو تُقرُّ بها أخرى، وكل شيء.

١٣ ـ إذا عميت القلوب فلا تنتظر مفروحاً به في قادم الأيام ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ ﴾.

١٤ ـ هذا يتحسَّس من كلِّ شيء، وذاك لا يبالي بشيء ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ ﴾.

١٥ ـ بعض الموقنين يتأثر من قلة بركة راتبه، وزيادة دَينه، وسوء خلق زوجه ودابته، وعثرات الطريق التي تستقبله في بعض الأيام، وآخرون لو أنزل عليهم كسفاً من السماء ساقطاً لما حرّك فيهم ساكناً ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ ﴾.

١٦ ـ التاريخ خير الواعظين ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦ ﴾ لو قرؤوه بإمعان لرأوا الحقائق رأي عين.

١٧ ـ فرق كبير بين من يقرأ للتسلية والمعرفة المجردة، وبين من يقرأ للذكرى والعظة ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦ ﴾.

١٨ ـ كم من أمة لم يبق لها إلَّا ذكريات السوء! ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦ ﴾.

١٩ ـ حتى الذين مكنهم الله تعالى، وعاشوا في مباهج النعيم، جرت عليهم عاديات الزمان في لحظة ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦ ﴾.

٢٠ ـ الذنوب وراء كل مســاحة بؤس حلّت بفردٍ أو جماعة ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾.

٢١ ـ إذا نالك شــيء من وعثــاء الطريق فتذكّر ســالفاً، يحتاج إلى اســتعتاب ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾.

٢٢ ـ أحدهم كان حافظاً لكتاب الله تعالى ضابطاً له، وآخر بسط الله تعالى له في الرزق، وثالث كان يعيش اجتماع شــمل أسرته وأهله، ثم ما لبثوا أن ضاع منهم كل شيء ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾.

٢٣ ـ لا تعجب من إغداق نعيم الله تعالى علــى المعرضين؛ فإن ذلك نوع من الاستدراج ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾.

٢٤ ـ إذا لم ترزقك النعمة حســن إقبال وإلَّا فقد قطع ســوء التوفيق مسافة في الطريق إليك ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾.

٢٥ ـ الذنــوب لا تبدد النعــم فحســب، وإنما تهلك كل شــيء ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾.

٢٦ ـ ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ رسالة لكلِّ مصرٍّ على ذنب لم يتب منه حتى الآن.

٢٧ ـ قد يتأخر جزاء الذنب، ولكنه إذا جاء تــرك ذلك النعيم بلقعاً، لا واقع له ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾.

٢٨ ـ مهما بلغت الحجج فإنَّها لا تصنع جديداً في واقع المخذولين ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾.

٢٩ ـ شهدوا حوادث مؤلمة، وخرجوا في مرّاتٍ كثيرةٍ من عنق الزجاجة، ورأوا مواقف مبكية، ومـا زالوا على منكراتهم وعبثهـم وفوضويتهم، لم يتغيّر منهم شيء ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

٣٠ ـ ليست المسألة كثرة الدلائل والبراهين أو قلتها، المسألة الكبرى في القلوب المعرضة التي لا تكاد تستفيد من حدث ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا
يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ
سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ
كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا
رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾
۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾
قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا
يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ
رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا
كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

التفسير

• ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا﴾ ولو جعلنا المرسل إليهم ملكاً ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ لجعلناه على صورة رجل ليتمكنوا من رؤيته ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ ولخلطنا عليهم، فلا يعرفون أهذا ملك أم بشر يدّعي أنه ملك.

• ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾ سُخر ﴿بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ ممّن سبقك ﴿فَحَاقَ﴾ أحاط ونزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ عاقبة استهزائهم.

• ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ امشوا فيها ﴿ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾ تأملوا ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ كيف كان عقابنا لهم ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً وتدبيراً ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ هي لله وحده، لا شريك له.

• ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ فأوجبها عليه تفضلاً وكرماً ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بسبب ما فعلوه ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ بالله تعالى.

• ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ له كل ما في الكون من مخلوقات ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لجميع الأصوات ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ بكل الأحوال.

• ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ كيف اتخذ ولياً من دون الله! ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما ومبدعهما ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ الناس ما يحتاجون ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾ لأنه لا يحتاج إلى مخلوق ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله تعالى في كلِّ شيء ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ بالله تعالى.

• ﴿قُلْ﴾ لهم يا رسول الله ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ خالفت أمره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ شديد.

• ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ﴾ يُصرف عن العذاب ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدۡ رَحِمَهُۥ﴾ الله تعالى ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ أعظم فوز وأوضحه.

• ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ﴾ يُصِبْك ﴿بِضُرّٖ﴾ من مرضٍ أو فقر ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ فلا يرفعه إلَّا الله تعالى ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ﴾ يُصِبْك ﴿بِخَيۡرٖ﴾ من صحة وعافية ورزق ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ يفعل ما شاء.

• ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ الغالب عليهم ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ بالسرائر والضمائر.

التدبر

١ ـ من شؤم الإنسان أن يختار لنفسه غير ما اختار الله تعالى له ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ٩﴾ ينزل الله تعالى عليهم رجلاً من جنسهم فيقولون: لو كان ملكاً لكان أفضل وأحسن وأولى.

٢ ـ من فقهك ووعيك أَنْ تعلمَ أنَّ خيارَ الله تعالى ألطفُ لك وأعظمُ من خيارك لنفسك ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ٩﴾.

٣ ـ ليست المشكلة في نقص وسائل الدعوة، ولا في قدرات ومؤهلات الداعية، إنما النقص الكبير في القلوب الرافضة للهداية، والمصرَّة على النكوص في الرذيلة ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨﴾.

٤ ـ من عقبات الطريق هذه الألسن المتطاولة على حملة الرسالة، وكُتّاب التاريخ، وأصحاب المنهج ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾.

٥ ـ قد تمتدُّ هذه العقبات فتأخذُ كلَّ زمن الداعية، ولكنها في النهاية إلى الخذلان ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

٦ ـ موكب الشرف الكبير ذاق ما تعيش مضضه أنت هذه الأيام ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

٧ ـ لم يحدث منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا أن موكب الإيمان سَلِمَ من سفهِ السّفهاءِ، أو استهزاء المستهزئين ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ هذه سنة الله تعالى التي لا تتخلّف عن الطريق.

٨ ـ الذين يتخيَّلون هذا الدين فراشاً وثيراً، ولقاءات سمر، وأحاديث أُنسٍ فحسب فليقرؤوا ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

٩ ـ انتظروا يا أصحابَ المنهجِ أيّامَ النصرِ والعزِّ والفرج ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ هذا المعنى مرَّ بالسابقين، ثم ذاقوا الأفراح.

١٠ ـ حتى في قبور حيِّك ومجتمعك، فيها مشاهد كثيرة من هذه الذكريات ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾.

١١ ـ يذكّر القرآن بضياع مستقبل كثيرين ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ فإياك وتكرار تجارب المخفقين!

١٢ ـ ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ﴾ درس في العقيدة، وإعادة تأهيل الإنسان لمجريات الحياة.

١٣ ـ الحرية تستنشق هواءها العذب من هذا المعنى الكبير ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾ ليس لأحد من المخلوقين شيء في هذا الكون.

١٤ ـ تُغيِّرُ هذه الآية على الذين صنعوا من أنفسهم طواغيت ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾.

١٥ ـ حتى لو بلغ بك المرض مبلغه، والوجع أشده، والظروف مداها، وحلَّ في واقعك كل بؤس فتأمل ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾ هو الذي يدبر كل شيء.

١٦ ـ لو اجتمع أهل الأرض قاطبة على أن ينفعوك أو يضروك ما صنعوا شيئاً؛ لأنَّ المُلك لله ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾.

١٧ ـ حتى لو كنت في غياهب السجون، وفي أرض الغربة، وفي أحلك الظروف وأسوئها فهذه هي الحقيقة ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾ لتشرق لك الحياة من جديد.

١٨ ـ ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾ باب أمل في زمن الظروف الصعبة والواقع المر، وعوائق الطريق.

١٩ ـ إذا أمضَّك الواقع، وضاقت بك الظروف، واشتدَّت عليك أزمات زمانك فتذكر ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾.

٢٠ ـ ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ﴾ رسالة للمتردّدين من آثار الذنوب والمعاصي!

٢١ ـ إذا قرأت هذا المعنى ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ بوعي أدركت أن كل ما تصنعه من العصيان، لا يعدو شيئاً مقابل هذه الحقيقة الكبرى.

٢٢ ـ أياً كان ذنبك وخطيئتك وأوزارك التي تقضُّ مضجعك، تذكر هذه الحقيقة الكبرى ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ وانهض لإصلاح واقعك، وتغيير مسارك في الحياة.

٢٣ ـ ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ هذا المعنى يخلِّصك من ظروفك، وأوزارك، وظلام واقعك، ويفتح لك أبواب الأمل في مستقبل الأيام.

٢٤ ـ قم من مقعدك، وابدأ رحلة زمانك، وإياك أن تبقى مأسوراً في ظلام لحظة أو ضيق مساحة ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾.

٢٥ ـ الذين يقرؤون هذا المعنى بوعي هم الذين يستقبلون الحياة بفرح ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾.

٢٦ ـ ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ هذا المعنى يزيدك تقديراً وإجلالاً لربك، وتعظيماً وحبّاً له، لا كما يفعل المغرقون في الشهوات حين يزيدهم أمناً، فيقعون في الحرمات اغتراراً به، وفألاً في غير محله.

٢٧ ـ أرأيت صاحب الفعل الجميل كيف يأسرك! ويدفعك إلى التفاني في حبه وإكرامه وتقديره، كذلك ينبغي أن يأسرك هذا المعنى مع ربك كل حين ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾.

٢٨ ـ الخسارة الكبرى لقوم ولدوا في الأرض، وخرجوا منها بالموت، ولم يتعرفوا على حقيقة الإيمان التي جاؤوا من أجلها ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٢٩ ـ ماذا يقول الذين يقدمون على الله تعالى يوم القيامة وقد فرَّطوا في أعظم الغايات ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٣٠ ـ حتى لو ذهب مالك، وتعرضت لحوادث الدنيا كلِّها، ووقفت العقبات في طريق مجدك، كل ذلك لا يعادل خسـارة دينـك ورؤيتك الكبـرى في الحياة ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٣١ ـ كل النجاحات التي تحقَّقت لك، إذا لم تكـن موصولة بالإيمان والعمل الصالـح، وإلّا فـلا مفروح بهـا في شـيء ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٣٢ ـ ما بالهم يذهبون أشتاتاً والحقائق بين أيديهم ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾.

٣٣ ـ رأيتهم يتجمعـون على أبواب الخلق يريدون نفعـاً عاجلاً، وهذا المعنى باسط في واقعهم ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾.

٣٤ ـ ما أحوج الطائفين بالقبور، والمتعلِّقين بالخلق إلى قراءة هذه العقيدة من جديد ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾.

٣٥ ـ إذا تلقَّت الأمة درس العقيدة في بادئ أمرها، صلح شـأنها في الخواتيم ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾.

٣٦ ـ يا لله ما أحوجنا إلى هذه الذكرى! ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ ﴾.

٣٧ ـ لا ينقصنا في زمن الماديات سوى هذه المواعظ التي تدلف على القلوب ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ ﴾.

٣٨ ـ ما تصنع الشهوات يوم الوقوف بين يدي علام الغيوب ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ ﴾.

٣٩ ـ لا يوقف زحف هذه المنكرات والشهوات والماديات، التي تعرض للإنسان في كل مكان إلّا واعظ هذه الذكرى ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ ﴾.

٤٠ ـ ليتنا ندرك أن أحلام الشهوات متبوعة بالحسرات ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ ﴾.

٤١ ـ أغلقَ بابَ غرفته، وأطفأ إضاءتها وبين يديه شهوات العالم، وتذكّر ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ ﴾ فاخضلّت عيناه بالدموع وقام يتوجه للقبلة، ويحيي ليلاً مشبعاً بالأفراح ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ ﴾.

٤٢ ـ كلّما يمّمَ وجهه لديار الغرب والسفر والغربة قام يتلو ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ ﴾.

٤٣ ـ إذا صرف الله تعالى عنك الذنوب فقد رحمك ﴿ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ ﴾.

٤٤ ـ من الابتلاء أن يجعلك الله تعالى في أوساط تؤجج فيك أتراح الذنوب ﴿ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ ﴾ رأيت بعضهم

يفرح أن جعله الله تعالى في وسطٍ، يتمكن فيه من الوصول إلى شهواته، وآخر مغتماً يبحث عن سبيل للخروج.

٤٥ ـ إذا وقعت في ذنب، فقد فاتك من رحمة الله تعالى بحسبه، وإذا نجوت من ساحاته، فقد نالك من رحمة الله تعالى بقدر أفراحه ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾.

٤٦ ـ ليت الذي أصيبَ بالحديث في أعراض المسلمين أدرك أنه جافى طريق الرحمة بإصرار ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾.

٤٧ ـ النجاةُ من الذنب والمعصية فوزٌ في ساحات الدنيا؛ لأنه انتصار على الشهوات، وفوز في ساحات الآخرة؛ لأنه تحقيق للغايات ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾.

٤٨ ـ لا تقلق من ذلك المرض الذي يداهمك، والمصائب التي تواجهك، والأزمات التي تعترض طريقك؛ فذلك قدر الله تعالى عليك قبل أن تخلق ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾.

٤٩ ـ بذل الأسباب التي تقيك المرض مطلبٌ شرعيّ، لكن أن تتحوّل تلك الأسباب إلى نسيان المسبب وهو الله تعالى فذلك الخلل ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾.

٥٠ ـ لو بذلت كل ما تملك لتدفع قدر الله تعالى عنك ما كان بوسعك أن تصنع شيئاً ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾.

٥١ ـ لو آمنَّا بهذه الحقيقة ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ لعشنا مطمئنين في الحياة.

٥٢ ـ لا تستبعد خيراً ينالك؛ فالله يملكُ كلَّ شيء ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾.

٥٣ ـ إذا وقف اليأس عارضاً في طريق أحلامك، فكُرَّ عليه بهذه العقيدة الصلبة ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾.

٥٤ ـ مسكين هذا العالم، إنما يجري عليه قدر الله تعالى فحسب ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾.

٥٥ ـ في مرَّاتٍ كثيرةٍ يصطفُّ خبراء الاقتصاد؛ ليتحدثوا إلينا عن أسباب النكبات المادية، ولم يتحدثوا مرَّةً عن هذه الحقائق الربانية ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾.

٥٦ ـ ما يصيبك مع الأيام لا يأتي عبثاً، وإنما يجري وفق حكم كبرى لا يخرج عنها شيء ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ
ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ
ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ
رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا
يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ
أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن
يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ
فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

التفسير

• ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ على صدقي ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على أني رسول الله تعالى ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ منه تعالى ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ من عواقب المخالفة ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ وأنذر من بلغه هذا القرآن ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ تقرُّون بذلك ﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ على ذلك؛ لأنه خلاف الحق ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريك له ﴿وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ من الأوثان والأنداد.

• ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة والإنجيل ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ يعرفون رسول الله ﷺ ورسالته ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ معرفة تامة ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بما أوقعوها فيه من الكفر والمعاصي ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ بالله تعالى حق الإيمان.

• ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لا أحد أعظم ظلماً ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فقال كذباً على الله تعالى ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ مع وضوحها ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ فلا يصلون إلى شيء.

• ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ بالله تعالى ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ تفترون وتكذبون أنهم لله شركاء.

• ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ لم يكن جوابهم حين يختبرون ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ ينكرون شركهم بالله تعالى.

• ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بإنكار ما وقع منهم من الشرك ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ زال وضاع ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يكذبون.

• ﴿ وَمِنْهُم ﴾ من المشركين ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ حين قراءتك للقرآن ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ حتى لا يفقهوا كلام الله تعالى ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ ثقلاً وصمماً ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ من آيات الله تعالى ﴿لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ﴾ كما أراد الله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ ﴾ يا رسول الله ﴿يُجَٰدِلُونَكَ ﴾ فيما تدعوهم إليه ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ حكايات لا حقيقة لها.

• ﴿ وَهُمْ ﴾ أي المشركون بالله تعالى ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ عن الإيمان بالرسول ﷺ ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ يبتعدون عنه ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ بما يفعلون ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ أنهم يهلكونها بذلك.

• ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ وذلك يوم القيامة ويعاينونها ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾ إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ﴾ نادمين على ما حصل منهم من تكذيب ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ بالله تعالى.

١ ـ من لم يرد الله تعالى هدايته، فلن تملك له من الله تعالى شيئاً ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ رغم شهادة الله تعالى على صدق رسالته ﷺ إلّا أنهم ظلّوا على إعراضهم وتكذيبهم.

٢ ـ القرآن الوسيلة الأولى والأهم والأكثر تأثيراً في مشروع الدعوة إلى الله تعالى ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾.

٣ ـ ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ رسالة للدعاة ألا يبرحوا مساحة هذا القرآن في تأصيل التوحيد والشريعة في نفوس المسلمين.

٤ ـ إذا رزق الله تعالى الداعية فقهاً في كتاب الله تعالى، وحسن استدلال، وصوتاً شجيّاً دخل قلوب السامعين من أقرب الطرق وأيسرها ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾.

٥ ـ حين تتحوّل المعرفة إلى مجرّدِ ركامٍ لا قيمة فيها لشيء ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

٦ ـ كثير من المعارف التي تزدلف في أوساط وسائل التواصل الاجتماعي كمعارف اليهود عن النبي ﷺ لم تمنحهم شيئاً في سعادة الدارين ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

٧ ـ رأيت من يملك المعرفة لم تنفعه في واقعه في شيء ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ورأيت بعض العوام يديرون شؤونهم بامتياز.

٨ ـ ليست العبرة بالكثرة، وإنما بتحويل تلك المعارف إلى مباهج من العمل والتطبيق ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

٩ ـ ماذا يقول أولئك الذين يتهوّكون في آيات الصفات كما يشاؤون يوم القيامة ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ غاية الظلم أن يتقوّل إنسانٌ في شريعة الله تعالى كما يشاء.

١٠ ـ ما رأيت ظالماً حاز مساحةً في التوفيق ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

١١ ـ كل الأوهام تنتهي وتتلاشى يوم القيامة، ولا يبقى منها شيء ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

١٢ ـ ما أسرع ضياع الأفكار والعقائد الوهمية والتصورات الخاطئة عن صاحبها في ذلك اليوم ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

١٣ ـ حين تؤجَّرُ العقولُ لا تبقى فيها مساحةٌ للتفكير ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

١٤ ـ حتى في زمان الحريات ما زلنا نرى عبيداً للأفكار والمفاهيم والتصورات ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

١٥ ـ ما كلُّ وسيلةٍ صالحةٌ للانتفاع ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

١٦ ـ الوسائل التي أودعها الله تعالى في الإنسان (القلب، والأذن، والعين) إذا لم يصحبها توفيق من الله تعالى، وإلّا لم تغنِ صاحبها في شيء ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

١٧ - كم مرة وقفت الذنوب حائلاً دون الانتفاع ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥)﴾.

١٨ - يسمعون آلاف المواعظ، ويقفون على فجائع الحوادث، ويرون مشاهد الموت تترى بين أعينهم، ولا تحرك فيهم ساكناً، تلك هي آثار الذنوب والمعاصي ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥)﴾.

١٩ - كم مرَّةً لَحَدَ موتى كُثُراً في قبورهم، وخرجَ ولَمْ يُجِبْ داعي الله تعالى في أعظم فريضة ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥)﴾.

٢٠ - إذا رأيته معرضاً فلا تجهد نفسك في إقناعه؛ فمسافات الذنوب أشقُّ ما تجتاز ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥)﴾.

٢١ - إذا رأيت من نفسك بعداً عن الحق، وتثاقلاً عن الواجب، وألماً يطارد روحك؛ فلعلَّ ذنباً اغتال الأفراح التي في قلبك، وألقى بك مضطراً في وادي الشتات ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥)﴾.

٢٢ - كان السلف إذا تأخَّرَ عليهم فهمُ شيءٍ من مسائل العلم أدركوا أن تلك غائلة الذنوب، وأدمنوا الاستغفار ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن

يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

٢٣ ـ كم من أمنيةٍ جاءت بعد فوات الأوان ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ وكم من مقبور يتلو ذات الذكرى في هذه اللحظة!

٢٤ ـ ما زلت في زمن الفرص، وأيام العمل، ومواطن الإمكان؛ فاستنهض ما بقي من عزيمتك لاستثمار تلك الأماني ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

٢٥ ـ من جمال القرآن أنه يوقفك على أحداث مستقبلك كأنك تراها، ولا تفوت الذكرى إلّا على جاهل ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

٢٦ ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ خلف هذه الحسرات صديقُ سوءٍ مدَّ في ساحات ظلامها، حتى أودى به إلى الخسران.

٢٧ ـ يتمنَّى الآن أن لو دفع كلَّ شيء مقابل الاستعتاب، وقد فات الأوان ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ ليتنا نعي!

❀ ❀ ❀

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا
بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾
قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً
قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ
ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ
وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ
نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ
ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن
قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ
لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ
كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ
سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى
ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾

التفسير

• ﴿بَلْ بَدَا لَهُم﴾ ظهر وبان ﴿مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ من الكفر والنفاق ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟﴾ إلى الدنيا ﴿لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ مرة أخرى ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فيما يقولون.

• ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ الكفار ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ لا قيامة ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ بعد الموت.

• ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ العذاب الذي ترون ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ صدقاً وواقعاً ﴿قَالُوا۟﴾ الكافرون ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ إنه حق ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ بسبب كفركم وإعراضكم.

• ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ وأيُّ خسارةٍ أعظمُ من فوات حظِّهم من الآخرة!

• ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿قَالُوا۟﴾ الكافرون ﴿يَٰحَسْرَتَنَا﴾ يا ندامتنا ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ في الإيمان والعمل الصالح، وضيَّعنا أعمارنا دون فائدة ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ بئس ما يحملون.

• ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ هذه حقيقتها ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ﴾ أفضل وأحسن ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الله تعالى بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ ما يراد منكم.

• ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ﴾ يسوؤك يا رسول الله ﴿ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ لك من الاستهزاء والسخرية ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في أنفسهم لعلمهم

بصدقك وأمانتك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ينكرونها جحوداً واستكباراً.

• ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ كذَّبهم أقوامهم وآذوهم ﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟﴾ في سبيل الحق ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ فنصرناهم في النهاية على المكذِّبين ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لا مغيّر لكلمات الله تعالى التي وعد فيها بنصر المؤمنين ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ فقد بلغك من أخبارهم ومعاناتهم في سبيل الحق.

• ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ شقَّ عليك ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الحق ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لتأتيهم بآية دالَّة على صدقك غير ما أتيناك ﴿أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ترقى عليه ﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ دالَّة على ذلك؛ فافعل ذلك؛ فإنه لا يفيدهم شيئاً ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ لهداهم أجمعين ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ بذلك.

التدبر

١ ـ القلوب المعرضة لا تنفع فيها الحجج ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

٢ ـ المسألة ليست نقصاً في مواد الهداية، وإنما كِبرٌ وإعراضٌ أوجَبَ لهم الخذلان ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

٣ ـ غيابُ الرؤية وراءَ كثيرٍ من الضياع ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٤ ـ يتسـيَّبُ في وظيفته، ولا يقوم بشـؤون بيته، ولا يكترث بالمنكرات التي يعارض بها منهج الله تعالى، وإذا غابت الرؤية لا تستغرب شيئاً من هذه الصور ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٥ ـ الاعترافات المتأخرة لا تغني عن أصحابها شيئاً ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٦ ـ ماذا لو كان هذا الاعتراف مبكِّراً، واستنفدت فيه الطاقات والجهود ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٧ ـ المفرِّطون في الحقائق أكثر الناس ندماً يـوم القيامـة ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٨ ـ ﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ كان دونهـا ألف عذر، ولم يبقَ اليوم دونها شيء!

٩ ـ كلُّ أحلام الدنيا وأحداثها تموتُ أمامَ هـذه الحقيقة المُرَّة في الختام ﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

١٠ ـ حين تغيب الرؤية لا يبقى شيء ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾.

١١ ـ حتى في بيتك وعملك ومشـروعك وفكرتك التي تجهد في بنائها، حين تغيب منها الرؤية، تصبح الحياة مُملَّةً ومجهدة، ويموتُ فيها كلُّ شيء ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾.

١٢ ـ يلفظ أنفاسه في حادثٍ على الطريق، ويتقلّب على فراشِ مرضِ الموت، وحالُ الواحدِ مِنْ هؤلاء ﴿يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾.

١٣ ـ كانوا في سعة من أمرهم فلِمَ جعلوا للأحزان والحسرات مرتعاً في أيامهم ومستقبلهم؟! ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١﴾.

١٤ ـ ماذا بقي لهم من كلِّ أفراح الحياة التي عاشوها، وأيام الجمال التي وجدوها، ورحلة الأشواق التي جرَّبوها ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١﴾ ليتهم فقهوا!

١٥ ـ ما زلنا في أيام التعويض قبل هيعاتِ الحسرات ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١﴾.

١٦ ـ أيُّ أوزارٍ تلك التي يحملونها على ظهورهم في مشاهد القيامة ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ كلٌّ أعْرَفُ بوزرِهِ الذي سيأتي ينوءُ به ظهره في تلك اللحظات، فليتخفَّفِ اليومَ قَدْرَ وسعه وطاقته.

١٧ ـ هذه هي الحياة الدنيا باختصار ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾.

١٨ ـ إلى كل الذين يتقاتلون على الحياة الدنيا، ويتدافعون من أجلها، ويتهاجرون في سبيلها: هذه هي الحقيقة ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾.

١٩ ـ ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ لا تكفي قراءتها مرة، لا بُدَّ أن تعيدها مرَّات!

٢٠ ـ كل همومنا التي فرغناها في سبيلها ضاعت دون شيء ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾.

٢١ ـ كل الأحداث التي تمّت على ظهرها، إن لم تكن متصلة بتلك الدار، وإلَّا فلا مفروح بها ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾.

٢٢ ـ الحياة التي يجب أن يبذل فيها ولها كل شـيء ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾!

٢٣ ـ الذين يدركون هذه الحقيقة بوعي، يدفعون في سبيلها كلَّ شيء ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

٢٤ ـ لا تستغرب أن ترى مجاهداً ترك أهله وودَّع وطنه، وذهب يلقي بروحه في سبيل الله تعالى، ولا تندهش أن ترى من جاوز عمره الثمانين، لم يتخلّف عن بيوت الله تعالى، وما يزال مرابطاً على تكبيرة الإحرام، ولا تسـأل لم هذا الإنسان يدفع بأمواله في الصدقات، هذا هو الجواب ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

٢٥ ـ إذا رأيته يتخلف عن مشاهد هذا النص فاعلم أنه غير كامل الإدراك ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

٢٦ ـ التلبّس بالأفكار يصنع هذه الأحزان ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

٢٧ ـ إما أن تعيش لمشـروعك وفكرتك بهذا الشعور ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وإلَّا فـلا مفروح بجهد تفرغه في سبيله بعد ذلك.

٢٨ - حتى الكبار يحزنون، ويتعبون، ويقلقون، وتنتابهم مشـــاعر الأسى، نظير ما يرون من مشـــاهد الإدبار ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

٢٩ - هذا الإعراض الذي تراه حيال مشـــروعك وفكرتك ليس لشخصك، وإنما لفكرتك التـــي تحملها فـــي العالميـــن ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

٣٠ - الأفكار هي التي توجب هذا الصراع الكبير ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

٣١ - عش فارغاً، ولن تعرف طريقاً إلى هموم الكتاب والمصلحين ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

٣٢ - الأفكار والمشـــاريع هي التي أدالت حروباً في واقـــع الحياة، والفراغ لم يصنع شيئاً حتى الآن ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

٣٣ - إنما أنت جزءٌ من رحلة الكبار ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٣٤ - منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا وصراع الأفكار محتدم، لم يهدأ بعد ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٣٥ - علمتني الحياة أن الكبار يعيشون مســـتمتعين بأفكارهم ورؤاهم ومشاريعهم رغم ما يلقون في سبيلها من لأواء ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟

وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ ﴿فَصَبَرُوا۟﴾ درس في الاستمتاع!

٣٦ ـ لم يبق على النصر الذي تنتظره إلّا مسافة الطريق ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

٣٧ ـ لا تستطيلوا مســافات النصر، فكم من قادم أوشك على الوصول ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾.

٣٨ ـ ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ ليس بالضرورة تلك الصورة التي نراها في الانتصارات الحسية، فالثبات على العقيدة والمبدأ والفكرة في حدِّ ذاته نصرٌ كبير.

٣٩ ـ الذين ماتوا في سبيل أفكارهم، ورحلوا من الحياة من أجل تلك المعاني، هم كذلك ممّن كانوا على شرف هذا المعنى الكبير ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾.

٤٠ ـ ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ بانتصاره في الحرب على عدوه، وبالثبات على مبدئه، وبدمه الذي بذله في النهاية في سبيل رسالته وقضيته وفكرته في الحياة.

٤١ ـ الحياة الآمنة لا تصنع مكاناً صالحاً للإنبات ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

٤٢ ـ إذا لم تلق فكرتك معارضين فهي فكرة باردة لا قيمة لها في واقع الأحداث ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

٤٣ ـ في عُرف الرسالات والأفكار الحيَّة والمفاهيم الكبرى، لا يسمح لك بعرض ما لديك، إلّا إذا كنت مستميتاً وغارقاً في فكرتك ومشروعك ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ

مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

٤٤ ـ إعراض المتكبِّرين عن الحق سنَّةٌ منذ فجر التاريخ ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

٤٥ ـ أياً كانت عقبات الطريق ومشـكلاته وأحداثه؛ فالنصر للإسلام رغم أنوف المعارضين ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ كُذِّبت هذه الرسل، وفي النهاية انتصرت.

٤٦ ـ هذه الأحداث والعوارض التي يخلقها الله تعالى في طريق المصلحين، إنما هي ابتلاء، وإلَّا فالخواتيم للإسلام ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

٤٧ ـ منذ فجر التاريخ إلى يومنا هـذا والإسـلام يكثر ولا يقـل، ويتوسـع ولا يضيق، ويزداد ولا ينقص ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

٤٨ ـ ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ رسالة تسلية لكل العاملين لدين الله تعالى، تبشِّـرهم بأن نصر الله تعالى لهم قريب، وفرجهم أوشك على الانبلاج، وقادمُ الأيام أبهجُ بكثيرٍ من سابقها، وضيقُها إلى زوال.

❀ ❀ ❀

۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ
قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن
دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا
فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ
يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ
أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ
تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا
تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ
أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾
فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ
لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا
ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا
فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

التفسير

- ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ لدعوتك ﴿ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ بقلوبهم ما ينفعهم ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ موتى القلوب ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ للحساب والجزاء.

- ﴿وَقَالُوا۟﴾ المكذبون للجزاء ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ هلَّا أنزلت عليه آيةٌ ومعجزةٌ تدلُّ على صدقة ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ تدل على ذلك.

- ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أمر الله تعالى في ذلك ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ في السماء ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في الخلق والرزق ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مِن شَىْءٍ﴾ كلها مدونة مضبوطة ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ يجمعون يوم القيامة.

- ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ﴾ عن سماع الحق ﴿وَبُكْمٌ﴾ عن قول الحق ﴿فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ ظلمات الكفر والمعاصي ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ عن الحق ﴿وَمَن يَشَأْ﴾ هدايته ﴿يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ سبيل واضح لا عوج فيه.

- ﴿قُلْ﴾ لهم يا رسول الله ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ فجاء وقت عذابكم ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ قامت عليكم ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ تلك اللحظة ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ في أن هذه الآلهة تنفع وتضر.

- ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ فلن تدعوا غيره ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ فيرفعه ويزيله ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ تنسون في وقت المحنة ما تشركون به.

• ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ﴾ رسلاً ﴿إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ ممَّن سبقك فكذبوا بالرسل ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ الأمراض ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢)﴾ يلجؤون إلى الله تعالى.

• ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلّا ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ لجؤوا إلى الله تعالى ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ صلبت وغلظت ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٤٣)﴾ زيّن لهم عملهم وجمّله في نظرهم.

• ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ من الفقر والمرض ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من ملذّات الدنيا ومتاعها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾ من الخير والمتاع ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤)﴾ آيسون من كل خير.

التدبر

١ ـ إذا مات القلب لم يبقَ شيءٌ من الجوارح صالحٌ للهداية ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦)﴾ وهؤلاء كالموتى لو حدثتهم بكلِّ شيءٍ ما فقهوا عنك ما تقول.

٢ ـ يجب أن يركّز خطاب الدعوة على إيقاظ القلب قبل أن يكلّف الجوارح بشيءٍ من الأعمال، فإذا خضع القلب انقادت الجوارح ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦)﴾.

٣ ـ إذا صلح القلب واستقام على أمر الله تعالى استقبلت الجوارح كل التكاليف، وقامت بها على أتم ما يكون ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦)﴾ «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله**»[1].

(١) رواه البخاري رقم (٥٢) ومسلم رقم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير ﵁.

٤ ـ ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ رسالة لكل إنسان، تدعوه للانشغال بموارد الصلاح والهداية أكثر مما يشتغل بغيرها.

٥ ـ كم من إنسان يعجبك مظهره، وتراه أمام المواعظ ميتاً، لا حراك به ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

٦ ـ القلب مورد الحياة، والجوارح فرع عن هذا المورد الكبير ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

٧ ـ هذا العالم الذي تراه بين يديك من الحيوانات والطيور والأشياء أمم، خلقها الله تعالى لغاياتٍ ومقاصدَ كبرى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

٨ ـ من الغفلة التي تداهم القلوب أن ترى أن هذه المخلوقات لا غاية لها في شيء ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

٩ ـ من حُسْنِ أدبك، ولطيف علمك، وكمال عقلك أَنْ تَهِبَ من وقتك وفكرك ومشاعرك أوقاتاً للتأمل في هذه العوالم الكبرى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

١٠ ـ عظيم قدرة الله تعالى، فكل ما تراه في هذا الكون يجري في علم الله تعالى وقضائه وقدره، لا يتخلّف عن الله تعالى منه شيء ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

١١ ـ سوء عاقبة الإعراض عن الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ أعرضوا

عــن الله تعالــى فجعلهم كالصــم الذين لا يســمعون حديثــاً، والبكــم الذين لا يستطيعون نطقاً، وكالقوم الذين يعيشون في تيه الظلام.

١٢ ـ هكذا تصنع الذنوب في حياة صاحبها ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ تُلغي كل الأدوات والمنافذ الصالحة للعمل، ولا تبقي لها حياة.

١٣ ـ لا تحتقر ذنباً أياً كان حجمه، فالذنوب قد تُغيِّــرُ على كثيرٍ من النعم، فلا تبقي لها أثراً ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾.

١٤ ـ ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ ليست بداية، وإنما بعد ركض صاحبها في الطغيان، وإصراره على العقوق.

١٥ ـ ﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ كذلك ليست بداية، وإنما بعد أن نهض يجري في طريق الهداية بكلِّ ما يملك.

١٦ ـ الخطوات الأولى هي التي تصنع مباهج الربيع، أو مسافات الصحراء القاحلة في تاريخ إنسان ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

١٧ ـ المحاجة العقلية ضرورة لبعض المعارضين ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾.

١٨ ـ حتى ما يصيبنا من البلاء والعذاب والآلام والمشــكلات والأزمات، إنما يريد الله تعالى بها إعادة قلوبنا إليه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

١٩ ـ إذا أصابتك جائحة في زمانك، فتذكّر أن الله تعالى يريد بها شأناً جميلاً في حياتك ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

٢٠ ـ بعضهم تعيده المحن إلى ربه، وتخبت بقلبه إليه، وتذيقه حلاوة المناجاة التي حُرم منها منذ زمن طويل ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ وبعضهم لا تصنع فيه جديداً.

٢١ ـ دقائق ما بعد المحن والأزمات أنفس منها قبل ذلك عند المعتبرين ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

٢٢ ـ يا رب! هذه التي تردِّدها في آخر ليلك، وفي أثناء محنتك، وفي زمن بلواك، يحبُّها الله تعالى، ومن أجلها تدار لها أحداث الزمان ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

٢٣ ـ مؤلم غاية الألم أن تراه منكوباً، ولم يرعَوِ بعد عن الفوضى العارمة في وقته وحياته ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

٢٤ ـ إذا رأيته في عمق المحنة لا يلبس جلباب الخوف والرجاء وحسن الإقبال؛ فاعلم أن الشيطان قد بلغ منه مداه ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

٢٥ ـ ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ليست مجرَّد غواية، إنما زينة تجري في قلبه وتبلغ مداها في فكره ووجدانه.

٢٦ ـ هكذا تصنع الشياطين مع كثيرين ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

٢٧ ـ لا تستغرب حين تجده فرحاً بما هو فيه من الانحراف ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

٢٨ ـ إذا رأيت نعيم الدنيا فتح لك أبوابه؛ فاعلم أن ذلك نوعٌ جديدٌ من البلاء ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

٢٩ ـ يا سبحان الله! لمّا لم يعتبروا بالبلاء، ولا ردهم إلى الله تعالى، فتح الله لهم أبواب الرخاء، وأدال عليهم من هـذا الباب ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

٣٠ ـ قد يأتـي النعيم على صاحبـه فيفتح له أبواب الخـذلان ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ
أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ
إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ
يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ
جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ
ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ
ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى
خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ
إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا
تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ
رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾
وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ
مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن
شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

التفسير

• ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ هلكوا عن آخرهم، لم يبق منهم أحد ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ على قدره فيهم.

• ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ فبقيتم بلا سمع ولا بصر ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فلم تفقهوا شيئاً ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ يردُّ عليكم ما أُخذ منكم ﴿ٱنظُرْ﴾ تأمل ﴿كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نفصِّلها ونبيِّنها ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ يعرضون عنها.

• ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾ فجأة من غير شعور منكم به ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ ظاهراً عياناً ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ فلا يهلك إلّا الظالمون.

• ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ للعصاة المعرضين ﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾ بالله تعالى ﴿وَأَصْلَحَ﴾ حاله مع ربه تعالى ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبل ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ على ما فات ومضى.

• ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ فلم يعملوا بها ﴿يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ بسبب فسقهم.

• ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ مفاتيح رزقه ورحمته ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ من الملائكة ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ من ربي فأبلغكم إياه ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ من لا يرى شيئاً ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ من يرى كل شيء، وكذلك لا يستوي الضالُّ عن الطريق والمهتدي إليه ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أمر الله تعالى.

• ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ﴾ بالقرآن ﴿ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ فهم أدعى لقبول ذلك الإنذار ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ من دون الله ﴿ وَلِيٌّ ﴾ يتولى أمورهم ﴿ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ يشفع لهم عند الله تعالى ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

• ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ﴾ عن مجلسك ولقائك ﴿ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ يعبدونه ﴿ بِٱلْغَدَوٰةِ ﴾ أول النهار ﴿ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ آخر النهار ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ مخلصين له تعالى ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ فعملهم لهم وعليهم ﴿ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ وكذلك عملك لك وعليك ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾ عن مجلسك ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ لتعدِّيك عليهم بطردهم.

التَّدَبُّر

١ ـ هكذا هي نهاية كلِّ ظالمٍ في الحياة ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ فلا تستبطئ نهاية الظالمين، وإن طال الطريق.

٢ ـ نهاية الظالم نعمةٌ تستحقُّ الفرح والشكر ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

٣ ـ إذا أعمى الله تعالى القلوب لم تنتفع بشيء من الحق ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ هذا الوعيد الذي يتوعد الله تعالى به هؤلاء بعد أن رفضوا كلَّ أساليب الدعوة التي وجهت إليهم، ورفضوا الاستجابة للحق الذي جاء به رسول الله ﷺ.

٤ ـ لا قيمةَ للجوارح إذا لم تَهْدِ صاحبها لدين الله تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦)﴾.

٥ ـ أسوأ شيء أن تتحوّل هذه الوسائل من نعم تحتفلُ بالمنهج والرسالة، وتمدُّ في أثرها، إلى نقمٍ تقفُ دون الحق، وترفض أن تستقبله بوعي ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦)﴾.

٦ ـ إياك وطول الأمل ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٤٧)﴾.

٧ ـ كم من إنسانٍ بات على نعيم الله تعالى، فأصبح على بلقع الحياة ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٤٧)﴾.

٨ ـ هذه مهمة الرسل والدعاة والمصلحين منذ فجر الرسالات إلى يومنا هذا ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (٤٩)﴾.

٩ ـ ستظلُّ الدعوة باسطةً واقعها في كل مساحة، والمستقبلون لها هم الذين يصنعون لها ربيعاً مدهشاً في حياتهم ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (٤٩)﴾.

١٠ ـ تنتهي مهمة الرسل عند البلاغ، وليس لهم أن يقتادوا الخلق إلى الحق مجبرين ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (٤٩)﴾.

١١ ـ التنويع في الخطاب ضـــرورة ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ ولزومُ طريقٍ واحدٍ ليس مِنَ الفقهِ في شيء.

١٢ ـ إذا كنت من هواة وعشاق خطاب البشارات، فثمَّة أناس غارقون في الشهوات، لا تنفع فيهم إلَّا زواجر الوحي ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.

١٣ ـ التركيز على أحد الأسلوبين (البشارة أو النذارة) يولّد فساداً في التصورات، فقد تخرج البشـــارة بمنهج الإرجاء، وقد يأتي أســـلوب النذارة بمنهج الخوارج ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.

١٤ ـ لن ينالك من الدعوة إلَّا خيراً ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

١٥ ـ مَنِ اســتجَابَ للأنبياء والدعاة والمصلحين لقي خيراً في الدارين ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

١٦ ـ ســعادتك في الدارين وقفٌ على طاعة الرسل ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

١٧ ـ لو آمن العالم بهذه الرســالة لعاش في طمأنينــة الحياة كلِّها ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

١٨ ـ ليس عذاب الآخرة فحســب، وإنما عذاب الدارين ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

١٩ ـ الفسق والتكذيب مؤذنٌ بعذاب الله تعالى في الدارين ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

٢٠ ـ الرسل بشـــر، لا يملكون من أمر الله تعالى شيئاً ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

٢١ ـ الشريعة تجتث الأوهام والتصورات الخاطئة، وتبني مكانها صروح الحقائق ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠ ﴾ هذا في حق الرسل؛ فما بالك في حقِّ العوامِّ والجُهَّال!

٢٢ ـ قل للذين يترددون على أبواب الكهان والسحرة والعرافين، هذا إبطال لعقائد الخرافات ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠ ﴾.

٢٣ ـ تخلّص من شوائب الرياء، فليس لدى المخلوقين شيءٌ ينفعك ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠ ﴾.

٢٤ ـ هذا هو المنهج ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ فانظر ما نصيبك منه!

٢٥ ـ هدايتك على قدر اتِّباعك للوحي ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾.

٢٦ ـ البصر الحسيُّ لا يكفي لرؤية الحقائق، يحتاج إلى هداية الله تعالى له ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠ ﴾.

٢٧ ـ كم من أعمى يتهادى في الطريق، لا يرى موضع قدمه أبصر حقائق الوحي! وكم من بصيرٍ يرى بكلتا عينيه، لم يهتدِ إلى شيء ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠ ﴾.

٢٨ ـ إذا لم يهبك الله تعالى توفيقاً، عجزت هذه الجوارح أن تحمل صاحبها إلى شيء ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠ ﴾.

٢٩ ـ القرآن هو الموعظة التي تجرُّ المعرضين إلى حياض التوفيق ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

٣٠ ـ مِنْ أعظمِ أساليبِ الدعوةِ أثراً في حياة المتلقِّين الموعظةُ بكتاب الله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

٣١ ـ ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ تسليةٌ لتلك الجهود التي يصرفها الدعاة، ولم يروا لها ثماراً تصلح للتشجيع.

٣٢ ـ ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ رجاء يجب أن يَبْلُغَ من قلب المؤمن والداعية والمصلح كل مكان.

٣٣ ـ ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يُبقي الدعاة مرابطين على ساحات هذا المشروع، ولو لم يهنؤوا بشيء من عاجل بشراهم في هذا الطريق.

٣٤ ـ الذين يأتون بأنفسهم للدعوة أثمنُ لها بكثيرٍ من أولئك النائين عنها ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

٣٥ ـ ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ أياً كانت صورته ووظيفته ومكانته وحاله التي يعيش عليها.

٣٦ ـ على الدعوة أن تفسح للراغبين فيها المقبلين على آمالها العراض ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾.

٣٧ ـ إذا زهدت الدعوة في هؤلاء الراغبين؛ فلن تلقَ عهداً زاهراً مع أولئك المعرضين ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾.

٣٨ ـ تسقط الدعوة على أم رأسها في المرّات التي تحابي مدعوّاً لجاهه ومكانته على حساب فقير ومسكين ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾.

٣٩ ـ من الظلم أن نوزّع الخلق في المشروع الدعوي بناءً على مكانتهم ومسؤولياتهم ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾.

❀ ❀ ❀

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا
جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا
بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ
إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ
أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ
ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞
وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ
وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى
ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

التفسير

• ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾ ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ فجعلناهم متفاوتين في حظوظهم الدنيوية من الأرزاق والأملاك ابتلاءً واختباراً ﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ المتكبرون ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الفقراء المستضعفون ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ فأكرمهم بالهداية والتوفيق ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣﴾ فيوفّقهم للإيمان والعمل الصالح.

• ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ المصدّقون بها ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ فحيِّهم بتحية الإسلام ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ فأوجبها على نفسه تكرماً وتفضُّلاً ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ ففَعَلَ فِعْلَ الجاهلين، وكلُّ ذنبٍ عُصِيَ الله به فهو جهالة ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد ذلك الذنب ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ ۝٥٤﴾ بالمؤمنين.

• ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبيِّنها ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٥٥﴾ فتتَّضح لك طريق المجرمين ومناهجهم في الضلال.

• ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول ﴿إِنِّى نُهِيتُ﴾ نهاني الله تعالى ﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام والأنداد ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ شهواتكم وآراءكم ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ حين أفعل ذلك ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ السالكين للطريق الصحيح إن اتبعت أهواءكم.

• ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ على برهانٍ ويقين ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ بالله

تعالى ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ من عذاب الله تعالى ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في ذلك كله ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ يبيِّنـه ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ بين الحق والباطل.

- ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ من العذاب الذي تنتظرون ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ لأوقعته بكم، وفصل بيني وبينكم ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ لا يخفى عليه شيءٌ من أحوالهم.
- ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ خزائنها ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ فلا علم لأحدٍ من خلقه بشـيء من ذلك ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيءٌ ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ حالاً وزماناً ومكاناً ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ إلَّا يعلمها ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ في اللوح المحفوظ.

التدبر

١ ـ لله تعالى حكمٌ عظيمةٌ في الفـروق التي جعلها بين خلقه ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

٢ ـ من كمال فقهك ووعيك أن تدرك أنَّ هذه الفروق بينك وبين غيرك إنما هي للابتلاء والاختبار، وأن تتعامل معها وفق شريعة الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

٣ ـ من أسوأ المواقف أن تتحوّل حِكَمُ الله تعالى ومقاصده في العالمين إلى شهوات يمايزون بها بين بعضهم البعض ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

٤ ـ قد تتوافر لدى الإنسان كلُّ نعم الله تعالى ولا يصطفيه الله تعالى لحمل شريعته والرضا بها ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

٥ ـ الشاكر قد يكون فقيراً ضعيفاً في الإدراك مسكيناً لا يملك شيئاً، وليس بالضرورة أن يكون ضمن قائمة الذين فتح الله تعالى عليهم أبواب الخيرات ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

٦ ـ الهداية اصطفاء، وهذا الاصطفاء منّة من الله تعالى على عبده ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

٧ ـ الله أعلم بالشاكر الراغب؛ فيهبه توفيقه، ويعلم الناكر المعرض؛ فيصرفه بعدله ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

٨ ـ الاحتفاء بالمقبلين على الحق منهج الشريعة ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ ومن الصور المبهجة في هذا المعنى، توافد الناس لتهنئة الداخلين في الإسلام.

٩ ـ من حق المترفعين عن الشهوات أن يُستقبلوا بالفرح والدعاء ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾.

١٠ ـ من فقه الوحي تبشير المقبلين، وإفراحهم وبيان سعة رحمة الله تعالى لهم، وغفران ذنوبهم التي تخلّوا عنها بالتوبة ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾.

١١ ـ ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ دعوة ألا نيأس من الذنوب، وألا تقف عثرة في عرض الطريق.

١٢ ـ انهض من أسر خطيئتك؛ فقد جعل ربك الرحمة في حقه واجباً متحتِّماً ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾.

١٣ ـ إياك وقعود اليائسين ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾.

١٤ ـ ليت الذين يتلطخون بهذه القاذورات يَهْرَعُونَ إلى هذا المعنى الكبير ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ ويعيدوا ذكرى الأيام!

١٥ ـ الذين لم يسلموا بعد لم يقرؤوا هذا المعنى بإمعان ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾.

١٦ ـ حتى المسلمين لو قرؤوها بوعي ما تخلّف منهم أحدٌ عن الطريق ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾.

١٧ ـ ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ دعوةٌ لنبذِ كلِّ مواقف اليأس والفشل، والإخفاق والظروف الصعبة، والمواقف العصيبة واستقبال النعيم.

١٨ ـ من الاستعداد الأمثل لحمل هموم الدعوة، أن تتخصص فئات من الخلق في التعامل مع المجرمين بشتى صورهم، ووضع الخطط الكفيلة بردِّ كيدهم، والوقوف في طريق باطلهم ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

١٩ ـ استبانة سبيل المجرمين ضرورة قصوى، يجب أن يحمل همومها المخلصون ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

٢٠ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ فرضٌ كفائيٌّ، يحتاج إلى حَمَلَةِ رايات.

٢١ ـ ثغور هذا المعنى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ كثيرة تحتاج إلى حُماة!

٢٢ ـ يا أصحاب الأموال! أفرغوا من أموالكم على هذا الثغر العظيم ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ فذلك من أعظم الجهاد في سبيل الله.

٢٣ ـ لا فرق بين رايات الجهاد التي تدفع كيد مغتصب الأرض، ورايات الجهاد التي تدفع كيد مغتصب قيم ومبادئ الوحي ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

٢٤ ـ من دلائل ضعف الأمة ألا تجد في صفوفها أصحاب رايات، يواجهون كبر الجاهلية، ويكشفون زيف الباطل في ضحى النهار ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

٢٥ ـ يا سقى الله ليلةً بات فيها صاحبُ حمًى يذود عن حماه ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٥٥﴾.

٢٦ ـ إذا منّ الله تعالى عليك بفضلٍ في هذا المعنى فالزمه، وإياك والتفريط فيه ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٥٥﴾.

٢٧ ـ التميّز مطلبٌ ملحٌّ في حياة المصلحين ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾.

٢٨ ـ إذا رأيته في مجالس المنكر، وعوائد الجاهلية، ولا يتميّز في شيء فانفث عليه بالوحي ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾.

٢٩ ـ موافقةُ أصحابِ الهوى ضلالٌ ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾.

٣٠ ـ إياك أن تُداهن صاحب هوى في أي قضية؛ فقد لا تفلح في القيام ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾.

٣١ ـ رأيتهم دفعوا على موافقتهم في بعض ما يريدون أموالاً وأوقاتاً وجهوداً لبعض الكبار، ولم يظفروا منهم بشيء ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾.

٣٢ ـ قل للذين يريدونك في مراتع المنكرات ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۝٥٧﴾.

٣٣ ـ المنهج الواضح يدفع شُبه المعارضين، ويلقي بها في هوامش الأحداث ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾.

٣٤ ـ من المتناقضات أن يتهاوى صاحب الحق في أحضان الباطل، وهو يعلم تكذيبهم للبيِّنات ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾.

٣٥ ـ لم يجعل الله تعالى نهاية هذه الحياة على يد بشر ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ وغداً يرى الإنسان كل شيء.

٣٦ ـ إنما طال زمان المعركة لمقاصد كبرى، يريدها الله تعالى في النهايات ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

٣٧ ـ ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ اضرب بها وجوه السحرة والكهان، ومُدَّعي الغيب، والمتوجِّسين من تحليلات السياسة.

٣٨ ـ حتى حركتك التي تدفع بها في الظلام، أو كلمتك التي تبثها في مكان، أو أسرارك التي تجتهد في إخفائها على المخلوقين، تحتاج عرضاً على هذه الحقائق في القرآن ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾.

٣٩ ـ ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا

فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾﴾ هـذا المعنى يصلُـحُ قاعدةً في تأهيل نفوس المسـلمين للعقيدة الصحيحة.

٤٠ ـ إذا اسـتمرَّ المرضُ بولدك، وزوجك، وقريبك، وطـال أمد طلبك للولد، وتأخَّرت وظيفتك، وطال زمان الألم بك، وتوسَّعت دوائر الشقة في حياتك؛ فأعد قراءة هذا المعنى من جديد ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ
يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ
يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ
وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ
رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ
أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ
ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا
مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم
بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾
وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ
نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ
ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

التفسير

• ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ فيقبض أرواحكم عند النوم قبضاً مؤقتاً ﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ ما اكتسبتم من الأعمال ﴿ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ في النهار بعد قبض أرواحكم بالنوم ﴿لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ لتقوموا بأعمالكم حتى تنتهي آجالكم المقدَّرة عند الله تعالى ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم﴾ يخبركم ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٦٠﴾ في الدنيا.

• ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ الغالب أمره فيهم ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾ يحصون أعمالكم ويحفظونها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ ملك الموت وأعوانه ﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١﴾ لا يضيّعون شيئاً.

• ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾ يوم القيامة ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾ لا مولى لهم غيره ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ لا شريك له في ذلك ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢﴾ لكمال علمه، وكمال قدرته.

• ﴿قُلۡ﴾ يا أيها الرسول للمشركين: ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ من أهوالهما، وما فيهما من الأخطار ﴿تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا﴾ معلنين بالدعاء متذللين فيه ﴿وَخُفۡيَةٗ﴾ ومسرّين ﴿لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الشدَّة التي حلَّت بنا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣﴾ له تعالى.

• ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا﴾ من هذه الشدة ﴿وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ﴾ يحلُّ بكم ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤﴾ بالله تعالى بعد إنعامه عليكم.

• ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ من السماء من صواعق ونحوها ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ بالخسف والزلازل والغرق ونحوه ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾ يجعلكم مختلفي الآراء والأهواء ﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾

بالقتل والأسر والنهب ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نبيّنها وننوّعها ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ أمر الله تعالى.

• ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ المنزل من عند الله تعالى ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾ برقيبٍ على أعمالكم.

• ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾ خبر ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾ نهاية ينتهي إليها ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ نهاية ما أخبرتكم به.

• ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ بالتكذيب والردّ والاستهزاء ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فقم عنهم واتركهم وشأنهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ غير الخوض في آيات الله تعالى ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ فجلست معهم وسمعت حديثهم ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ﴾ بعد أن عرفت وتذكّرت ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ لأنفسهم.

١ ـ كل ما يجري على الإنسان في حياته محفوظٌ مضبوطٌ، لا يذهب منه شيء حتى يأتي كشفه يوم الحساب والجزاء ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

٢ ـ ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ أياً كان وعلى أيِّ صورةٍ وشكل، لا يغيب عن الله تعالى منه شيء.

٣ ـ ماذا يقول الإنسان يوم القيامة أمام هذه الكشوف التي دونت كل شيء! ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٤ ـ أين يفرون وهم لا يملكون الخروج من ملكه وسلطانه؟! ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

٥ ـ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ حفظة يدوِّنون كلَّ شيء، ويأتون به يوم القيامة لا يُنْقِصُونَ منه شيئاً.

٦ ـ ماذا لو قرأنا هذا المعنى بوعي ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

٧ ـ ما تراه عينك، أو تصنعه يدك، أو يشهد به لسانك، سيأتي حاضراً كما صنعت ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

٨ ـ حتى الخلوات التي جرت في الظلام تأتي ضمن تلك الأعمال ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

٩ ـ في أيام المحن لا يلوذون بغيره، ولا يتوجَّهون إلى سواه ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ

ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

١٠ ـ لو أرادك بشيءٍ لم تفته ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

١١ ـ مساكين هؤلاء البشر، هم مثلك تجري عليهم سلطة الواحد القهار ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

١٢ ـ هذا الصراع الذي نراه بين الخلق هو أثرٌ ممَّا يجريه الله تعالى على عباده من العذاب ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

١٣ ـ أياً كان هذا الخلاف الذي تراه في واقع كثيرين هو في النهاية جزء من العذاب الذي أصابهم بسبب ما كان بينهم وبين الله تعالى من معاصٍ ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

١٤ ـ الكثرة لا تعني الحقيقة، وإنما هي الأصل في الإعراض والفساد ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

١٥ ـ المنهج هو الأصل في النجاة، وليس الأتباع قلّوا أو كثروا ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

١٦ـ للأوهام التي تثار في حياة الناس زمانٌ تزول فيه، ولا تبقى سوى الحقائق ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

١٧ـ ليأتينَّ يوم تُبيَّن فيه الحقائق، وتزول فيه الأوهام ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

١٨ـ التميّز أصلٌ في أصحاب المنهج ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

١٩ـ إياك أن تخوض في وحل الخائضين يوماً ما ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

٢٠ـ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ رسالةٌ لكلِّ حاملِ منهجٍ، وصاحبِ وحيٍ أن يبتعد عن تلك الاجتماعات التي ليس فيها سوى اللغو والعبث بالمنهج.

٢١ـ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ مهما كانت المصالح المظنونة في ذلك اللقاء.

٢٢ـ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فالمنهج الذي تحمله أسمى من أن يتلطَّخَ بتلك الأوساط.

٢٣ـ حتى لو أجرى عليك الشيطان تلبيسه وبقيت في تلك الأمكنة؛ فإياك وتكرار تلك الخطايا ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

٢٤ـ كل مجلس لا يمكّن لدينك، ولا يمدُّ في مساحته، فليس من شأنك ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

٢٥ ـ حتى الأوساط التي لا يترتَّبُ عليها خوضٌ في دين الله تعالى، ما دامت فارغةً فليست لك ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

٢٦ ـ وقد رأيت بعيني من تلطّخ بوحل هذه المجالس فأضاع دينه أيضاً في النهاية ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن
تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا
شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا
كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا
وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى
ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى
ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ
لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ
ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ
قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

التفسير

• ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الله تعالى ﴿مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ من حساب الخائضين شيء ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ ولكن عليهم وعظهم وتذكيرهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ الله تعالى فينتهون عن الخوض في آيات الله تعالى.

• ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ فلم يقوموا به كما أمرهم الله تعالى ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بنعيمها ومتاعها ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ بالقرآن ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ﴾ تُرتهن وتحبس ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ بما عملت من سيئات ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ﴾ يتولّى أمرها ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لها عند الله تعالى ﴿وَإِن تَعْدِلْ﴾ تفتدي ﴿كُلَّ عَدْلٍ﴾ بأيِّ فداء ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ لا يقبل منها مهما بذلت ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟﴾ هلكوا وارتهنوا ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ بأعمالهم السيئة ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ بسبب كفرهم بالله تعالى.

• ﴿قُلْ﴾ لهم يا رسول الله ﴿أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ كيف ندعو آلهة لا تملك نفعاً ولا ضراً ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ نرجع إلى الضلالة ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ للإيمان ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ غرّته وخدعته فأضلّته عن طريقه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ لا يهتدي إلى جهة ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ﴾ رفقاء ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ إلى الحق ﴿ٱئْتِنَا﴾ تعال إلينا، فلا يأتي إليهم بل يظلُّ متحيِّراً لا يدري أين يذهب ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ دينه ومنهجه ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ الطريق الحق والمنهج الصحيح ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ نسلم أمورنا وننقاد لرب العالمين في كلِّ ما يأمرنا به.

• ﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كما أمرنا الله تعالى ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ تُجمعون يوم القيامة.

• ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ إذا أراد لشيءٍ أن يكون كان ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّ﴾ لا شكَّ فيه ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ مُلكُ كلِّ شيءٍ في الكون ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ النفخة الأولى لفناء الناس، والنفخة الثانية لإعادة خلقهم من جديد ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ فلا يخفى عليه من أمرهم شيء ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ والعلانية ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿ٱلۡخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ بكل شيء.

التَّدَبُّرُ

١ ـ ليس عليك من وزر الظالمين شيء، وإنما عليك انتشالهم من ذلك الحضيض قدر وسعك وجهدك ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَىۡءٍ وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

٢ ـ إن كان في وسعك إنقاذ العالم؛ فليس من شأنك الفرجة على أحداثه ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَىۡءٍ وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

٣ ـ دع المصرِّين على الفوضى، يبلغون غايتهم في الضياع ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبًا وَلَهۡوًا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ دعهم هنا بعد بلاغ جهدك ودعوتك وتذكيرك، ومحاولة انتشالهم مما هم فيه من فوضى، فإن أبوا فدعهم يلعقون سموم النهايات.

٤ ـ ما دمت تملك منهج الحياة فانتشل به الغافلين من أوحال الضياع ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

٥ ـ هذه هي الوسيلة التي تعود بأسراب الضائعين إلى منهج الفضيلة ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

٦ ـ هذه هـي الحقيقة التي ينبغي ألا تفوت أفهام الدعـاة والمصلحين والكبار ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ يا لله كم أعاد هذا القرآن أسراباً من الغافلين إلى حياض النور!

٧ ـ يا حُفّاظ القرآن! تملكون ما يعيدُ الناس إلى حياض الهداية ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

٨ ـ من مهام الدعـاة، وصنّاع الحياة، وأصحاب المشـاريع الناهضة، تخليص الناس من الضياع، والعـودة بهم إلى الحيـاة ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

٩ ـ ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ دعوةٌ للقيام من فراش نومك إلى إيقاظ العالمين بهذا الوحي.

١٠ ـ كل ما عدا الله تعالى لا قيمة له في واقع الإنسان ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾.

١١ ـ إقبالك على المخلوقين وتشبُّثك بهم ضلال ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ

فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾.

١٢ ـ إذا لم تحرسك العقيدة من التوجُّه للمخلوقين؛ فلا قيمة لها في واقعك ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾.

١٣ ـ ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ هذه هي الحقيقة، ولو ازدلفت هدايات العالمين المختلقة بين يديك.

١٤ ـ وإن غابت الحقائق في ساحات الدنيا، فستأتي في ذلك اليوم كما تريد ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

❀ ❀ ❀

۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ
أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ
مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ
لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا
رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ
أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾
إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ
أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ
سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾

التفسير

- ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ﴾ أتجعل الأصنام آلهة من دون الله تعالى ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ﴾ الموافقين لك في ذلك ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ واضح بيّن.
- ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ما فيهما من الملك ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ من العالمين بالله تعالى يقيناً.
- ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أظلم ﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾ من الكواكب ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ قال ذلك تنزّلاً مع المُعَارِضِ، وإقامة للحجة عليه؛ لأن قومه كانوا يعبدون النجوم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ الغائبين؛ لأن الإله الحق لا يمكن أن يغيب.
- ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا ﴾ طالعاً ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب كذلك ﴿قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ يدلّني على الحق ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ عن دينه الذين يعبدون معه غيره.
- ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً ﴾ طالعة ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ من سابقيه ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ غابت ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ إني متبرئ من شرككم بالله تعالى ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ صرفت وجهي وقلبي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ابتدأ خلقهما ﴿حَنِيفًا﴾ مقبلاً على الله تعالى مائلاً عن غيره ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ بالله تعالى ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ﴾ جادلوه في التوحيد الذي توصل إليه ﴿ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ ﴾ أتجادلونني في الله تعالى ﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾ إلى توحيده ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾

وإنما أخاف الله تعالى وحده ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾ من الضرر لي بسبب ما عملت؛ فإنه واقع لا دافع له ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أحاط علمه بكل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ أمر الله تعالى فتعملون به.

• ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله تعالى ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ كيف أخاف من غير الله تعالى وأنتم لا تخافون من شرككم بالله تعالى ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ حجة ودليلاً ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ أنا أو أنتم ﴿أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ بالطمأنينة ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ أمر الله تعالى وحكمته.

تدبر

١ ـ الاستعلاء ضرورة في مواجهة كير الجاهلية ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾.

٢ ـ أياً كان الحاملون لكير الجاهلية والمدافعون عن ذلك المنهج، يجب أن يتلقوا درس العزة بإمعان ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ هذا إبراهيم يواجه أباه وقومه، ويصفهم بالضلال.

٣ ـ أنصاف الحلول لا تصنع واقع الإسلام كما هو ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ بل تخلق حوله شبه الضلال.

٤ ـ فرق بين الأخلاق التي يديرها إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه في مواقف كثيرة، وبين مواقف العقيدة التي تحتاج إلى استعلاء ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾.

٥ ـ إذا أحب الله تعالى عبده ووليه سلك به مسالك التوفيق ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

٦ ـ قبل أن تلقي بخطابك الدعوي على أسماع الآخرين، أَدِرْ شأن الإخلاص والعمل والخبايا الصالحة في حياتك ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

٧ ـ الدعوةُ فنٌّ ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ أراد أن يخرجهم من ظلام الشرك إلى التوحيد، فبدأ هذا الحوار مع الآلهة التي يعبدونها، فما زال بهم حتى أبطل تلك الآلهة المزعومة، وألقى إليهم رسالته التي يريد.

٨ ـ العزة تصنع فارقاً في المواجهة ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ حاجه قومه مستعلين عليه، مخوِّفين له بآلهتهم، فألقمهم أحجاراً بهويَّته ودينه وعزَّته.

❀ ❀ ❀

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ
وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ
قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ
وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ
مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن
يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

التفسير

• ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ﴾ يخلطوا ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ بشرك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ الطمأنينة ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ على الحق.

• ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ﴾ وتلك الحجة التي غلب بها إبراهيم قومه هي حجّتنا ﴿ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ أرشدناه إليها وعلّمناه إياها ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾ نعلي ذكره ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في تدبير خلقه وأمره ﴿عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾﴾ بكلِّ شيء.

• ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ﴾ لإبراهيم ﴿إِسۡحَٰقَ﴾ ابنه، ﴿وَيَعۡقُوبَ﴾ حفيده ﴿كُلًّا هَدَيۡنَا﴾ إلى الحق ﴿وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُ﴾ وفقناه من قبل للحق ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ ووفَّقنا من ذرية نوح للحقّ، كذلك كلاً من ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾ ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ بما نهب لهم من الثناء الحسن والذكر الجميل.

• ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ﴾ ابنه ﴿وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ في أعمالهم وأخلاقهم.

• ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ وكل واحد من هؤلاء الأنبياء فضلناه على غيره من العالمين، بما آتيناه من النبوة.

• ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ﴾ ووفقنا بعض آباء هؤلاء المذكورين ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾ وبعض ذرياتهم ﴿وَإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ كذلك هديناهم ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ﴾ اخترناهم ﴿وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾﴾ طريق الحق والهدى.

• ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي تفضل به على هؤلاء ﴿يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ بفضله وكرمه ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ﴾ بـالله تعالى ﴿لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾ لبطل عملهم.

• ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المذكورون ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الكتب المنزلة على كلِّ نبي ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾ العلم ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ الرسالة ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ كفار قريش ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا﴾ وفقنا لها ﴿قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ يؤمنون بها حق الإيمان .

• ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ اسـلك سـبيلهم، وسِـرْ على طريقهم ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ مـالاً مقابلاً على بلاغ هذا الوحي ﴿إِنۡ هُوَ﴾ القرآن الكريم ﴿إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ عظة وعبرة.

١ ـ التوحيد كافٍ في تحقيق سعادة الدارين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ أعني التوحيد الذي يجعل صاحبه عبداً لله تعالى في كل شيء، لا ذاك الذي تتقاصر صوره عن التطبيق.

٢ ـ أياً كانت صورة الشرك التي تزاحم التوحيد فهي مُخِلَّةٌ بتلك القاعدة الكبرى وقد تحرم صاحبها من آثاره ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾.

٣ ـ الله تعالى هو الذي يعينك ويسدِّدك، ويهديك إلى سبل التوفيق ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣﴾

تلك المُحَاجَّةُ التي بهت بها إبراهيم عليه السلام قومَهُ هي من تلك الفتوحات التي منحها الله تعالى إياه.

٤ ـ إذا رضي الله تعالى عنك، فتح لك أبواب التوفيق كما تشاء ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ أحبه فزوّده بكلّ شيءٍ من أسباب النصر والتوفيق.

٥ ـ لولا أنَّ إبراهيم عليه السلام يستحقُّ تلك المعاني، لما كان له منها شيء ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

٦ ـ إذا وفَّقك الله تعالى في مشروع، أو فكرة، أو رأي، أو موقف؛ فتذكر أن ذلك بعض منن الله تعالى عليك ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ عليم بمن يصلح للتوفيق، حكيم بمواضع ذلك التوفيق.

٧ ـ وإذا خُذلت في موقف، أو طريق، أو فكرة، أو رأي، أو مشروع؛ فلعل تلك بعض خطايا الذنوب ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ عليم بمن يصلح للتوفيق، حكيم بمواضع ذلك التوفيق.

٨ ـ هكذا يصنع الإحسان ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ هذه الهبات التي نالتها هذه الذرية المباركة كانت جزاءً لإحسان ذلك الكبير.

٩ ـ حتى الآباء والإخوة والذريات نالوا من الاجتباء والهدى؛ بسبب ذلك المعنى البهيج ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾.

١٠ ـ الإحسان فيما بينك وبين ربك، يصنعُ كلَّ شيء ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾.

١١ ـ الهداية اصطفاء ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ ومن لقيها لقي خير الدارين.

١٢ ـ يا لذة هذا المعنى في قلب مَنْ وجده وذاقه! ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾.

١٣ ـ كثيرون يتقلَّبون في مباهج تلك الهداية، ولا يشعرون باصطفاء الله تعالى لهم ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾.

١٤ ـ كم مِنْ محرومٍ من هذا المعنى ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ وهو لا يشعر بشيء!

١٥ ـ ملايين في العالم، يعيشون بلا منهج، ولا هدى، ولا روح، يمضون في الحياة كما تمضي الأنعام، ونحن نتقلّب في نعم الله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾.

١٦ ـ من حق هذا المعنى ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ أن يأخذ من وقتك وفكرك، ومشاعرك ودعائك في الأسحار، ما يجعله يجري في حياتك بإمعان.

١٧ ـ حتى الأنبياء لو تركوا التوحيد ومالوا للشرك حبط عملهم، وصاروا في النهاية إلى سواء الجحيم ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ فما بالك بغيرهم من المخلوقين!

١٨ ـ دين الله تعالى متاح لكل إنســان ومن صدق الله تعالى وجد فيه كل شيء ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

١٩ ـ إذا أردت أن تأخذ قدوةً تفيض عليك بالذكريات، فاقرأ فصول الأنبياء في التاريخ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

٢٠ ـ هــذه هي الصفوة التــي اختارهــا الله تعالى لإحيــاء الأرض بعد الموات ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

٢١ ـ إذا أردت اللحاق فيمِّم وجهك وفكرك ومشــاعرك تجاه صفاتهم، ومدَّ في خطوك نحو تلــك الآثــار ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

٢٢ ـ الإنســان من لحم ودم؛ فإياك أن تقول مســافات هــؤلاء لا تطويها الأيام ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

٢٣ ـ أصلح نيَّتك، وشــدَّ حبــل عزيمتك، وأيقــظ فكرك، وأشــعل هموم قلبك ومشاعرك، وستأتي لحظات العز التي كنت ترجوها يوماً ما ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ
مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ
تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ
وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا
كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ
وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ
صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ
قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ
ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ
تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ
ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ
عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

التفسير

• ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ما عظَّموا الله تعالى حقَّ تعظيمه ﴿إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ إنكاراً منهم للرسالة ﴿قُلْ﴾ لهم: إن كان كذلك ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ إن كنتم تنكرون رسالة الأنبياء، فمن الذي أنزل التوراة على موسى ﴿نُورًا﴾ من الظلمات ﴿وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ ودلالة لهم إلى الخير ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ تجعلون التوراة في قراطيس مقطعة وأوراق مفرَّقة لتحرِّفوها وتبدِّلوها ﴿تُبْدُونَهَا﴾ تظهرون بعض تلك القراطيس ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ منها ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ من العلوم ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ لولا هذا الكتاب ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ هو الذي أنزله عليكم ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ دعهم ﴿فِى خَوْضِهِمْ﴾ في جهلهم وضلالهم ﴿يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾.

• ﴿وَهَٰذَا﴾ أي القرآن الكريم ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ لكثرة ما فيه من الخير ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ موافقٌ للكتب السماوية التي سبقته ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ أهل مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ وسائر الناس في مشارق الأرض ومغاربها ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ لأن الإيمان بالآخرة متضمِّنٌ للإيمان به ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ يداومون.

• ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ اختلق على الله تعالى زوراً وظلماً ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ من الله تعالى ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ وهو كاذب في ذلك ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قرآناً آخر ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ شدائده وأهواله ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ بالتعذيب والضرب ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ فنحن نقبضها ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ الذل

والمهانة ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بسبب كذبكم على الله تعالى ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ تتكبرون عنها ولا تتبعون ما فيها.

• ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ واحداً واحداً لا مال معكم ولا رئاسة ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ على الصفة التي خُلِقْتُمْ عليها أول مرة ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ ما أعطيناكم في الدنيا ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾ الذين عبدتموهم ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ يستحقُّون العبادة ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ ما بينكم وبين شركائكم ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ بطل وضاع ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ من الشركاء.

١ ـ الجهل بالله تعالى يصنعُ كلَّ شيءٍ حتى مظاهر الاستخفاف به تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَٰبَ الَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ كل ما تراه من مظاهر الفوضى والاستخفاف بالشريعة، والاعتداء على الوحي هو جزءٌ من هذا الفجور الكبير.

٢ ـ الكذب على الله تعالى فرع عن الجهل به ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَٰبَ الَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ أنكروا حقائق لا يتنازع فيها اثنان، وطوام الجهل أكبر من هذا بكثير.

٣ ـ من جمال العلم أنه يكسر شوكة المجادلين من أقرب طريق ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ حاولوا أن يخلقوا شبهة فصفعهم الوحي بالبينات.

٤ ـ العبث بالوحي والحقائق ومقدرات الأمة جزءٌ من المعركة التي يديرها الباطل مع الحق ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾.

٥ ـ أقم حجج العلم على المعارضين، ولا ترهق نفسك بانتظار نتائج ذلك الخصام ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾.

٦ ـ أوقات المصلحين والكبار وحملة رايات الحق أكبر من أن تضيع في ساحات هؤلاء الخائضين ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾.

٧ ـ البركة في رحاب هذا القرآن ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ فأنخ مطاياك في رحاب هذا المعنى الكبير.

٨ ـ مبارك هذا القرآن في تلاوته وتدبره، والعمل بما فيه، والاستشفاء به، فأين المستثمرون لآثاره في واقعهم؟! ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ

وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

٩ ـ يمثّل هذا القرآن بما فيه المنهــج الصالح لهداية العالمين في أقطار الأرض ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

١٠ ـ الذين لم يجدوا حظاً في القرآن بعد، هم الذين لم يجدوا حظاً في الإيمان من قبل ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾.

١١ ـ لا ينيخ مطاياه في رحاب هذا القرآن إلّا مؤمن بالله تعالى، ومدركٌ لآثار هذا القرآن في الحياة ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾.

١٢ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ هذا الحديث عن دور الصلاة في إثراء واقع المسلم ليست تلك التي نؤديها ظاهراً، بل تلك التي تحتل من حياة أصحابها مكاناً مرموقاً، وتأخذ من أوقاتهم ومشاعرهم أثراً كبيراً.

١٣ ـ الجرأة على اختلاق الزيف والظلــم والبهتان في مواجهة الحقائق جريمة، يقف لها شعور أهل الإيمان ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

١٤ ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ هذه من الفجائع الطــوام التي لا يقول بها إلّا المبالغ في الظلم والموغل في الفساد.

١٥ ـ ثمة يوم يتجــرع فيه الظالمون الحســرات ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ

ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ فلا تنشغل بإفكهم وظلمهم.

١٦ ـ ثمة يوم تنتهي فيه قصة المال والشرف والرئاسة والمكانة والوجاهات الاجتماعية، ويأتي فيه صاحبه فرداً وحيداً كما خلقه الله تعالى أول مرة ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

١٧ ـ حتى الجماهير التي كانت حوله في أيام الدنيا لم يأت منهم أحد في الختام ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا
فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا
وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ
وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ
وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

التفسير

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾ يشق الحب ليخرج منه الزرع ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾ وفالق النوى كذلك ليخرج منه الشجر ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ يخرج الحيوان من النطفة والبيضة ونحوها ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ النطفة والبيضة من الحي ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ القادر على كل شيء ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ فكيف تُصْرَفُون عن الحق.

- ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ شاق ظلمة الليل بضياء الصباح ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكن فيه البشر ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ محل حساب الأيام ﴿ذَٰلِكَ﴾ التقدير المذكور ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ لا غالب لأمره ﴿ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ بكلِّ شيءٍ.

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا﴾ لتصلوا إلى مطلوبكم ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وقت ظلام هذه الأكوان ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾ بيَّنَّاها ووضَّحناها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ أمر الله تعالى وحكمته.

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ من نفس أبيكم آدم عليه السلام ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ لكم ظهر الأرض ما دمتم أحياءً ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ باطن الأرض بعد الموت، وقيل: المستقر رحم المرأة الذي تستقر فيه النطفة، والمستودع صلب الرجل الذي تحفظ فيه النطفة ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾ بيناها ووضحناها ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ آيات الله تعالى وحكمته.

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ غيثاً ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ كل صنف من الأصناف ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ نباتاً وشجراً مُخْضَرّاً ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ من ذلك النبات الأخضر ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾ أخرج الله تعالى كذلك ﴿مِن طَلْعِهَا﴾ وهو ما تنشأ فيه

عذوق الرطب وعناقيده ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ عذوق قريبة التناول ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ بساتين من عنب ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا﴾ في الحجم واللون ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ في الطعم ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ نضجه حين ينضج ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأٓيَٰتٍ﴾ عظات وعبر ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ بالله تعالى.

- ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ جعلوا الجن شركاء لله تعالى ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ وهم مخلوقون من الله تعالى ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ﴾ اخترعوا واختلقوا لله تعالى بنات ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ من دون دليل ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ تنزه وتعاظم ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ من وصف ناقص بذيء.

- ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما من غير مثال سابق ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ كيف يكون له ولد ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ زوجة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من الخلق ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيء.

١ ـ هذه العوالم التي تراها بين يديك بعض شواهد ملك الله تعالى، ودلائل إعجازه في الكون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ

وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ تستحق أن يهب لها الإنســان من وقته، ويدفع لها من فكره ما يتعرّف به على ربه ومولاه.

٢ ـ القلوب الغافلة لا تنفع فيها مشاهد الكون في شيء ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾.

٣ ـ الجهل بالله تعالى يصنع مشاهد الفوضى ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ ما كان لهم أن يصنعوا هذه العقائد والأفكار والتصورات البائسة لولا الجهل به تعالى.

❀ ❀ ❀

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ
فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ
ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ
جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ
فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ
ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ
مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ
لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا
جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

التفسير

• ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا شريك له في ملك أو تدبير ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في الكون ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ قوموا له بكلِّ أنواع العبادة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ تحت ملكه وتدبيره وتصرُّفه.

• ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لا يراه تعالى أحدٌ في الدنيا لكمال عظمته ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ يحيط بها ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ من يدرك الأسرار بيسر ﴿ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ فلا يغيب عنه من علم الكون شيء.

• ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ حجج وأدلة وبراهين واضحة ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ من اهتدى بها فهدايته لنفسه ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ عن هذه الحجج ﴿فَعَلَيْهَا﴾ فعماه على نفسه ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ برقيب أحصي عليكم أعمالكم.

• ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبيِّنها ونُنوِّعها ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾ تعلَّمت علم الكتاب ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ القرآن الكريم ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ حقيقة أمر الله تعالى وحكمته.

• ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ افعل كل ما أمرك الله تعالى به ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا شريك له ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ لا تلتفت إليهم في شيء.

• ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ به أحداً غيره ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيباً ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ قيِّم على شؤونهم وهدايتهم.

• ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لا تسبّوا آلهتهم ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيكون ذلك سبباً في سبِّ الله تعالى ﴿عَدْوًۢا﴾ اعتداءً منهم على الله

﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ بغير دليل ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ﴾ فيرون ما هم فيه من الباطل حقاً ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ﴾ يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ في الدنيا من أعمال الشرك والمعاصي.

• ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ حلفوا بالله تعالى ﴿جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أشدَّ أيمانهم ﴿لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ﴾ معجزة ﴿لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَا﴾ حال رؤيتها ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا أملك تنزيلها ﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ﴾ وما يدريكم ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ بالله تعالى.

• ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ﴾ قلوبهم ﴿وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ أنظارهم بالحيلولة بينهم وبين الوصول للحق ﴿كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ فكما أنهم لم يؤمنوا بالقرآن أول الأمر أزاغ الله تعالى قلوبهم، وقلب أبصارهم عن رؤية الحق ومعرفة الهدى ﴿وَنَذَرُهُمۡ﴾ نَدَعُهُم ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ متحيِّرين متردِّدين.

١ ـ المشاهد الدالة على قدرة الله تعالى كافية لإدراك ما لله تعالى من حقوق ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾.

٢ ـ إذا أدبرت هذه القلوب عن الوحي، لم تَهْدِها جوارحها بعد ذلك لشيء ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾ يتركون عبادةَ مَنِ الكونُ لَهُ شاهدٌ في كلِّ ذرَّةٍ منه، ويصنعون من المخلوقين الذين لا يملكون شيئاً آلهة تُعبد. ما أسوأ الجهل!

٣ ـ الآيات والدلائل والحجج والبراهين كافية لاستقبال أحداث الهداية من أوسع أبوابها ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ ولا تفوتُ إلَّا على مصروفٍ عن الحقائق.

٤ ـ إذا أردت أن تبلغ هدفاً أو فكرة ومشروعاً، فاضرب لها من الأدلة والبصائر ما يكفي لصدقها وبلوغ آمالها ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ وما عدا ذلك فضربٌ من الظنون والأوهام والتخرُّصات.

٥ ـ رحمة الله تعالى بالإنسان ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ فكل هذه البصائر والدلائل والبراهين، وحشد هذه المعاني جاءت لإقناعه بما ينجيه، ويرفع ذكره، ويعينه على الحياة الكريمة في مستقبل الأيام، وليس لله تعالى منها شيء.

٦ ـ من كمال عقل الإنسان ووعيه أن يصنع لنفسه منزلاً، يعلو به في الدارين ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾.

٧ ـ ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾ رسالة في إدراك اللحظات، ومبادرة الفرص، واستثمار كلِّ ممكنٍ قبل الفوات.

٨ ـ غاية الخسارة أن نختار لأنفسنا العمى، ونمضي بها إلى عالم التيه والضلال ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾.

٩ ـ مهمَّة الدعاة إبلاغ الرسالة للعالمين، وليس لهم بعد ذلك من أمر الخلق شيء ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾.

١٠ ـ ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ خلاص للنفوس من مكابدة أهواء المعارضين عن الحق والتوفيق.

١١ ـ لنلقي بالحقائق كما أراد الله تعالى، وليس لنا بعد ذلك من تكاليفها شيء ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾.

١٢ ـ يكفي هذا المفهوم ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤﴾ في حمل هموم هذا المشروع الكبير، وتصديره للآخرين في ثوب الفرح دون تبعات.

١٣ ـ المطالبة بالبراهين مطلب ملحٌّ في اتخاذ أي قرار، لكن أن تأتي هذه المطالبة لمجرد الفرار من الحقائق فتلك الخسارة بحق ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١٠٥﴾.

١٤ ـ في أوساط السامعين لدعوتك ومشروعك وفكرتك قومٌ يدركون ما تقول، وينهضون بها في مستقبل الأيام، فلا تسترخص ما تقول ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١٠٥﴾.

١٥ ـ الرافضون للأفكار والحقائق ليس من شأنهم إيقاف مهمَّتنا الكبرى في البلاغ لنلقي بالحقائق، وستجد المستقبلين لها الفرحين بشأنها يوماً ما ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١٠٥﴾.

١٦ ـ حتى هؤلاء الرافضين يحتاجون إلى إقامة الحجج والبراهين ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١٠٥﴾.

١٧ ـ لا تلتفت للمعرضين عن الدعوة، أو اللاهين عن طريقها، أو حتى الواضعين في مسالكها الأشواك ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦﴾.

١٨ ـ في غمرة فكرتك ومشروعك ورسالتك تشبّث بالوحي قدر وسعك، وإياك وطريق الضالين ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

١٩ ـ ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ معنى كافٍ في الانتصار للفكرة والهدف والمشروع.

٢٠ ـ ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ تصحيح نقطة البداية، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وعي في إدارة الصراع.

٢١ ـ ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ كافٍ في اجتناب طريق أهل الضلال، وإنما أكّد الله تعالى بقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ زيادة في التأكيد؛ لأن مكابدة الواقع قد توشك بضعف هذا المفهوم في مستقبل الأيام.

٢٢ ـ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مهما كانت المصالح التي عرضوها، والأفكار التي طرحوها، والغنائم المتوقَّعة من تلك الاتفاقات، والنهايات التي تنتظرها في قادم الأيام.

٢٣ ـ لا تقلق على تأخر الجماهير التي لم تنل من حظ الدعوة شيئاً ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ لو أراد الله تعالى لها الهداية لهُرِعَتْ إليك من أول وهلة.

٢٤ ـ لا تسمح للمعرضين عن الحق أن يساوموك على الدين في شيء، فليست من مهمَّتك استرضاء الآخرين على حساب الحقائق ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾.

٢٥ ـ المسألة ليست مسألة خلاف على مبدأ أو فكرة أو حقيقة، المسألة الكبرى أنهم لا يصلحون لحمل شيء من حقائق هذا الدين ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

٢٦ ـ إذا لم تنجح فكرتك أو مشروعك، أو دعوتك مع تلك الجماهير التي خضت معهم التجربة، فليس لأن فكرتك غير صالحة لإقناعهم بها، وإنما لأن تلك الجماهير لا تصلح لحمل حقائق هذا الدين ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

٢٧ ـ مسؤوليتك الكبرى في البلاغ، وما عدا ذلك فليس من شأنك، وإنما هو شأن الكبير المتعال ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

٢٨ ـ حتى حين تلقي كلمتك لا تنشغل بإقبال الآخرين عليها واستثمارهم لحقائقها، يكفيك أن تعتني بها لدرجة الإقناع، وليس من حقك بعد ذلك أن تسأل عن النتائج؛ فذلك شأن الله ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

٢٩ ـ مشكلتنا التي تواجهنا في كل مشروع أننا نريد نتائج تراها العين، ونغفل عن هذا المعنى الكبير ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

٣٠ ـ درء المفاسد مقدَّمٌ على جلب المصالح؛ قاعدة تستحق الاحتفاء في كل مشروع ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

٣١ ـ الحفاظ على المكتسبات أولى من كثير من الانتصارات ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

٣٢ ـ الانتصارات لا تحسب بوقتها ومكانها، وإنما بأحداثها وآثارها ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

٣٣ ـ كل فكرة تستنهض عليك العدو من غفلته وتوقظه من منامه، فلست في حاجة إليها، ما دام أن غيرها أوعب في وصول فكرتك وإقناع السامعين بها ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

٣٤ ـ (فن الممكن) يأتي بآمال كبيرة في كل مشروع ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ ما لك ولسبهم؛ ما دام لديك ممكناً يحتاج إلى جهود.

٣٥ ـ الحق أكبر من أن يقف لأمنيات المعارضين ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ إما أن تأخذوه كما هو، وإلّا فسيمضي للمنتظرين.

٣٦ ـ لم يبق شيء من الدلائل على هذا الحق إلّا نزل؛ خذوه أو دعوه ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

٣٧ ـ زمان الانتظار ولّى أيها الغافلون ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) ﴾.

٣٨ ـ أثر الخطوة الأولى في التغيير ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) ﴾ لمّا لم يؤمنوا بهذا القرآن أول وهلة حيل بينهم وبين الهداية في النهاية.

٣٩ ـ كل أحداثنا التي نعيشها اليوم، هي نتيجة لقراراتنا وأحداثنا التي خضناها في أول مـرة ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) ﴾.

٤٠ ـ كثيرون في سكرات الموت تقال لهم كلمة التوحيد، ويموتون على سواها ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) ﴾.

٤١ ـ يفرّطون في كل الفرص التي جاءتهم، وفي النهاية يشـتهونها بعد الفوات ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) ﴾.

٤٢ ـ رأيت فرصاً كثيرة دقت أبوابهم، فرفضوا الخـروج لها، وفي النهاية حيل بينهم وبيـن ما يشـتهون ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) ﴾.

٤٣ ـ من حق المفرّطيـن في الفرص العارضـة أن يحرموا آثارهـا في النهاية ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) ﴾.

٤٤ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

٤٥ ـ يتهاونون في العمل والتطبيق، ويسألون بعد ذلك عن آلام القلوب ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

٤٦ ـ الحيلولة بينهم وبين التوفيق نتيجة للتفريط في شـيء من آثاره في سابق الأيام ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا
شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ
ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ
﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ
أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ
لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ
أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ
إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن
يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا
ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

التفسير

• ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ وقالوا لهم: إن رسول الله حق ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وقام الموتى من قبورهم فكلَّموهم أن هذا رسول الله ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ جمعنا لهم ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ من المخلوقات ﴿قُبُلًا﴾ أمامهم، يرونهم، وشهدوا بذلك ﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ﴾ لم يؤمنوا مع توافر كل الدعاوي على ذلك ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إيمانهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ أمر الله تعالى وحكمته.

• ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أننا كما ابتليناك بهؤلاء السفهاء، فكذلك كان هذا مع كلِّ نبي ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يوسوس بعضهم إلى بَعْض ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ كلاماً جميلاً مزخرفاً ﴿غُرُورًا﴾ يخدع به بعضهم بعضاً ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ لو أراد ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ هذا العداء لك ﴿فَذَرْهُمْ﴾ دعهم ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ وما يكذبون.

• ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾ تميل وتقبل ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى كلام الباطل ﴿أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ فتهواه وتُقْبِلُ إليه قلوبهم ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ يحبّونه لأنفسهم ويشتهونه ﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ من الآثام قلَّةً أو كثرة.

• ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ قل لهم يا رسول الله: أفأتحاكم إلى غير الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾ فيه بيان كل شيء ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعلمون حقيقة ذلك وصدقه ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ الشاكّين.

• ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا﴾ في الأخبار ﴿وَعَدْلًا﴾ في الأحكام ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لا مغيّر لها ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لكل الأقوال ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ بكل الأشياء.

• ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ﴾ من الخلق ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لأنهم ضالّون منحرفون، وهذه سنة الله تعالى في خلقه أن تكون الكثرة ضالة معرضة، والقلّةُ مؤمنةٌ متّقية ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ الذي لا حقيقة له ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ يظنّون ويكذبون.

• ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ أعلم بمن يستحقُّ الضلالة، ومن يستحقُّ الهداية، ويعطي كل واحد منهما ما يستحق.

• ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند الذبح ﴿إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ مصدقين.

التدبّر

١ ـ لا ترهق نفسك فوق طاقتها، ولا تحمّلها تبعات الآخرين، ولا تبعث بحسراتك تبتغي هداية بعض المعرضين؛ فلو نزلت عليهم الملائكة، وقام لهم الناس من قبورهم، يبلغونهم حقائق الآخرة، وجُمعت لهم الآيات البينات على ذلك ما حركوا ساكناً تجاه ما تدعوهم إليه ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾.

٢ ـ الذين يجهلون الحقائق القادمة يتنكّبون الحق عامدين ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾.

٣ ـ من سنن الله تعالى هذه العوارض التي يلقاها المصلحون في عرض الطريق ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

٤ ـ لا تبتئس بما تلقاه في طريق أفكارك ورسالتك ومشاريعك، هكذا هي السنن ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

٥ ـ لم نقرأ ولم نسمع ولم نر حتى هذه اللحظة أنَّ صاحب مشروع وفكرة وجد طريقاً سالكاً لبثِّ أحلامه وأمانيه ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

٦ ـ الأفكار والأحلام والمشاريع هي راياتك الكبرى في ساحات المعارك؛ فإياك والتنازل عن أحلام الدارين ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

٧ ـ لم يحدث بعد أن رأى العالم فكرةً حالمةً، تمشي في طريقها دون مشاكسين ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

٨ ـ الحيـاة ابتـلاء ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

٩ ـ لا تلتفت إلى افتراء المكذبين، وهيشـات المغرضين، مهما بلغ حجم ذلك الصوت ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

١٠ ـ العزَّة ترفض أن نتصالحَ أو نلتقيَ في منتصف الطريق مع المعارضين ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

١١ ـ العدو يملك أدواتٍ مثيرةً للإغراء ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

١٢ ـ كم من مقولةٍ مزخرفةٍ عاريةٍ من الحقائق، اجتالت خلائق لا يحصون في الباطل ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

١٣ ـ زخرفة القول وتحسينه أكبر وسيلة يعارض بها الباطل رايات الحق ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

١٤ ـ من كمال عقلك وعظيم وعيك ألا ترخي سمعك إلَّا لقولٍ تعضده الدلائل والبصائر والبراهين ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

١٥ ـ متانة القول بأدلته وبراهينه، وليس بجمال حرفه وزخرفته ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

١٦ ـ إذا رأيته مخدوعاً بزخرف الباطل وغروره على حساب أدلته وبراهينه؛ فتلك بعض مشاهد القلوب ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾.

١٧ ـ التميّز فرعٌ عن العــزة ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾.

١٨ ـ الجماهير والكثرة ليست معياراً للحق ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾.

١٩ ـ كم من قليلٍ موزَفٌ بالحقائق! وكم من كثيرٍ غاصٌ بالظلام والضلال ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾.

٢٠ ـ من حــق الجنان أن تُبتلى في ســبيلها النفوس ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾.

٢١ ـ لا تنتظر تزكية العالمين، يكفي تزكية ربّك لك ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

٢٢ ـ حتى الذي يجرى في قلبك من أحــداث الهداية أو الضلال لا يفوت على الله تعالى منه شيء ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

٢٣ ـ ليس بالضرورة أن يحمــل ضلاله علانية، حتى الصور والمشــاهد التي يديرها في الخفاء مرصودة عند علّامِ الغيــوب ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ
بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾
وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ
ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ
أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن
كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ
كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ
قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ
ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟
صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

التفسير

• ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ما المانع لديكم من ذلك؟ ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ بيَّنه ووضَّحه لكم ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ من المحرَّم فلا حرج ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾ بشهواتهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ فيجازي كلَّ واحدٍ منهم على قدر اعتدائه.

• ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ علانيته ﴿وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ ما لا يراه الناس ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ يوم القيامة ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ من الآثام.

• ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ ولا تأكلوا ممَّا لم يسمَّ على ذبحه؛ لأن ذلك خروجٌ عن طاعة الله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ يوسوسون إليهم بالشُّبَهِ ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ في ذلك كقولهم أنتم لا تأكلون مما قتل الله تعالى، وتأكلون ممَّا قتلتم ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في ذلك ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ بالله تعالى.

• ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ بأن كان كافراً أو عاصياً ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ بالهداية إلى الحق ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ بما معه من إيمان وهدى وحق ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمات الكفر والضلال ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ لا سبيل إلى خروجه منها ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ زُيِّن لهم أعمالهم فرأوها حسنةً جميلة.

• ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ من الرؤساء والقادة والكبار ﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ بالفساد ومعارضة الحق ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ فإنَّ عائدَ ذلك المكر إليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ بعواقب ذلك؛ لجهلهم وخذلان الله تعالى لهم.

• ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٌ ﴾ مما ينزّلها الله تعالـى عليك ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ ﴾ بالله تعالى ﴿حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ حتى نكون رسـلاً ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ لا يضعهـا إلَّا فـي المـكان المناسـب لهـا ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ذلٌّ وهوان ﴿وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ بسبب مكرهم.

١ ـ الحاكم هو الله تعالى، ومسائل التحليل والتحريم من حقه فحسب ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ وهـذا المعنى ردٌّ على المتهوّكين في الشريعة بغير دليل.

٢ ـ كم دفع الهوى صاحبه إلى موارد الضلال! ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾.

٣ ـ كل الأشـقياء في الحياة إنما هم نتيجةٌ لمـوارد الهوى ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾.

٤ ـ يبيع ربا، ويشتري حراماً، ويتزوج متعة، ويترخّص كيفما شاء، ولم يُبقِ له الهوى من دينه شيئاً ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾.

٥ ـ من الاعتداء في شريعة الله تعالى أن يتقدّم فيها من ليس من أهلها ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾.

٦ ـ رأى رواج العلم بين الناس، وأراد أن يصنع له مكانة عاجلة فحضر درساً، وشارك في دروةٍ علميَّة، وكتب سطرين على حاشية كتاب، ثم امتطى مشلحه وركب صعباً ليبلِّغ الناس بأنه من رجال هذه الشريعة، وهذا بعض نتائج الهوى ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

٧ ـ أفتى في مسائل لو كانت في زمن الصحابة لجمعوا لها كبارهم ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

٨ ـ تمطّى في مجلسه ثم استنكر فتوى لعالم، أو قولاً لصاحب تاريخ، وهو لم يضبط شروط الصلاة بَعْدُ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

٩ ـ إذا رأيته يتوق للتقدم، ويشارك في كلِّ مسألة، ولا يتورَّع عن الفتيا، وله جرأةٌ وقحة على الحقائق، ولا يقدّر أهلَ العلم؛ فاعلم أنه من صرعى تلك الآفة الذميمة: الهوى ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

١٠ ـ التنزه عن الإثم مورق في النهايات ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾.

١١ ـ من كمال وعيك ألا تقع في شيء يوجب الجفاء بينك وبين ربك ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾.

١٢ ـ الوالغون في الإثم، والمتشبّعون بشهواتهم العاجلة، والمقبلون على ملذّات الحياة إن لم ينتهوا فَسَيَرَوْنَ جزاءَ تلك الأعمال ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾.

١٣ ـ كل ما نهت عنه الشريعة فهو فسق، لا يستحق أن تدنّس نفسك به ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

١٤ ـ يرتكبون المحرمات، ويصنعون من أنفسهم فقهاء بالشريعة، ذلك مدد الشياطين ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) ﴾.

١٥ ـ جدال بعض المفتونين في مسائل الشريعة جزء من تسويل الشياطين ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) ﴾.

١٦ ـ الإيمان والعمل الصالح حياة ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) ﴾ ليست هذه التي تجري في جسدك، لا، وإنما الحياة التي تجري في فكرك ومشاعرك وقلبك.

١٧ ـ الكفر والضلال والمعصية موتٌ معجّلٌ لأصحابها ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) ﴾ حتى وإن رأيتهم يصنعون كل شيء.

١٨ ـ الحياة حركة شعورية وقلبية ووجدانية ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) ﴾.

١٩ ـ من سنن الله تعالى أن يجعل في كل مساحة ومجتمع ناصية تدعو للرذيلة، وتوسّع في مساحات الباطل قدر وسعها ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣) ﴾.

٢٠ ـ الدين لا يقوم عادة في المساحات الضعيفة والباردة، وإنما تقوم رايته في ميدان المعارك ومساحات الجد والجهاد ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣) ﴾.

٢١ ـ إذا أردت أن تمدَّ في رحاب دينك، وتوسّع في دائرته؛ فانصب له راية عزك ومجدك وجهدك، وكل شيء في حياتك، وإلَّا فما لك وللهموم العارية عن حقائقها! ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

٢٢ ـ منذ فجر التاريخ إلى يومنا والإسلام يناكف عدوه، ويجاهد في مساحاته، ويتوسّع أو يضيق على مقدار قدرة رجاله وأعوانه ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

٢٣ ـ الذين ينتظرون ظلّاً وارفاً، وحياةً آمنةً، وأجواءً هادئةً فلن يبلغوا من ذلك شيئاً حتى في أوساط بيوتهم، يحتاجون كثيراً إلى رايات جهاد ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

٢٤ ـ مساكين أعداء هذا الدين، يقفون في وجهه، ويظنّون أنهم يأتون على ما يريدون، ونسوا أنهم إنما يتجرّعون الخسارة مرتين، مرة بذهاب أوقاتهم وأفكارهم وجهودهم في غير طريق، ومرة أخرى في النهاية المؤسفة التي يبلغونها في الختام ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

٢٥ ـ لا يصلح لحمل هموم هذا الدين كلُّ إنسان ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾.

٢٦ ـ ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ وسام شرف في أعناق أولئك الذين اختارهم الله تعالى لحمل راية هذا الدين، والسعي به في العالمين.

٢٧ ـ حتى الهداية لهذا الدين شرف لا تصلح إلَّا للأصفياء ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤ ﴾.

٢٨ ـ لا نهاية للضلال والكبر والتمرد على شرائع الله تعالى ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤ ﴾.

٢٩ ـ كل وسيلة من وسائل المكر التي يواجه بها العدو أنصار هذا الدين ستؤول في النهاية عليهم ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤ ﴾.

❀ ❀ ❀

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ
أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي
ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا
يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا
ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ
وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا
يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ
ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ
لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا
كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ
مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ
هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾

• ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ يوسِّع قلبه فيقبل دين الله تعالى برضا وطواعية ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ في غاية الضيق والحرج من هذا الدين ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ كأنه من ضيقه وحرجه يُكلَّف الصعود إلى السماء، ولا حيلة له في ذلك ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ العذاب ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ بالله تعالى.

• ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ لا اعوجاج فيه ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾ بيَّناها ونوَّعناها ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ تتذكر قلوبهم آيات الله تعالى، وتفهم معاني كتابه.

• ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي الجنة ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ يتولى أمورهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ بسبب أعمالهم الصالحة.

• ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ فيجمعهم يوم القيامة ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ أغويتم أناساً كثيراً ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ يا رب تمتَّع كلٌّ منا بصاحبه؛ فالجنِّيُّ تمتع بطاعة الإنسي له، والإنسيُّ تمتع بنيل شهواته ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ وصلنا المكان الذي تجازي فيه؛ فافعل بنا ما تشاء ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ مكانكم ومقركم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ لا تخرجون منها ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يخرجهم منها فذلك له ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في تدبير أمره وخلقه ﴿عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ بكلِّ شيء.

• ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ يتولون بعضهم بعضاً ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ بسبب عملهم.

• ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي ﴾ يتلونها عليكم، ويوضِّحون لكم ما فيها ﴿ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا ﴾ يحذِّرونكم عذاب الله تعالى ﴿ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ﴾ أقررنا بأنه بلغتنا حجة الله تعالى ﴿ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ ألهتهم عن الآخرة ﴿ وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ مرة أخرى ﴿ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ﴾ جاحدين لدين الله تعالى.

التدبر

١ ـ الهداية قبل أن تكون جهداً ورغبة من صاحبها، هي في بداية أمرها توفيق من الله تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ ﴾.

٢ ـ ما أحوج الذين منَّ الله تعالى عليهم بهذه الهداية أن يُقبلوا على ربهم تعالى، ويهبوا لدينه من سنام أوقاتهم شكراً وعرفاناً وتواضعاً وخشية أن بلَّغهم ما يشتهون ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ ﴾.

٣ ـ من أعظم مواطن شكر الله تعالى لهذا المعنى، تبشير الناس بآثار هذه الهداية، وتعميم نفعها للعالمين ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ ﴾.

٤ ـ ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ ﴾ هذه نتيجة لتلك الرغبة العارمة في قلب صاحبها، وسعيه نحوها، وجهده في بلوغها حتى بلغ منها مناه.

٥ ـ أعظم منن الله تعالى على عبده أن هداه للحق، وشرح له صدره ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ ﴾.

٦ ـ إلى كل الذين يبحثون عن الحياة والاستقرار والسعادة ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ ﴾ من غير هذا الطريق لن تصلوا إلى شيء، ولو دفعتم كلَّ ما تملكون.

٧ ـ انشـــراح صدرك أعظم منّةٍ لله تعالى عليك ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ كم من محزونٍ ومكروبٍ يبحث عن هذه الحياة التي تغمرك، ويتمنَّى ويشتهي ما أنت فيه؛ فاستوثق.

٨ ـ ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ هذه إرادة الله تعالـى بناءً على جهد صاحبها، وإقباله على هذا الطريق، وسـعيه الحثيث نحو هذه النهايات.

٩ ـ رأيتهم حين الموعظة أو مشاهد الخير، كأنما يتنفّسون من ثقب إبرة ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

١٠ ـ صلاح النيات أو فسادها مؤذنٌ بصلاح النهايات أو فسادها ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ (١٢٥)﴾ (فمن يرد، ومن يرد) هم الذين أرادوا أولاً.

١١ ـ غاية الخسران ألّا تجد موقعاً في صفوف المهتدين، وألّا تجد مساحةً كافيةً في رحاب الحق ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ (١٢٥)﴾ وتعيش على غير منهج، ومع أنصار الباطل وروّاده.

١٢ ـ ما زالت الهداية باسـطةً في انتظار الملتحقين بركبها ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)﴾.

١٣ ـ هـــذا الطريـــق ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)﴾ سيظل مستقيماً واضحاً سالكاً لكلِّ مريدٍ إلى قيام الساعة، وما عليه من المتخلِّفين من شيء.

١٤ ـ ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًاۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ رسالة في بقاء هذا الدين مستقيماً واضحاً مهما حاول النفاق لَيَّهُ واعوجاجه وتشويهه بكلِّ ما يملكون.

١٥ ـ المهمة الكبرى التي يديرها النفاق تشويه هذا المعنى في عقول العالمين ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًاۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ كم مرَّةً افتروا عليه، وضيَّقوا طريقه، وشوّهوا معالمه!

١٦ ـ إذا شغبَ الإعلام على الإسلام، واتَّهمه، وحاول أن يلبسه ثوباً جديداً؛ فأغْرِ عليه بهذا المعنى الكبير ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًاۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾.

١٧ ـ الموعظة لا تصلح لكلِّ أحد، وإنَّما هي خاصة بالمتذكِّرين ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًاۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾.

١٨ ـ هذا يتردد على مسمعه الذكر كل يوم ولم ينتفع منه بشيء، وذاك سمع واعظ الحق مرَّةً واحدةً، فأقبل نحو الحقائق من أول وهلة ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًاۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾.

١٩ ـ هذه نتائج أيام العمل ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

٢٠ ـ يكفي هذا المعنى لاستلذاذ كلِّ مشقَّةٍ تعرض للمؤمن في الطريق ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

٢١ ـ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

٢٢ ـ يستحقون هذا التكريم والاحتفاء في النهايات ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

٢٣ ـ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ رسالة في أن مستقبلك وقفٌ على جهدك في الحياة.

٢٤ ـ لا تنظر للمتعجلين، أو المجهدين في غير الطريق، أو أصحاب الشهوات، أَدِرْ شأن العمل مهما كانت تلك التكاليف ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

٢٥ ـ لو فقهنا هذه النهاية المثيرة للعمل ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ لَمَا توقَّف الواحد منّا لحظةً عن السير في الطريق بإمعان.

٢٦ ـ يا أهل الإيمان! عناية الله تعالى ليست هذه التي تجدونها في ساحات الدنيا، بل ذاتها التي ترعاكم في النهايات أيضاً ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

٢٧ ـ أرأيت ما يصنع العمل في واقعك ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾! له ومن أجله يتولّاك الله تعالى ويرعاك.

٢٨ ـ أدر شأن العمل في حياتك، وسترى ولاية الله تعالى تلقاك في عرض الطريق ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

٢٩ ـ من سوء الظن بربك أن تُعنى بالعمل، ولا ترجو منه توفيقاً وسداداً لأمرك ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

٣٠ ـ المتع العاجلة موجبةٌ للنهايات المُرَّة ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

٣١ ـ لا نهاية للخذلان ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

٣٢ ـ هذا الخصامُ بين الظَّلَمَةِ، هو من تسليط الله تعالى بعضهم على بعض ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾.

٣٣ ـ المعصية تفرضُ واقعها في كلِّ مساحةٍ تحلُّ بها ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾.

٣٤ ـ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ وراء أزماتنا ومشكلاتنا وسوء خواتيمنا وأحداث الحسرات في حياتنا وواقعنا.

٣٥ ـ التفريط يصنع الحسرات ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾.

٣٦ ـ ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ ليس هم فحسب، وإنما كثيرون على الطريق ذاته.

٣٧ ـ ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ حتى أضاعوا الأولويات والمفاهيم الكبرى، وألقتْ بهم في الهوامش.

٣٨ ـ كم من مستلذٍّ بهذه الدنيا فوّت على نفسه أرباح الدارين ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾.

٣٩ ـ كان بإمكانهم ألَّا يقفوا هذه المواقف المُرَّة ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾.

❀ ❀ ❀

ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾
وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ
أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا
تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ
عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا
ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ
بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ
فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ
شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ
شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ
شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

التفسير

• ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ ما كان الله تعالى مهلك القرى ﴿بِظُلْمٍ﴾ منه تعالى لهم ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ لم يأتهم مَنْ يبلغهم دين الله تعالى.

• ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الجن والإنس ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ درجات متفاوتة بحسب أعمالهم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ بل يعلمها، لا يغيب منها شيء.

• ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾ المستغني عن خلقه ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ الرحيم بعباده المؤمنين ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يهلككم بالعذاب ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ قوماً آخرين ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ كما أنكم أنتم ذراري لغيركم.

• ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من البعث والجزاء ﴿لَءَاتٍ﴾ قادم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ لن تفوتوا على الله تعالى ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ اثبتوا على ما أنتم عليه ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ على ما أمرني الله تعالى به ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في نهاية الأمر ﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ العقبى الحسنة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ لا يصلون إلى شيءٍ من مقصودهم.

• ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ﴾ أي المشركون ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾ الزروع ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ نتاج دوابهم ﴿نَصِيبًا﴾ شيئاً مقدَّراً ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ﴾ لوجه الله تعالى ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ بكذبهم ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ لآلهتنا ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ﴾ من نصيبهم ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ما أنبت من الزرع، أو أنتج من الأنعام، فلا يصرفون منه شيئاً لله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ﴾ فأنبت

أو أنتج ﴿فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ يصرفونه في نصيب آلهتهم ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ ما أسوأ حكمهم.

• ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ الشركاء من الجن والإنس حسّنوا لهؤلاء المشركين بأن يقتلوا أولادهم مخافة الفقر أو العار ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ ليخلطوا عليهم دينهم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لو أراد الله تعالى ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ هذا الفعل ﴿فَذَرْهُمْ﴾ دعهم ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ وما يكذبون.

١ ـ مهمة الدعاة الكبرى ألا يغرق أحدٌ دون علم ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾.

٢ ـ استنقاذ العالم من الوحل، وإخراجهم من الظلام، وإسعافهم بالحياة مهمة حملة الرايات وصُنّاع الأحلام ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾.

٣ ـ لم يبقَ لأحدٍ من العالمين حجة أن رسالة هذا الدين لم تبلغه ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ وتلك غاية كبرى أرادها الله تعالى.

٤ ـ كل الذين غرقوا وتاهوا وخسروا هم الذين اختاروا ذلك عن بيّنةٍ، وأرادوا لأنفسهم الشقاء ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾.

٥ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ فيجازي الله تعالى كل إنسان على قدر جريرته من عمله السيء، وعلى قدر إحسانه بالعمل الصالح.

٦ ـ لا يغيب عن الله تعالى شيء ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ وكل ما يجري من إنسان فهو مدوَّنٌ مسجَّلٌ في كتاب الأعمال.

٧ ـ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ رسالة نذير لكلٍّ من يسعى بالفساد، ويجتهد في طريق الشر، ويتوسَّع في أحداث السوء.

٨ ـ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بشارة للمصلحين بأن الله تعالى يرصد أعمالهم ويكتب آثارهم، ولا يضيع على الله تعالى من تلك الأعمال شيء.

٩ ـ غنى الله تعالى فلا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ وإنما يعمل كل إنسان لنفسه.

١٠ ـ تعاقب الأجيال درسٌ كافٍ في الذكرى ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ كم من مرهونٍ بعمله وسابق للخيرات!

١١ ـ إلى الذين طال عليهم الأمل وملُّوا من طول الطريق ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾.

١٢ ـ كثيرون لم يؤمنوا بعد بهذه الحقيقة الضخمة ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ وهي أقرب ما تكون إليهم.

١٣ ـ ماذا لو فقه المرابي، وآكل المال العام، والمجترئ على حدود الله تعالى، والواقع في أعراض المسلمين هذا المعنى ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾.

١٤ ـ هذا المعنى ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ يأتي يوم رحيلك عن الدنيا واستقبالك للآخرة.

١٥ ـ مساكين من يعبثون ويجرمون ويصنعون كل شيء، ولم يفقهوا بعد أنهم أعجز من أن يصنعوا لأنفسهم شيئاً ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾.

١٦ ـ إذا رأيته مصرّاً على منكره متشبّثاً بباطله متحمساً لعداء دينه، فأنذره بهذا المعنى ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

١٧ ـ وإذا بلغت حدَّ طاقتك في تذكير هؤلاء المعرضين فلم يستجيبوا؛ فدعهم ليوم الحسرات ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

١٨ ـ لا توقف مشروعك، أو تتردَّد في رسالتك، أو تعجز أن تهب العالمين من آثار فكرتك، مهما كانت الظروف والعقبات في طريقك ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

١٩ ـ ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ رسالة للدعاة والمصلحين وأصحاب الرايات ألا يتوقفوا عن أعمالهم لأجل نكوص المبطلين، أو إصرارهم على باطلهم.

٢٠ ـ العبرة بالنهايات ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾!

٢١ ـ وضوح الرؤية وغيابها وراء تلك النهايات الصالحة أو السيئة التي يصل إليها أصحابها ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾!

٢٢ ـ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ مهما بلغ كيدهم، وظلمهم، وإصرارهم على باطلهم.

٢٣ ـ سرق المال العام، وأكل حقوق الضعفاء، واجترأ على محارم الله تعالى كيف شاء، ونسي هذه الحقيقة الضخمة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

٢٤ ـ إذا رأيت الظلمة يبنون قصوراً ويركبون الفارهات، ويرصدون الأموال؛ فأعلمهم أنهم في النهاية إلى نهايات السوء ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

٢٥ ـ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ رسالةٌ لكلِّ ظالمٍ لزوجه، وعامله، وفي وظيفته، وماله.

٢٦ ـ لا عبرة بالانتصارت الظاهرية والآنية ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

٢٧ ـ إذا حابيت بعض ولدك فوهبت له مالاً، أو أفردته بشيء وتركت بقيتهم، فأنت داخلٌ في وعيد هذه الآية ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

٢٨ ـ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في كل صورة ظلم وقعوا فيها وظنوا أن فيها آمال الخير يوماً ما.

٢٩ ـ الجهل بالله تعالى يصنع هذه الفواجع ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ شرّعوا لأنفسهم، وحرّموا وحلّلوا، وشريعة الله تعالى باسطة في واقعهم.

٣٠ ـ الهوى يـودي بصاحبه إلى مهاوي الضـلال ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾.

٣١ ـ كلُّ ناظـرٍ فـي قضيّةٍ لـم يقتبس حكمهـا من الشـريعة فهو إلـى بوار ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

٣٢ ـ تزيين الباطل، وتلبيس الحقائق بالأوهام، مهمَّةٌ حَمَلَ رايتها الشياطين في أول الأمر، وأوكلوها إلى أتباعهم في النهاية ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ ما أكثر ما يدير شأنها العدو في مثل أيامنا هذه!

٣٣ ـ ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ رأيتها فـي زماننا في صورة عالم، ومفكر، وصاحب قلم، ومن تهيأت له مساحات التأثير. نصّبوا أنفسهم للضلالة، وساروا في طريق كبارهم السابقين.

٣٤ ـ من فقهك بواقعك أن تعلم أن هذه راية العدو، وتعرف كيف تُبَلِّغُ دينك من خلال الثقات ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾.

٣٥ ـ كل ما تراه يجري في واقعك مراد الله تعالى، وفيه حِكَمٌ تجلُّ عن الوصف ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

٣٦ ـ لا تبتئس من رؤية عدوك وهو يجوب الأرض من أجل باطله، تلك بعض حِكَمِ الله تعالى في الكون ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

❀ ❀ ❀

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن
نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ
ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ
يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ
خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن
مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ
حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ
سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ
ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ
جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا
أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ
كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ
وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ
ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا
تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾

التفسير

• ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ﴾ زرع ﴿حِجْرٌ﴾ ممنوعة محرمة ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ﴾ لا يأكل منها ﴿إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ من خدام الأصنام ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ بكذبهم ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ لا يُركب عليها ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ وهي ما يذبحونها لأصنامهم ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ كذباً على الله تعالى ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ١٣٨﴾ بما كانوا يكذبون.

• ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ من حمل ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ حلال لهم ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ ممنوعة على النساء ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ وإن كان الحمل ميتاً ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ الذكور والإناث ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ سيحاسبهم الله تعالى على ذلك ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ في تدبير خلقه وأمره ﴿عَلِيمٌ ١٣٩﴾ بكلِّ شيء.

• ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ خسروا دينهم ودنياهم ﴿سَفَهًۢا﴾ لخفَّةِ عقولهم وجهلهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بغير دليل وبرهان ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ من الأنعام ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ كذباً وزوراً ﴿قَدْ ضَلُّواْ﴾ عن الحق ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ١٤٠﴾ إلى الحق.

• ﴿وَهُوَ﴾ أي الله تعالى ﴿ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ مرفوعات على الأعمدة ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ غير مرفوعة ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ مختلفٌ طعمه ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾ في الشكل والصورة ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ في الطعم واللَّذة ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ من النخل والزرع ﴿إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾ حق الزرع ﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ حين تجمعونه

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ في الأكل أو النفقة منه ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ المتجاوزين للحد.

- ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً﴾ ما يحمل عليها لكبرها ﴿وَفَرْشًا﴾ ما لا يحمل عليها لصغرها ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من هذه الأشياء ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ طرقه وأعماله المؤدية لطاعته ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الشيطان ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ واضح العداوة.

التَّدَبُّر

١ ـ جاهلية الأمس تورّث الرجال، وتمنع المرأة، ولا تقيم لها شأناً في الحياة ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ وهي ذاتها جاهلية اليوم! جاهلية الأمس كانت صريحة أنه لا حقَّ لها في الأصل، أما جاهلية اليوم فتقرُّ بحقِّها أمام الملأ، ولكنها تحرمها ذلك في الخفاء.

٢ ـ ما زالت تلك الجاهلية ممتدَّة في مثل زمانك ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ ليس من شأن الأنثى أن ترث حتى اليوم في واقع كثيرين.

٣ ـ يموت مورّثها، ولا يقتسمون الميراث فراراً من إعطائها حقها، ويعيشون زمناً يزرعون ويأكلون ويتمتعون، وليس لها من ذلك حظ ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾.

٤ ـ العبث بالشريعة جريمةٌ تستحقُّ الجزاء ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ وفي زماننا هناك من يعبث بالشريعة أكثر من عبث هؤلاء! أولئك يقسمون مالاً لشهواتهم وملذاتهم، وهؤلاء يعبثون في مفاهيم الشريعة، ويضعون للناس مناهج مناهضة لدين الله تعالى!

٥ ـ كلُّ انحرافٍ عن الشريعة فهو ضلال ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾.

٦ ـ من حقِّك التنعّمُ بنعمِ الله تعالى، ومن حقِّ الله تعالى عليك ألّا تنسى واجبه الشرعي في تلك النعم ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾.

٧ ـ كما أن لك حقوقاً فعليك واجبات ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾.

٨ ـ من كمال شكر الله تعالى على نعمه ألّا تهدرها في غير الطريق المشروع ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾.

٩ ـ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ رسالةٌ لكلِّ صاحبِ نعمةٍ أَنْ يتقي الله فيها، وألّا يعرض عن ربه تبارك وتعالى.

١٠ ـ قلة هم الذين يدركون هذا المعنى ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ ويجدونه في كل شيء، والكثرة تغطُّ في غياهب الغفلات.

١١ ـ لو آمنا بهذا المعنى ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ لكان الفائض من وجبات الأسـر اليومية في بيوتها كافٍ لإغاثة العالم الإسلامي في كثيرٍ من محنه ولأوائه.

١٢ ـ ما أكثر ما يُلقى من الطعام في النفايـات الخاصة والعامة في حين يموت الناس جوعاً في أقاصي الأرض ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

١٣ ـ قال لزوجته في باكر حياته ما زاد من طعامنا فيسـألك الله تعالى عنه، وما نقص فعفى الله تعالى عنك في الدارين ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ وقام هذا المعنى في بيتهم كما يشاؤون.

١٤ ـ إذا دخل الإسراف شيئاً من أحوالك فقد تدخل في قطار مَنْ لا يحبهم الله ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

١٥ ـ ما أحوجنـا للقدوات في إثراء هذه المعنـى الكبير ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

١٦ ـ في زيارة معرض الرياض الدولي للكتاب عام ١٤٣٨هـ تعشَّـينا في سـاعةٍ متأخرةٍ وأردنا أن نحمل بقية الطعام الفائض للمحتاجين، فقال لنا بعض الرفاق: لن تجدوا أحداً يستقبله في هذه الساعة، فحملناه ووجدنا محتاجَين كأنَّما ينتظرانه في قارعة الطريق ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ فقط ينقصنا تحويل معارفنا إلى مبادرات.

١٧ ـ إنما كـان للإسـراف موقعٌ لأنَّـه تـم التفريـط في السُّـنَّة النبوية «**طعـام الواحـد يكفي الاثنين، وطعام الاثنيـن يكفي الثلاثة..**»[1] ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٠٧٧)، ومسلم رقم (٢٠٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

١٨ ـ ماذا لو فقهنا قول الله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أنكم لا تأكلون من أموالكم، وإنما تأكلون من رزق الله تعالى الذي أعطاكم. إنهم يسرفون لظنهم أنهم يعبثون في حقٍّ وملكٍ لهم، ونسوا أن ذلك رزق الله تعالى، ليس لهم منه شيء.

١٩ ـ كل ما تأكله وتركبه وتسكنه، ليس لك منه شيء، كلُّه من رزق الله تعالى لك ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ فتأمل ذلك وأدر شأن النعمة بإمعان.

٢٠ ـ إياكم وحِمَى المحارم! فتلك من خطوات الشياطين ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

٢١ ـ لا يبدأ الشيطان معك الجولة الختامية، ومشـــهد الخسران النهائي إلَّا بعد جملة كثيرة من الخطوات، التـــي تؤدي إلى تلك الخواتيم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

٢٢ ـ الذين يفقهون خطورة الخطوة الأولـــى، ويحرصون على عدم خطوها من البدايـــة هم صناع الغنائم، وأصحاب مواكب الشـــرف فـــي النهاية ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

٢٣ ـ أعظـــم الحلول أثراً وأكثرهـــا فاعلية في تجنب خطر الشـــيطان، التصدي للفكرة مـــن أصلها، ووقف الخطـــوة الأولى فـــي بدايتها ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

❀ ❀ ❀

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ
ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ
ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ
ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ
ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ كُنتُمْ
شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ
مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا
مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ
ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ
وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا
حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ
جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

التفسير

• ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ خلق لكم ثمانية أصناف ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ زوجين ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ زوجين ذكر وأنثى ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله تعالى لعلة الذكورية ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أم حرم الأنثيين لعلة الأنوثة ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أم حرّم ذكورها وإناثها جميعاً، وهذا كلُّه إلزام للمشركين المحرِّمين من عند أنفسهم، فإن قلتم: حرَّم الذكرين فلازم ذلك جميع الذكور حرام، وإن قلتم: حرم الأنثيين فلازمه أن جميع الإناث حرام، وإن قلتم: حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، فكل ما ولد منهما حرام ذكراً كان أو أنثى، فكيف إذا حرَّمتم بعضاً وحلَّلتم بعضاً ﴿نَبِّـُٔونِى﴾ أخبروني ﴿بِعِلْمٍ﴾ بدليل ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ فيما تحلُّون وتحرِّمون.

• ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ﴾ زوجين ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ زوجين ذكر وأنثى ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ هل حرم الله تعالى ما حرم لذكورته ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أم حرَّم ما حرَّم لأنوثته ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أم حرَّم ذكورها وإناثها، ولم يحرِّم الله تعالى منها شيئاً، وإنما هو افتراء هؤلاء وكذبهم ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ حاضرين ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ حين وصاكم الله تعالى بهذا العلم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فلا أحدَ أظلم ممَّن هذا حاله ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ﴾ عن الحق ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ دليل بيّن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ فلا يدلُّهم إلى الحق.

• ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾ ممنوعاً ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ من المأكولات والمشروبات ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ فإن كان ميتة فهي حرام

﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ جارياً فإنه حرام ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ نجس ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ ذُبح لغير الله تعالى ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى الأكل من هذه المحرَّمات ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ مريد لأكلها ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متجاوز للحدِّ في أكلها ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ بالمؤمنين.

• ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ على اليهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ كل حيوان لم تنفرج قوائمه كالإبل ونحوها ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ وما عدا الشحم فحلال ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ من الشحم فهو حلال ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ شحم الأمعاء ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ من الشحوم كل ذلك حلال، فصار الشحم المحرم عليهم شحم الإلية فحسب ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ أي صار هذا التحريم بسبب بغيهم وعدوانهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ في كل ما نقول ونفعل.

التَّدَبُّر

١ـ الخوض في شريعة الله تعالى دون علم من أعظم الافتراء والعدوان على الله تعالى ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.

٢ ـ حمى الشريعة أجلُّ من أن يستبيحه الغرباء ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٤)﴾.

٣ ـ من الظلم أن يقول قائل في شريعة الله تعالى دون علم ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٤)﴾.

٤ ـ يحسبون الظلم في زيادة شبرٍ من أرضٍ مغصوبةٍ أو حق آخرين، ونسوا أنَّ التقوُّل في شريعة الله تعالى دونَ علمٍ وبرهانٍ من أعظم الظلم وأكثره ظلاماً في واقع صاحبه ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٤)﴾.

٥ ـ الأصلُ ألَّا يقولَ قائلٌ في شريعة الله تعالى حكماً إلَّا ومعه برهان ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ

لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٥﴾﴾.

٦ - بغي الإنسان وعدوانه سبب في حرمانه من حقوقه ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾.

٧ - إذا رزقك الله تعالى نعمةً فسُلبت منك؛ فاعلم أنَّ ذلك بسبب خطوك أول مرة في البغي ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

٨ - النتائج التي تعيشها موكولةٌ بالأسباب التي صنعتها ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

٩ - إذا فتحت باباً في الظلام فتأكَّد أَنَّ شمس الظهيرة ستحرقُ ظهرك يوماً ما ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

❀ ❀ ❀

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ
شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۚ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَاۗ قُلْ
هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ
وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ
لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ
أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ
وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ
رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ
نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ
ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

التفسير

- ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ المشركون فيما تدعو إليه ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ عامة شاملة ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ عذابه ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ المعتدين على حقوق الله تعالى وحقوق خلقه.

- ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لو أراد الله تعالى ﴿مَآ أَشْرَكْنَا﴾ به أحداً ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ ولا أشرك آباؤنا ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ ممَّا حرمناه، ولكن كلٌّ ما فعلنا بإرادته ومشيئته ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ممن سبقهم ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾ عذابنا ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ دليل على أن الله تعالى شاء ذلك منكم ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ لنعرف صدقكم ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الخطأ ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ تتوهَّمون.

- ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ البليغة الواضحة في دحض شبهكم ﴿فَلَوْ شَآءَ﴾ الله تعالى ﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ إلى الحق.

- ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾ معكم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ الذي قلتم بتحريمه ﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾ معكم ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ فلا تصدِّقهم ولا تسلِّم لهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ من المشركين ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ يسوّون به غيره.

- ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ﴾ أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ من المحرمات ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ لا تجعلوا له شريكاً في شيء ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ برُّهما بالأقوال الجميلة والأفعال الحسنة ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ خشية

الفقــر ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾ فلا تخافوا عليهــم الفقر ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ ما فَحُش وقَبُح من الأقوال والأفعال ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا﴾ ما أعلن ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ ومــا اســتتر ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ لا تقتلوا الأنفس المحرمة ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ كأن يكون قصاصاً أو حدّاً ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ أمركم به أمراً مؤكداً ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١﴾ أمر الله تعالى وحكمته.

التدبر

١ ـ ســعة رحمة الله تعالى ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧﴾ ومن معاني هذه الســعة أنه لا يعاجل مذنباً بالعقوبة.

٢ ـ جمال هذا الدين وأناقته؛ فهو لا يختصــر مواقف المكذبين في لحظة، ولا يفتح لهم آمالاً دون نهاية ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧﴾.

٣ ـ ليس ثمة طريقٌ ثالث في الحياة، إما الربح، أو الخسران ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧﴾.

٤ ـ كم من تفريطٍ ألحقَ بالمفرّطين بأسَ الله تعالى ونقمته! ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧﴾.

٥ ـ المصرُّون على نهايات الســوء، ســيطالهـم بـأس الله تعالـى يومـاً مـا ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧﴾.

٦ ـ رأيت من يحتج بالشريعة لشهواته، ويرمي بها عرض الحائط حين تتعارض مع تلك الشهوات ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾.

٧ ـ تزوجوا، وزرعوا، وسافروا، وتعبوا من أجل أمانيهم إدراكاً منهم أن السماءَ لا تمطر ذهباً، وحين أشركوا اعتلوا بالقدر، وأن ذلك مشيئة الله تعالى وقدره النافذ عليهم ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ ما أقبح الكذب!

٨ ـ إذا رأيتهم يتسوَّرون محاريبَ العلم؛ فاعلم أن ذلك غاية الجهل والخذلان ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾.

٩ ـ أسوأ درجة الخذلان أن ترى مخلوقاً يتطاول على جناب الله تعالى ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾.

١٠ ـ الحق لا يتأتى من خلال كثرة العدد، وإنما تصنعه الأدلة والبراهين ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾.

١١ ـ الشـرك بالله تعالى أعظم جريمةٍ وجنايةٍ في حقِّ الرب ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾ يخلقهم ويعبدون غيره، ويرزقهم ويشكرون سواه!

١٢ ـ عظيم شـأن الوالديـن عند الله تعالـى ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾ ألا تراه قَرَنَ طاعتهم بتوحيده جلَّ في علاه!

١٣ ـ إدارة الأولويات ضرورةٌ في حياةِ كلِّ إنسان ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾ بـدأ بتحريم الشركِ أولاً؛ لأن التوحيد هو الأصل وما بعده فرع.

١٤ ـ حين يكون الوالدان في سـلم أولوياتك تشرف بك على التوفيق كما تشاء ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾.

١٥ ـ أكثر الدلائل على خذلان إنسان سـوءُ علاقته بوالديه ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

١٦ ـ إذا بلغك حديثٌ عن عاقٍّ؛ فاعلم أنه أسقط كلَّ أسبابِ التوفيق، واستقبل كل خسائر الخذلان ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

١٧ ـ أحلف ولا أستثني أن الإنسان ما جرَّ على نفسه ويلاتٍ بعد الشرك بالله تعالى كويلاتِ العقوق! ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

١٨ ـ الشرك بالله تعالى، وعقوق الوالدين، والقتل، وقربان الفواحش طريق الهلاك، من نجا منه فهو إلى خير ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ
وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ
أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ
هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ
وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ
يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ
طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾
أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ
جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ
عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

التفسير

• ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ بأكلٍ أو نحوه ممَّا ينقصه ﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بما ينميه ويحفظه لهم ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قوته وكمال رشده ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قدرتها ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ قولاً تحكمون به بين الناس ﴿فَٱعْدِلُوا۟﴾ فتحرّوا العدل في قولكم ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ولو كان الحقُّ لمن بينكم وبينه قرابة ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾ وإذا عاهدتم أحداً فأوفوا بعهدكم ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ أمركم به وأوجبه عليكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ أحكام الله تعالى فتعملون بها.

• ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى﴾ طريقي ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ لا اعوجاج فيه ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ اسلكوه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ الطرق ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ عن طريقه ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ أمركم به وأوجبه عليكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ الله تعالى فتفعلون أوامره وتتركون نواهيه.

• ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿تَمَامًا﴾ لنعمته، وكمالاً لإحسانه ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ من أمة موسى ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاجون إلى بيانه ﴿وَهُدًى﴾ إلى طريق الحق ﴿وَرَحْمَةً﴾ بما يدلُّهم فيه على الخير ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ يصدِّقون.

• ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾ القرآن الكريم ﴿أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ كثير البركة ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ في كلِّ ما يأمركم به ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ ربكم فيما يأمركم وينهاكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ برحمة الله تعالى.

• ﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾ حتى لا تقولوا ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ التوراة والإنجيل ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ اليهـود والنصـارى ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾ تلاوة كتبهم ﴿لَغَٰفِلِينَ ١٥٦﴾ لا ندري ما فيها.

• ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ كما أنزل عليهم ﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ إلى الحق ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ القرآن الكريم ﴿وَهُدًى﴾ إلى الخير ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ للخلق ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فلا أحدَ أظلمُ من المكذِّب بآياتِ الله تعالى ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أعرض عنها ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ يعرضون عنها ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ١٥٧﴾ بسبب إعراضهم.

١ ـ حقوق الضعفاء يجب أن تصان عن أيدي العابثين ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾.

٢ ـ النيّاتُ أصلٌ في كلِّ عمل ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾.

٣ ـ أياً كان عملك الذي تدير شـأنه؛ فالنيات فيه أبلغ وأخطر ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾.

٤ ـ العدل أسـاس كل شـيء ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ وبسقوطه تزول أعظم القيم. ليس هذا في شأن مكيالٍ وميزانٍ حسّيٍّ، بل هو في كل شيء، وما يجري في بيتك ومع ولدك وعاملك ووظيفتك وحقوق نفسك يجري فيه هذا الأصل، ويترتب عليه مواطن التوفيق والخذلان.

٥ ـ كل ما يجري على لســانك دِين، يجب أن يجري على قاعدة العدل ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ حتى لو كان قريبك، ومن أهل بيتك فشــأن العدل أعظم.

٦ ـ الوفاء بالعهود دين، يجب أن يبسط واقعه في شأن المسلم كله ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾.

٧ ـ هذا يبرم عهداً ولا يبرحه قدر أنملــة، وذاك يبرم عهداً ويلقي به في عرض الطريق لأدنى شبهة ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾ ما أبعد الفرق!

٨ ـ الوفاء بالعهود والمواثيق من تعظيم شعائر الله تعالى ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾.

٩ ـ درّب نفسك إذا التزمت بشـــيء لأبنائك، أو زوجك، أو صديقك ألا تخرم ذلك الالتزام، مهما كانت الظروف العارضة في طريقك ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾.

١٠ ـ الحقُّ أبلجُ من كلِّ شـــيء ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ وما عداه فظلام، لا تستبين فيه موضع قدمك.

١١ ـ إذا قرأت الوحي أدركت أنك أمام شريعة مكتملة واضحة مستقيمة، لا ينفرط لها عقد ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

١٢ ـ سُبل الضلال كثيرة ومختلفة ومتنوعة، وكلٌّ منها يلقي بك في الضياع، وصــراط الله تعالى لا تلج منــه إلّا للحقائــق ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

١٣ ـ الحق لا يحتاج إلى مؤهلاتٍ لتمامه، هو فقط كافٍ لبلوغ تلك الغايات التي تنشدها ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ حتى لو كنت وحدك على بصيرة من ذلك الوحي فلا يضرك ذلك!

١٤ ـ لو أخبرك ثقةٌ عن تجربته الشخصية في هذا الشأن لكانت تجربةً ثريَّةً؛ فكيف والذي يخبرك عن بركة القرآن ربُّ العالمين! ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾.

١٥ ـ ما أحوجنا لاستثمار هذه البركة في أرواحنا، وقلوبنا، ومشاعرنا، وأوقاتنا، وكلِّ شيءٍ في حياتنا ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾.

١٦ ـ البركة المشار إليها في الآية، تأتي من خلال كثرة قراءته وتدبره والاستشفاء به ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾.

١٧ ـ القرآن والتقوى أوسعُ طريقٍ لرحمة الله تعالى ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾.

١٨ ـ من حق هذه المعرفة أن يُحتفى بها في حياتك من خلال جدولٍ يوميٍّ وأسبوعيٍّ وشهريٍّ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾.

١٩ ـ جرّب أن تخصص وقتاً وورداً ومساحةً لهذا المعنى، ولعلك تبلغ أمانيك في الدارين ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾.

٢٠ ـ مِنْ بلاغةِ حوارك القدرةُ على قطع نزاع خصمك ببراهين الحق ﴿أَن تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ

وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾.

٢١ ـ توقُّعُ ما يقوله الخصم، والإجابةُ على سؤالاته، وقطعُ حججه منهجٌ في الردِّ على الخصوم ﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾.

٢٢ ـ مشكلتنا الكبرى أنَّنا لم نقرأ هذا المعنى بوعي ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ ماذا لو احتفينا به وركَّزنا عليه، وأثرينا واقعه بجملة من البرامج والتطبيقات التي تسهم في بسط أثره في واقعنا.

٢٣ ـ الإعراضُ عن الله تعالى موجبٌ لسوءِ النهايات ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾.

❀ ❀ ❀

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ
بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟
إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ
مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ
﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ
خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى
مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

التفسير

- ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظر هؤلاء ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ملائكة الموت لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ يوم القيامة لفصل القضاء ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ من أمارات الساعة الدَّالَّةِ على القيامة ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ كطلوع الشمس من مغربها ونحوها من الأمارات الكبرى ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ تلك اللحظة لارتفاع التكليف ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ هذه اللحظة ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ بعملٍ صالحٍ قدَّمته لله تعالى ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ عذاب الله تعالى ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ ما وعد ربنا.
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ شتَّتوه وتفَّرقوا فيه؛ فأخذوا ببعضه وتركوا بعضه الآخر ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ فرقاً وأحزاباً ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ بريء من فعلهم ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فهو مجازيهم على كل ما يفعلون ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ يخبرهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ في أيام الدنيا.
- ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ مِنْ فعلٍ أو قول ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ مضاعفة عشر مرات ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ مِنْ فعلٍ أو قول ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ واحدة ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ لا ينقصون حقهم.
- ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ واضح معتدل ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ مستقيماً ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الحق ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ بالله تعالى.
- ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ ذبحي ﴿وَمَحْيَاىَ﴾ حياتي ﴿وَمَمَاتِى﴾ وموتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ كله لله تعالى خالصاً لوجهه.
- ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ في ذلك ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ من الله تعالى ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ من هذه الأمة.

• ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ كيف أطلب رباً غير الله تعالى ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في الكون ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من خيرٍ أو شر ﴿إِلَّا عَلَيْهَا﴾ خير ذلك وشره ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ ولا تحمل نفسٌ ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ إثم غيرها ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ يخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ في الدنيا.

• ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ يخلف بعضكم بعضاً ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ في القوَّةِ والعافيةِ والرزقِ والمكانة ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ليختبركم فيما أعطاكم من الفضل ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ للمخالفين ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ بالمؤمنين.

التدبر

١ ـ كلُّ أمدٍ له نهاية ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ مساكين ليتهم اعتبروا قبل فوات الأوان!

٢ ـ مؤسف أن تنتهي ساعات الأمد، وفرص الانتظار دون غاية ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

٣ ـ كثيرون جداً رأوا الموت مراراً، وعادوا للحياة من جديد، ومع ذلك ما زالوا في أَمَدِ الغفلات ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ

ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

٤ ـ الفرقة والخلاف والنزاع ليست من دين الله تعالى في شيء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

٥ ـ مواطن النزاع والخلاف والشقاق ليست موطناً للكبار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

٦ ـ أياً كانت المصالح المتوخاة في ظلِّ هذه النزاعات، ينبغي أن ينأى عنها الكبار قدر وسعهم واستطاعتهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

٧ ـ الاجتماع والتآلف والإخلاص، يصنع التغيير في أيِّ مساحةٍ يقطنها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

٨ ـ نافذة على سعة رحمة الله تعالى ولطفه بعباده المؤمنين ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

٩ ـ لا يهلك على الله تعالى إلَّا هالك ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

١٠ ـ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ درسٌ في أنَّ مساحةَ الفرصِ أكبرُ بكثيرٍ من تطلعات إنسان!

١١ ـ الولاء لهذا الدين بعضُ مظاهر العزَّة فيه ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

١٢ ـ ارفع رأسك فأنت أشرف العالمين في الأرض ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٦١) ﴾.

١٣ ـ الانتساب لهذا الدين شرفٌ يستحقُّ الإعلان عن هويَّته أمامَ العالمين ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٦١) ﴾.

١٤ ـ إنَّما نحن أُجَرَاءُ عند الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾.

١٥ ـ هذا هو تعريفُ الإسلامِ لمن أراد حقيقته الكبرى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾.

١٦ ـ كم من إسلام بالدعوى! وهذه الحقائق التي يجب أَنْ تأخذَ حقَّها من واقع صاحبها ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾.

١٧ ـ كثيرون حين تُسْتَقرأ أحوالهم وحياتهم، تجد نزاعاً في الاستسلام الكلِّيِّ إلَّا من رحم ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾.

١٨ ـ الأفكار التي تحملها، والهموم التي تعيشها، والأعمال التي تقدمها، إنَّما تصنعُ بها مستقبلَ حياتك، أو تكتب بها في النهاية عواقبَ الخسران لها ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) ﴾.

١٩ - ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ذكرى في استنقاذ العابثين قبل الفوات.

٢٠ - ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ درسٌ في مفهومِ المسؤوليةِ الفرديةِ في حياةِ كلِّ إنسان.

٢١ - جملة من الخلافات لا تنتهي إلَّا في مواقف الحساب ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

٢٢ - العمى عن الحقِّ موجبٌ لهذا الخلاف الطويل حتى تحين مواعيد الجزاء ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

٢٣ - ماتوا وهم مختلفون، وفي يوم القصاص موعدُ تلك الحلول ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

٢٤ - عمارة الأرض سببُ هذا الاستخلاف للإنسان فيها ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾.

٢٥ - هذا التمايز بين جنس الإنسان في المكانة والمسؤولية والقدرات والمهارات للاختبار والابتلاء ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾.

٢٦ - الذين يدركون هذه الغاية من الاختلاف بين جنس الإنسان ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ يحسنون توظيفَ مهاراتِهم، وقدراتهم، وإمكاناتهم، ومسؤولياتهم في سبيل الله تعالى.

٢٧ ـ كم من مسؤوليات ومهارات، وقدرات وإمكانات، وجاه وسلطان، ناهَضَ بها الإنسان دينه فضلاً أَنْ يستثمِرَها في النجاح في موطنِ البلاءِ والاختبار! ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ الأَعْرَافِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ
بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا
تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ
إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ
ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم
بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ
مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ
فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا
تَشۡكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ
ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

التفسير

• ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ من الحروف المقطعة التي تدلُّ على إعجاز القرآن.

• ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ القرآن الكريم ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ ضيق وشكٌّ واشتباه ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ لتخوّف به الناس ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ تذكيراً لهم.

• ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾ أيها الناس ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ من كتاب الله تعالى وسنّةِ رسوله ﷺ ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ الله تعالى ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ تتولّونهم من دون الله تعالى ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ ما أقلَّ ما تتذكرون حق الله تعالى عليكم!

• ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ﴾ قرى كثيرة أصرَّت على كفرها وضلالها ﴿فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ وهم نائمون ليلاً ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤﴾ نائمون في وسط النهار.

• ﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ دعاؤهم ﴿إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ﴾ وقت نزول العذاب بهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥﴾ لأنفسنا.

• ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ لنسألن الأمم الذين أرسل الله تعالى فيهم المرسلين عن جوابهم لرسلهم ﴿وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦﴾ وسنسأل الرسل عن تبليغ رسالتهم.

• ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖ﴾ على الرسل والمرسل إليهم فيما وقع بينهم وقت الدعوات ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾ عنهم في وقتٍ من الأوقات.

• ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ العدل ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ رجحت كِفَّةُ الحسنات بالسيئات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨﴾ الفائزون.

• ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ فرجحت كِفَّةُ سيئاته ﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم ﴾ بفوات النعيم وعذاب الجحيم ﴿ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ يجحدون.

• ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ جعلنا لكم فيها مكاناً وهيأناها لكم ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ﴾ ما تعيشون به من الزروع والثمار والتجارات والصنائع ونحوها ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ فما أقلَّ ما تشكرون نعم الله عليكم.

• ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ﴾ أباكم آدم ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ﴾ جعلنا أباكم في أحسنِ صورة ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾ على سبيل التكريم ﴿ فَسَجَدُوٓا۟ ﴾ أجابوا أمر الله تعالى فسجدوا له ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ أبى أَنْ يسجدَ تكبُّراً وعناداً.

التَّدَبُّر

١ ـ القرآن الكريم هو روح الدعوة، وسِرُّها الناهض، وسراج ظلامها في كلِّ ليل ﴿ كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾.

٢ ـ إذا أراد الدعاة أن يكتبوا حظوظ الدعوة في قلوب السامعين فليسمعوهم هذا الوحي وهو يعرض لهم الآخرة كأنهم يرونها رأي عين ﴿ كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾.

٣ ـ المنهجُ الدعويُّ هو الذي يجمع بين البشارة والنذارة ﴿ كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾.

٤ ـ كل معاني الحياة وقفٌ على هذا المعنى ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ وعلى قدر إقبالك على هذا المعنى يزدان لك كلُّ شيء.

٥ ـ ليتنا ندرك كم يصنع لنا الإقبـال على هذا المعنى من حياة ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾.

٦ ـ كل معاناتنا التي نجدها عارضة في طريق أحلامنا هي نتيجة لضعف علاقتنا بهذا المعنى الكبيـر ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ وهي فـي المقابل نتيجةٌ لمخالفةِ ذلك التوجيه المباشر ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾.

٧ ـ مشاهد عذاب الله تعالى للمعرضين باسطة لا تحتاج سوى معتبرين ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

٨ ـ درس التاريخ أكثر الدروس عبرةً وعظة ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

٩ ـ كم من أمَّةٍ خلت هي مثار العبرة في التاريخ لو كان لنا قلوب ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

١٠ ـ كم من عذرٍ جاء متأخراً عن وقته، ولم ينفع صاحبه في شيء! ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

١١ ـ ما زالت الفـرص عارضة تنتظر مسـتثمرين قبل الفـوات ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

١٢ ـ كل ما يجـري في هـذه الحيـاة لغايـة ﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾.

١٣ ـ كم من سؤالٍ في العَرَصات نحن عنه غافلون! ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

١٤ ـ أيها الدعاة! ما أنتم قائلون غداً عن واجبات الدعوة، ومهمات الرسل، والأمانة التي ألقى الله تعالى بها على ظهوركم ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

١٥ ـ كم مِنْ مسؤولٍ عنه ضاع في ملهيات التسويف! ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ رأيت بعضهم لا يقوم بكلمةٍ في الأسبوع، ولا ينشط للمشاركة في محاضرةٍ رغم الحاجة إليها، ولا يشارك بخطبة رغم ما آتاه الله تعالى.

١٦ ـ من كمال فقهك وعقلك أن تعرض سيرتك على ما جاء به رسولك ﷺ استعداداً للإجابة على تلك الأسئلة التي تعرض لك في مواقف العرصات ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

١٧ ـ كم من قصة حقيقة بالفرح! وكم من قصة حقيقة بالأحزان! ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

١٨ ـ في ساحات القيامة سترى قصة تاريخك من لحظة بلوغك إلى لحظة وداعك للدنيا ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ لا يتخلّف منها شيءٌ.

١٩ ـ استكثر من الأعمال الصالحة قدر وسعك ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

٢٠ ـ كم مِنْ مستورٍ في ساحات الدنيا؛ مفضوح بين يدي الله تعالى في ساحات القصاص ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

٢١ ـ الحيــاةُ ميدانٌ لتنافسِ الشــرفاء ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

٢٢ ـ هــذه لحظات الانتصــار والفرح، والإخفاق والفشــل في حقِّ كلِّ إنســان ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

٢٣ ـ كلُّ انتصارٍ في هذه الحياة لا يمتدُّ في ســاحات ذلك الفلاح فلا قيمةَ له في واقع الإنسان ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

٢٤ ـ الخسارة التي تجهض كلَّ أحلامِ الإنسان هي خسارةُ هذه النهايات ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

٢٥ ـ كثيرة هي النعم التي تســتحقُّ شــكراً وعرفاناً ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾.

٢٦ ـ من البصيرة والفقه أن تُحْدِثَ لكلِّ نعمةٍ مواقفَ شكر ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾.

❀ ❀ ❀

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا
نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ
ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن
تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

التفسير

- ﴿قَالَ﴾ الله تعالى سائلاً إبليس وموبّخاً له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ ما الذي منعك من السجود ﴿قَالَ﴾ إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ أفضل وأحسن ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ والنار أشرف من الطين.
- ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ انزل من الجنة ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿فَٱخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ الحقيرين الذليلين.
- ﴿قَالَ﴾ إبليس: ﴿أَنظِرْنِيٓ﴾ أخّرني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ يوم القيامة.
- ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ المؤخرين لذلك اليوم.
- ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ أضللتني عن الحق ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ لأترصدنّهم وأصُدَّنّهم ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ طريقك المستقيم.
- ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ للتزهيد في الآخرة، والترغيب في الدنيا، وإلقاء الشبهات، وتزيين الشهوات ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ لنعمتك.
- ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿مَذْءُومًا﴾ ممقوتاً مذموماً ﴿مَّدْحُورًا﴾ مطروداً ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من الناس ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ منك وممّن تبعك.
- ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ استقرّا فيها ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ مِنْ كلِّ مكان ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ عيّن لهما شجرةً، وحرَّمها عليهما ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ بالأكل منها.
- ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ لآدم وزوجه ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾ ليظهر لهما ﴿مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا﴾ ما غطّي وستر ﴿مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ عوراتهما ﴿وَقَالَ﴾ الشيطان لآدم

وزوجـــه: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ ما منعكما عنها ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ حتى لا تكونا ملكين ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ في الجنة.

- ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ حلف لهما ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ ناصحٌ صادقٌ فيما أقول لكما.

- ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ أنزلهما من منزلتهما العالية ﴿بِغُرُورٍ﴾ بغفلة ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ أكلا منهـــا ﴿بَدَتْ لَهُمَا﴾ ظهرت ﴿سَوْءَٰتُهُمَا﴾ عوراتهما ﴿وَطَفِقَا﴾ شـــرعا وأخذا ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ يلزقان علـــى عوراتهما ﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ وهما على تلك الحال: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ ألم أمنعكما من الأكل منها ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ ظاهر في العداوة.

التَّدَبُّر

١ ـ ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ هذه ﴿أَنَا۠﴾ التي أودت بإبليس في غياهب الضلال، وهي ذاتها التي تودي بكثيرين!

٢ ـ الكبر أعظم الأمراض التي تداهم الإنسان، وتجهض جهودَهُ وأعمالَه ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾.

٣ ـ ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ رأيتُ هـــذا المعنى في طالبِ علمٍ، وصاحبِ جاهٍ وســلطان، ومن تولى رئاســة، ومن فتح الله تعالى عليه في مشروعٍ، فلا هُمْ نفعوا أنفسهم، ولا هُمْ نفعوا غيرهم.

٤ ـ إذا شـــعرت بشـــيء من أثر ﴿أَنَا۠﴾ في جزء من عملك فأدرك نفسك قبل الفوات؛ فهذه بداية النهايات ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي

مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾.

٥ ـ مساكين أولئك الذين يتقلَّبون في لحاف هذا المعنى ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ عاشوا على سرابٍ أودى بهم في النهاية إلى الضلال.

٦ ـ أمراض القلوب أكثر الأمراض خطورة، وأشدها بأساً، وأعظمها خطراً على حياة صاحبها ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾.

٧ ـ غالباً ما يأتي سوء الخواتيم من أمراض القلوب ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ الكِبْرُ والعُجْبُ ما أكثر ما تغتال أعمالنا.

٨ ـ هذه أماني إبليس ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ فما أنت صانعٌ في مواجهتها؟!

٩ ـ هذا هو عدوك وهذه أمانيه ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ ومن كمال فقهك أن ترصد للمعركة قدرها من الاستعداد.

١٠ ـ راية الإصلاح التي تحملها من أعظم ما يغيظ العدو ويدحر كيده؛ لأنها مرحلةٌ متقدِّمةٌ في ردِّ عدوانه، وإبطال أمانيه ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾.

١١ ـ كن يقظاً للمواجهة؛ فمقابل كل خطوة تخطوها مواجهة لأماني عدوك ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

١٢ ـ دائماً ما نغرق في المساحات الضيقة ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ المساحة الممنوعة في مقابل تلك المساحات المفتوحة على مصراعيها، لكن دائماً ما يكون الممنوع مرغوباً.

١٣ ـ جبلت النفوس على حُبِّ الممنوع ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

١٤ ـ الوسوسةُ أول الطريق، وبداية الظلام، وشرارة المعركة، وهي الطريق الذي يخوض به إبليس معنا رحلة الهاوية ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

١٥ ـ الوسوسة كالحَبِّ الذي تلقيه للحَمَامَ ليصطَفَّ أمامك ثم تأخذ فريستك منه، وكقطع الجبن التي تلقيها للفأر الذي آذاك لترمي به في خواتيم النهايات، والوسوسة ذاتها يُرَتِّبُهَا لك الشيطان في كل موقفٍ ليلقي بك في المعاصي ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

١٦ ـ إذا أراد الشيطان أن يضلك بنى لك صرحاً من أمل؛ وأراك ربيعاً في الصحراء اليابسة، وزيّن لك مستنقع الحياة، ثم أوردك إليها مسروراً ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾.

١٧ ـ الزينة هي القصة التي يبدأ بها معك الشيطان في كل مرة، ويجري لك أحداثها كأنما تراها رأي عين، ثم يلقي بك من خلالها في الضلال ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾.

١٨ ـ يصوّر لك الربا صفقة العمر، والزنى أمنية الحياة، والرشوة فرصة اللحظة، ثم يدعك تخوض غمار النهايات بمفردك ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾.

١٩ ـ كل الذين في السجون العامة، ونهايات السوء، وأحداث الإخفاق يقولون: كان مشهد اللحظة أبهج بكثير من صور الخاتمة التي نعيش أحداثها ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾.

٢٠ ـ تأكّد تماماً أَنَّ كلَّ مخالفةٍ لربِّك هي طاعة لعدوِّك، ومهما عرض صورتها، وأبان لك عن جمالها، إلَّا أنها في النهاية خسارة الدارين ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾.

٢١ ـ كثيرون من الذين غرقوا في البنوك كانت الزينة العارضة أقوى من صور النهايات التي يعيشونها اليوم، فوقعوا أسرى تلك اللحظات ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾.

٢٢ ـ في كلِّ لحظةٍ تدير فيها معركةً مع العدوِّ أَمِطْ لثامَ اللحظة العاجلة، ومُدَّ نظرك لخواتيم تلك المشاهد ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾.

٢٣ ـ لا تستغرب حين ترى المرأة في الشاشة أو في الطريق، أو في الأسواق تملك جمالاً مثيراً غير العادة؛ لأن هذا جزء من مشهد المعركة التي يديرها إبليس معك ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾.

٢٤ ـ قال لصاحب الدخان: لا تحرم نفسك المتعة، وقال لصاحب المخدرات والسرقة: المغامرة وحدها تكفي للعز، وقال لكثيرين: يمكنكم أن تبدؤوا الحياة التي تريدون ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾.

٢٥ ـ هذه نهاية مشاهد الزينة التي يصوِّرها الشيطان في كلِّ مرة ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢)﴾.

٢٦ ـ هذه النهاية نقرؤها في كلِّ مرةٍ، ويتكرَّر علينا مشهدها في كل حين ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢)﴾ ومع ذلك نَقَعُ فيها مراراً.

٢٧ ـ معركة الشيطان هي المعركة الوحيدة التي فيها كل شيء مكشوف، وهي المعركة التي نخسر فيها في كل مرة كل شيء ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢)﴾.

❀ ❀ ❀

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا
يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ
إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟
فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ
أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا
هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ
أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

التفسير

- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ بمخالفة أمرك ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ تستر عنا هذه الخطيئة وتمحهـا ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾ بقبول توبتنا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ لنعيم الآخرة.

- ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ﴾ أنتـم وإبليـس ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أعـداء لبعض ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع تستقرون فيه ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ تتمتَّعون به ﴿إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ إلى زمن آجالكم.

- ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ في الأرض ﴿تَحْيَوْنَ﴾ تعيشـون مدَّة آجالكم ﴿وَفِيهَا﴾ في الأرض ﴿تَمُوتُونَ﴾ بانتهاء آجالكم ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ تُبعثون بعد موتكم.

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ﴾ عوراتكم ﴿وَرِيشًا﴾ لباس زينة ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ أفضل وأحسـن من اللباس الحسِّي ﴿ذَٰلِكَ﴾ ما تلبسـون ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ من دلائل عظمتـه ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ ما ينفعهم.

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يضلُّكم ويخدعُكم ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾ آدم وحـواء ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ الـذي يسـترهما ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ عوراتهما ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ﴾ الشيطان ﴿هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ أعوانه ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ لا تتمكنون من رؤيتهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ قرناء وأعواناً ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ بالله تعالى ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ﴾ المشـركون ﴿فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ يفعلونها ففعلناهـا اقتداءً بهم ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ بفعلها

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ لا يليق به أن يأمر بفعل الفاحشة ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ ما لا سبيل لكم إلى علمه.

• ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ توجهوا لله تعالى واعبدوه في كل حال ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ قاصدين بذلك وجهه غير مشركين به ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ أوّلَ مرّة ﴿تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ للبعث بعد ذلك.

• ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ﴾ وفّقه الله تعالى للهداية ﴿وَفَرِيقًا﴾ منكم ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ وجبت عليهم الضلالة ﴿إِنَّهُمُ﴾ الذين حقت عليهم الضلالة ﴿ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ أعواناً ومناصرين ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ﴾ في فعلهم ذلك ﴿أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ على الحق.

التدبر

١ ـ حين تقع في معصية، وتجري عليك سنن الله تعالى في هذا الشأن، فالزم ما لزمه أبواك ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

٢ ـ الاعتراف بالذنب، والإقرار بالخطيئة بين يدي ربك، وكمال الخوف والخشية من عواقبهما موجبٌ للغفران ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

٣ ـ أولُ عدوٍّ وأخطرُ عدوٍّ وأهمُّ عدوٍّ هو الشيطان ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ فأعِدَّ عدتك لمواجهته وإياك ونسيان المعركة.

٤ ـ عدونا يواجهنا بمعركة مكشوف فيها كل شيء حتى أدق التفاصيل؛ فمن الغبن أن نخسرها، ونحن نعرف فيها كل شيء ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٥ ـ الألبسة التي نستر بها عوراتنا نوعان: لباس حسّي، وهي ما يعلو أجسادنا، ولباس معنوي، وهي التقوى التي تعمر قلوبنا ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

٦ ـ يكفي من اللباس الحسِّيِّ أدنى شيء، ولباس التقوى منازل تحتاج إلى جهاد ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

٧ ـ لباس التقوى أعظم من غيره، وأستر من سواه، وأجمل لصاحبه في الدارين، وذاك يكفي أن يكون دثاراً في الدنيا فحسب ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

٨ ـ تملك خيارات عدَّة للمعركة التي يديرها الشيطان معك، فإياك وفواجع اليأس ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٩ ـ المعركة التي يديرها الشيطان صعبة ومجهدة ومكلفة كونها من عدوٍّ لا نراه، وطبع الإنسانُ على حبِّ الشهوات، ومع ذلك يملك فيها خيار النصر، ويدير فيها مساحة النجاح ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

١٠ ـ الجهل مؤذنٌ بأسوأ النهايات لصاحبه ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

١١ ـ الشـهوات تصنع الحجب دون الحقائق ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

١٢ ـ ﴿قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ حلقة من حلقات تأجير العقول التي تمتهن أعظم مدَّخرات الإنسان في الحياة كلها.

١٣ ـ ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ صورة من صور التطفل على شريعة الله تعالى، والاعتداء على الله تعالى بغير برهان.

١٤ ـ من سـفه العقول أن تجترئ بهذه الطوام ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

١٥ ـ الناس فريقان: فريق هدى، وفريق ضلال، ولا ثالث لهما في الطريق ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ فانظر أين أنت من هذين الفريقين؟!

١٦ ـ أعظـم الخـذلان أن تجري في طريق الضلال، وتحسـب أنـك في طريق الإصلاح والحق ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

* * *

۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا
تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ
أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾
قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ
ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا
لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ
وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ
عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ
هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ
بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا
يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ
عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

التفسير

• ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ ما تتجمَّلــون به ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ عند الصلاة ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ ممَّا أحلَّ الله تعالى لكم ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ لا تتجاوزوا حدَّ الاعتدال ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ المتجاوزين للحد.

• ﴿قُلۡ﴾ لهم يا رسول الله ﴿مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ من منع ما يتزين به الإنسان، وجعله محرماً ممنوعاً على النــاس ﴿ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ من أنواع اللباس ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ من المآكل والمشارب والمنافع ﴿قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ حلال لهم في الأصل؛ ويشاركهم فيها تبعاً الكفار ﴿خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ لهم وحدهم لا يشاركهم فيها أحد ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ نبيِّنها ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ ما عند الله تعالى من الحق فينتفعون بذلك.

• ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ وهي كل ما يُســتفحشُ ويُستقبحُ في عقول النــاس ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا﴾ في الجوارح ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ فــي القلوب ﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾ الذنب ﴿وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ الظلم ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ﴾ تجعلوا له شريكاً في عبادته ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ حجّةً ظاهرةً واضحة ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ تنسبون له شيئاً لم يقله تعالى.

• ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞ﴾ زمــن محــدَّد للمــوت ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾ حضر زمن وفاتهم ﴿لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤﴾ بل يمضون في الوقت نفســه المحدَّد المقدَّر ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ إن أتاكم رسل منكم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ يخبرونكم بها ويبيِّنونها لكم ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾

جعل بينه وبين عذاب الله وقايةً بفعلِ أوامرِهِ واجتنابِ نواهيه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ ما بينه وبين الله تعالى، وما بينه وبين الخلق ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ فلا يلحقهم حزن ولا ينالهم خوف.

• ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ لم يصدِّقوا بها ولم يعملوا بما فيها ﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ أعرضوا مستكبرين عن ما فيها ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أهلها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ مقيمون.

• ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لا أحد أشدُّ ظلماً ﴿مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ كذب على الله تعالى ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بآيات الله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم﴾ ما قُدِّر لهم من خيرٍ أو شر ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ ملائكة الموت ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ لحظة الموت ﴿قَالُوا﴾ الملائكة: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أين من أشركتم بالله تعالى؟ ﴿قَالُوا﴾ المشركون: ﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾ ضاعوا وذهبوا ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ جاحدين لآيات الله تعالى.

التَّدَبُّر

١ ـ في مواقف الجلال والهيبة والعزة يجب أن تكون على أكملِ حالٍ وأليقه ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾.

٢ ـ مظهرك أحد الأدلة على احترامك لشأنك الذي تخوض فيه ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾.

٣ ـ إجلالك لشعائر الله تعالى دليل على تعظيمك له تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.

٤ ـ من كمال فقهك وعقلك ألا تكون نعم الله تعالى طريقاً للبغي والفساد ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.

٥ ـ كلُّ نعمةٍ جاوز فيها صاحبها حدَّ الاعتدال كان مديناً بها في يوم الحسرات ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.

٦ ـ يكفي صاحب عقلٍ أن يضعه الإسرافُ في خانةِ الهوامشِ ممَّن لا يحبهم الله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.

٧ ـ الإسراف دليل على تعظيم حقوق الأنفس والمخلوقين فوق حقوق الله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.

٨ ـ إذا رأيته يتورّع عن الإسراف، ويقتصد قدر وسعه، ويشغله هذا المعنى فذاك من دلائل العلم، ولو كان صاحبه من العوام ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.

٩ ـ من الحقائق المرَّة أننا نردِّد هذا المعنى معرفة، ولا نعرف له واقعاً منذ زمنٍ طويل ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.

١٠ ـ حين تقتصد تدخل إلى دوائــر التكريم، ويحبُّك الله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.

١١ ـ من لا يحبه الله تعالى كيف يدفع عنه غوائل السوء؟! ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.

١٢ ـ الإســلام يعلِّم ويدرّب ويؤهّل للتخلّص من الديون وإثقال كواهل العالمين بالكماليات ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.

١٣ ـ الإسراف ليس في غدائك وعشائك فحســب، بل في كل شيء من حياتك ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.

١٤ ـ ســافرت معه إلى بلدٍ خارجيٍّ لمدَّة ثمانية أيام، فما تــرك بقايا من إفطاره وغدائه وعشائه طيلةَ تلك الأيام، إن كانت صالحةً رتَّبها وحملها لأقربِ محتاجٍ في الطريق العام، وإن كانت لا تصلح للإنسان توقَّفَ وأطعمها الطير ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ وكذلك تصنع القدوات.

١٥ ـ دعاه على وجبةٍ، وأكرمه، فكان يأكلُ ممَّا هو ساقطٌ من المائدة على السفرة، فذكّره بأن الطعام كثير، فقال: ما ســقط عندي مســؤوليتي، ومــا على المائدة مســؤوليتك بين يدي الله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.

١٦ ـ التحليل والتحريم شــريعةٌ لا يحلّ بحالٍ أن يتكلَّم فيها أصحاب الظنون

والأهواء بحال ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)﴾.

١٧ ـ الجرأة على الفتوى من التعدِّي على حدود الله تعالى والافتراء في شريعته ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)﴾.

١٨ ـ الإيمان يمنح أهله ما يشاؤون في الدارين ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)﴾.

١٩ ـ حين تتأمل هذه المحرَّمات الخمس: الفواحش، والإثم، والبغي، والشرك، والقول على الله تعالى بلا علم، تعلم يقيناً أن الشريعة لا تحرِّم إلَّا ما لا مصلحة فيه، أو كان فيه اعتداءٌ على حقوق الآخرين ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾.

٢٠ ـ **الفواحش**: ما فحش من القول والفعل، وحُرِّم من المعاصي، **والبغي**: الاعتداء على الآخرين في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، **والشرك**: أن يُعطى المخلوق حق الله تعالى، والقول على الله تعالى دون برهان، هذه هي المحرمات التي حذّرت منها الشريعة، ورتَّبت على الوقوع فيها الحساب ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ وهي في مجملها إما اعتداء على حقوق الله تعالى، أو اعتداء على حقوق المخلوقين.

٢١ ـ كل الذين تراهم، لهم أمدٌ يغادرون فيه ساحات الدنيا يوماً ما ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٢٢ ـ الذين يدركون الحقائق، يهبون لها ما تستحقُّ من تطبيق، والسادرون لا نهايةَ لغفلاتهم ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٢٣ ـ نجاحك وإخفاقك؛ وقفٌ على استجابتك لرسل الله تعالى أو الإعراض عنهم ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

٢٤ ـ كثيرون لهم أفكار، ومفاهيم، وتصوُّرات، وآخرون لهم أصدقاء يردُّون عنهم في كل شيء، وما لم تكن على الحقائق، وإلَّا فلا معوّل عليها في النهايات ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

٢٥ ـ الأدعياءُ كثرٌ، وفي يوم الحاجات لا يبقى منهم أحد ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

٢٦ ـ كلُّ أصدقائك الذين ألبسوكَ فكرةً خاطئةً، أو وهماً عارضاً، أو فعلاً قبيحاً، لن تلقى منهم أحداً يعتذرُ عنك في تلك المواقف ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ

كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

٢٧ ـ ما زالت الفرص أمامك لتتخلى عن كل هؤلاء الأدعياء وتُيمِّم وجهك إلى الله ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

٢٨ ـ رأيتهم حوله يقنعونه بفرص الفوضى والفساد والرذيلة، وفي النهاية سيفرُّون عنه ولا يلتفتون إليه ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ ليته أدرك قبل الفوات!

❀ ❀ ❀

قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي
ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا
قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا
ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ
أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ
ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ
يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾
لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا
نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ
ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ
أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ
أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾

التفسير

- ﴿قَالَ﴾ لهم الملائكة: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾ في جملة أمم ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم﴾ سبقتكم إلى الكفر والضلال ﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ﴾ يوم القيامة ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ﴾ من هذه الأمم ﴿لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ حسرة وندامة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا﴾ تلاحقوا فيها واجتمعوا ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ﴾ المتأخرة منهم في الدخول ﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾ للداخلة أول مرة: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ عن طريق الحق ﴿فَـَٔاتِهِمۡ﴾ أعطهم ﴿عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ ضاعف عليهم العذاب والعقوبة ﴿قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ﴾ كلُّكم سيضاعف عليكم العذاب ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ ما عند الله تعالى من العذاب.

- ﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾ تستحقُّون به تخفيف العذاب ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ بسبب ما اقترفتموه من عمل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ قولاً وفعلاً ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا﴾ تكبَّروا عن الامتثال لها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ فلا يصعد إليها عملهم، ولا أرواحهم إذا ماتوا ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ يوم القيامة ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ﴾ يدخل الجمل أعظم الحيوانات حجماً ﴿فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ في ثقب الإبرة، وهو من أضيق الأشياء، وهذا من المستحيل فالمُعَلَّق عليه وهو دخولهم الجنة مستحيلٌ كذلك ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠﴾ وبمثل هذا يكون جزاء كلِّ عاصٍ لله تعالى.

- ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ﴾ فراش ﴿وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ﴾ أغطية ولحف من نار ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١﴾ وبمثل هذا يُجْزَى الظالمون يوم القيامة.

• ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾ قدرتها وطاقتها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ أهل الجنة ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ماكثون.

• ﴿ وَنَزَعْنَا ﴾ أخرجنا ﴿مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ من حسدٍ وبغض ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ زيادة في نعيمهم ﴿وَقَالُواْ ﴾ أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ للإيمان بالله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ ﴾ لنوفَّق من تلقاءِ أنفسنا ﴿لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ لولا فضل الله وتوفيقه لنا ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ فيما قالوا لنا في الدنيا ﴿وَنُودُوٓاْ ﴾ أهل الجنة: ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ ﴾ هذه الجنة ﴿أُورِثْتُمُوهَا ﴾ أورثكم الله تعالى إياها ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ بسبب أعمالكم.

التَّدَبُّر

١ ـ لا عبرة بكثرة الهالكين في الطريق ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

٢ ـ كثيرة هي مشاهد الخسارة في النهاية، وهذا التلاعن القبيح بين الداخلين في النار هو بعض تلك المشاهد المؤسفة في الختام ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

٣ ـ قد كانت الفرصُ سانحةً في الدنيا للفكاك من أسر الأصدقاء والكبراء لكنه الحرمان ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ

أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

٤ ـ أجّروا عقولهم لغيرهم، وجاؤوا في مواقف الحساب يشتكون عواقب ذلك التأجير ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

٥ ـ ندمُ النهاياتِ لا قيمةَ له ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

٦ ـ كم مِنْ صورةٍ لهذا المشهد في مواقف القيامة ستُعَادُ أحداثُها أمام قرائها اليوم ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

٧ ـ يصنعون المنكرات، ثم يأتون يتباكون في مشاهد الختام ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

٨ ـ في كلِّ أمَّةٍ وجيلٍ وتاريخٍ قادةٌ ورؤساءُ وأئمةٌ وأتباعٌ، وفي نهايات كلِّ مشهدٍ سبابٌ ولعانٌ وخصام، ما أكثر الغفلات! ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ

أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

٩ - كم هي العلائق والمودَّات التي كانت بين هؤلاء! وكم هو الخصام والسباب واللعان بينهم في تلك المواقف ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

١٠ - مثل هذه الخسارة لا سبيلَ لتعويضها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

١١ - هذه مشاهد الختام المبهجة لكلِّ صالح ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا
فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن
لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا
عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ
رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ
لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ
أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ
وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ
ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ
﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا
مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا
وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ
لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

التفسير

• ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ بعد دخول كلٍّ منهما منزله المعدّ له ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ من النعيم ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗا﴾ من العذاب ﴿قَالُواْ﴾ أهل النار: ﴿نَعَمۡ﴾ وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ فنادى منادٍ بين أهل الجنة وأهل النار: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾.

• ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يمنعون الناس من دين الله تعالى ﴿وَيَبۡغُونَهَا﴾ أي الطريق إلى الله تعالى ﴿عِوَجٗا﴾ غير مستقيمة ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥﴾ جاحدون بما فيها من وعدٍ ووعيد.

• ﴿وَبَيۡنَهُمَا﴾ بين أهل الجنة وأهل النار ﴿حِجَابٞ﴾ حاجزٌ وسور ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ شرفات السور وأعلاه ﴿رِجَالٞ﴾ قوم تساوت سيئاتهم وحسناتهم ﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا﴾ يعرفون أهل الجنة وأهل النار ﴿بِسِيمَىٰهُمۡ﴾ بعلاماتهم ﴿وَنَادَوۡاْ﴾ أي أصحاب الأعراف ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ يحيونهم بذلك ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا﴾ لم يدخل أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦﴾ وهم يرغبون في دخولها.

• ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ وإذا صرفت أبصار أصحاب الأعراف ﴿تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ إلى أهل النار ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾ من أهل النار ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا﴾ من أهل النار.

• ﴿يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ﴾ بعلاماتهم وقد كانوا في الدنيا أصحاب جاهٍ وشرف ﴿قَالُواْ﴾ أي أصحاب الأعراف: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾ ماذا أفادتكم كثرتكم؟! ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨﴾ وماذا أفادكم كبركم وعلوكم في الدنيا.

• ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أهل الجنـــة ﴿ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ ﴾ حلفتم ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ﴾ احتقــاراً لهم ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ أيهــا المؤمنــون ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ لا يصيبكم خوف، ولا ينالكم حزن.

• ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾ اسقونا ﴿أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ أو أعطونا ممَّا أعطاكم الله تعالى من الطعام ﴿قَالُوٓاْ ﴾ أهل الجنة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ منعهما عن كلِّ كافر.

• ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾ علـى سـبيل اللهــو والعبــث ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾ بما فيها من زينةٍ ومتاع ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ ﴾ نتركهم في العذاب ﴿ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا ﴾ فلم يعملوا له ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ ولجحودهم بآيات الله تعالى.

التدبر

١ ـ لكلِّ أمدٍ نهاية، ولكلِّ مشهدٍ ختام ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

٢ ـ النهايات السعيدة تفرض واقعها في الختام ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

٣ ـ الرؤيةُ تصنعُ فارقَ الأحداث ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ

عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ عاشــوا في الدنيا وهم يرقبون هذا المعنى ويتخيّلون تلك النهاية فبلغوها.

٤ ـ القرآن حيــاة ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ يكفي أنه ينقل مشاهد الختام، ويبيّنُ مستقبلَ الأيام.

٥ ـ الصدُّ عن سبيل الله تعالى؛ وابتغاء الطريق عوجاً منهج الظالمين والمفسدين ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

٦ ـ من لا يؤمن بالآخرة توقَّعْ منه كلَّ شيء ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

٧ ـ لا تنتظر من مُعْرِضٍ عن الطريق أن يبني لك أحلام مستقبلك الكبير في النهاية ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

٨ ـ الذي يريدها عوجاً مســتحيلٌ أن يهنأ بجزءٍ ولو يسيرٍ من مساحاتِ الحقِّ في الأرض ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

٩ ـ هذا سلام أصحاب الأعراف وتهانيهم فكيف بمشاهد الملائكة في تلك المساحات ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ يا لمشهد النهايات وجمالها في قلب صاحبها!!

١٠ ـ كلُّ ضلالاتِ الطغيانِ وراياتِ الفســادِ التي جمعها الضالون والمفســدون، عادت عليهم بمشاهد الحسرات ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

١١ ـ كانوا يجتمعون للفساد، ويخطِّطون لنجاحه، ويبذلون لغاياته، ولا يجدون اليوم إجابةً لسؤالِ السائلين ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

١٢ ـ من كمال عقلك وفقهك ألَّا تكون يوماً في جمع يناهضُ دينك ويعارض رسالتك ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

١٣ ـ الإعراض عن دين الله تعالى نتيجةٌ للاستكبار الذي يصيبُ تلك النفوس ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

١٤ ـ كل نهايات السوء فرعٌ عن أمراض القلوب ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

١٥ ـ رأيتهم في اجتماعاتٍ كثيرة، ونوادٍ متعـدِّدةٍ، ومجالس مختلفةٍ يجهدون في تعويق هذا الدين. وها هم في النهاية ينادَون بالويل والثبور والخسران ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

١٦ ـ كم من مُتَّهَمٍ اليوم هو صاحبُ النهايات البهيجة في مواقف القيامة ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ حتى وهم في النهاية التي وصلوا إليها يبارك لهم ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾.

١٧ ـ الأحكام التي يجريها الخلق على بعضهم ليست هي النتائج التي يصلون إليها في النهاية ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

١٨ ـ كان هناك ألف وسيلة لتجنّب آثار هذا الموقف، لكنها الغفلة ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

١٩ ـ ضيعوا أسباب التوفيق، وجاؤوا في النهاية يبحثون عنها ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

٢٠ ـ الصورة ذاتها التي نقرؤها اليوم ستتكرّر على آخرين وبالشكوى ذاتها ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

٢١ ـ مؤسفٌ أن تتحوّلَ أكثرُ القضايا أهميةً إلى مساحات هامشٍ في واقع كثيرين ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

٢٢ ـ رأيته يختار لمرضه طبيباً حاذقاً، ولسيارته مهندساً بارعاً، ولدينه متبرعاً في عرض الطريق للإفتاء، هذه بعض فصول قصة اللهو واللعب التي دارت فصولها في أيام الدنيا ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ

ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾.

٢٣ ـ لم تك ثمّة أولويات تديرُ شأنهم، وترتّبُ أمورهم، وتبعثُ فيهم الحياة فكانت هذه النهايات ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾.

٢٤ ـ إذا فُقدت البوصلة فُقِدَ كلُّ شيء ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾.

٢٥ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾.

٢٦ ـ على قدر إقبالك على دينك ومنهجك ورسالتك وقضيتك تلقى التكريم، وعلى قدر نسيانك لهذه المعاني يكون النسيان ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾.

٢٧ ـ سَلْ نفسك كم تخصص لدينك من وقتك وهمومك ومشاعرك! وستعرف حينها موقعك من خارطة تلك النهايات ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾.

❀ ❀ ❀

وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ
يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ
ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا
مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ
قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٥٣﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا
وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ
وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا
وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ
ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ
ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا
ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

التفسير

• ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ﴾ بقرآن ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ بيَّنَّاه ووضَّحناه ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ وكان هذا التفصيل والبيان بعلمٍ ونور ﴿هُدًى﴾ هداية للناس ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ بما يدلُّهم عليه من مواردِ التوفيق.

• ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ هل ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ وقوع ما أخبر به الله تعالى في كتابه الكريم ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ ما وعد به ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ فلم يعملوا به ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أيام الدنيا ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ﴾ وسطاء ﴿فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ عند ربنا ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ﴾ من الصالحات ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ من المعاصي ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أضاعوها ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ بطل وضاع ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ من الكذب.

• ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ علا وارتفع استواءً يليق بجلاله ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ يغطِّيه ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ سريعاً ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ تسير وفقاً لأمر الله تعالى ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ فهو يخلق الكون ويأمر فيه بأمره ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ تعالى وتعاظم ربُّ العالمين.

• ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ اطلبوا منه واسألوه ﴿تَضَرُّعًا﴾ بإلحاحٍ وتذلُّلٍ ﴿وَخُفْيَةً﴾ سرّاً ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ المجاوزين للحدِّ في الدعاء وغيره .

• ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بفعل المعاصي واقتراف الذنوب ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بالطاعات ﴿وَادْعُوهُ﴾ اسألوا الله تعالى ﴿خَوْفًا﴾ خائفين

من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ رغبةً في ثوابه ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ فيما بينهم وبين الله تعالى، وبينهم وبين الخلق.

• ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا﴾ مبشرات ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ بين يدي الغيث ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾ حملته ﴿ثِقَالًا﴾ محمّلاً بالماء ﴿سُقْنَٰهُ﴾ أي الغيث ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ مجدب ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ على ذلك البلد ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بأنواعها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ما فعلنا هنا ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ نبعث الموتى من قبورهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧﴾ قدرة الله تعالى.

التَّدَبُّر

١ ـ هذا وصف الله تعالى لكتابه الكريم ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾ فما نحن صانعون في ترجمة هذا المعنى إلى واقعٍ في حياتنا كل يوم!

٢ ـ كل ما تنتظره الأمة من مقومات الحياةِ هو بين دفتي هذا الكتاب الكريم ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾.

٣ ـ الذين يدركون هذا المعنى ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾ يخصصون له من حياتهم كلَّ شيء.

٤ ـ كم هم الذين يقرؤون هذا المعنى ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾ ويتخلّفون عن تلاوته المجرّدة شهوراً، فما الشأن في استنباط هداياته!

٥ ـ إذا لم تستفد من هذا الوحي في شيء، فتعاهد قلبك قبل الفوات ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

٦ ـ ماذا ينفع الأسف بعد الفوات؟! ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

٧ ـ حضر جنائز عدَّة، ورأى مشاهدَ الفراق، وقَبَرَ كثيرين، وما زال قائماً على المنكرات ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ ليته اتعظ!

٨ ـ الذين لا يملكون رؤيةً واضحةً منشغلون بالشهوات حتى تأتي أيام الحسرات ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

٩ ـ ما أكثر دلائل الحق! وما أكثر انصراف الناس عنها في الواقع ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

١٠ ـ كان يمكنهم أن يكونوا أعزَّاءَ بمنهجِ الله تعالى، فإذا بهم يتسوَّلون من الآخرين الشفاعة ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

١١ ـ خسارةُ الدِّين أعظمُ خسارة ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ ولأثرها عبّر الله تعالى عنها بخسارةِ النفوس!

١٢ ـ لا تنظر لرصيد حسابك البنكي قبل أن تنظر لرصيد حسابك الأخروي ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

١٣ ـ في مرّاتٍ كثيرة تكفي العاقل هذه المشاهد التي يراها شاخصة في الكون ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

١٤ ـ ما أحوجنا للتفكّرِ في آلاءِ الله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

١٥ ـ ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ دعوةٌ إلى ألّا تتعلّق بمخلوقٍ في الدنيا مهما كانت قدراته.

١٦ ـ حتى لو شغبَ عليك العالمُ كلُّه، يكفيك هذا الدرس المتين من العقيدة ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾.

١٧ ـ المفتونون بالخلق محتاجون لهذا الدرس من العقيدة ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾.

١٨ ـ ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ دعوةٌ إلى الإقبال على مواطنِ السعادةِ واللذةِ بما فيها.

١٩ ـ هذه هي العبادة الغائبة عن كثيرين حتى الآن ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

٢٠ ـ كثيرون لا يحتاجون إلّا إلى العودة إلى الله تعالى، وسؤاله، والإقبال عليه، والتضرُّع بين يديه ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

٢١ ـ ماذا لو أقبلنا على الله تعالى، وتفرَّغنا له، ووهبنا له من قلوبنا ومشاعرنا وسؤالنا كلَّ شيء ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

٢٢ ـ كم تمنح من وقتك لهذه العبادة! وكم تهب لها في الوقت ذاته من قلبك ومشاعرك ووجدانك ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

٢٣ ـ مؤسفٌ أن يدار هذا الدعاء في قلوبنا ومشاعرنا كما يدار أي شيء ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

٢٤ ـ الجهر بالدعاء نوعٌ من التعدي فيه ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

٢٥ ـ لست بحاجة أن تبلِّغ العالمين بحاجتك حتى تُجاب، يكفي أن تُسِرَّ بها إلى ربك ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

٢٦ ـ هذه دعوةٌ كريمةٌ من الله تعالى للعالمين ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ وفسادُها بالمعاصي ومخالفةِ أوامر الله تعالى والتخلُّفِ عن طاعته!

٢٧ ـ الالتزام بمنهج الله تعالى هو الإصلاح الحقيقي للحياة، والتخلّف عن هذا المنهج هو الإفساد الكبير فيها ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ ليتهم يفقهون!

٢٨ ـ إذا أردتم بياناً بالمفسدين في الأرض فهم المتخلفون عن طاعته، والمعتدون على حرماته، ومُشِيْعُو المنكرات في الواقع الذي يعيشون فيه ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾.

٢٩ ـ كلُّ نظامٍ لا يتوافق مع الشريعة فهو نوعٌ من الإفساد في أرض الله تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾.

٣٠ ـ حتى الدعاء حين تخلص له من قلبك تنهال عليك عطايا الله تعالى في الختام ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٣١ ـ هذا يدعو ربه خائفاً، وذاك يدعوه طَمَعَاً، وثالث يجمع بين الحسنيين ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٣٢ ـ فرق بين دعاءٍ لا يستجيشُ مشاعرَ صاحبِهِ ووجدانه، ودعاءٍ يستنزلُ الرحمات ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٣٣ ـ ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ هذه دعوةٌ لكي يُحتفى بهذه العبادةِ، وتُجلَّ، وتأخذَ حقَّها من مشاعرِ ووقتِ ووجدانِ صاحبها في كلِّ حين.

٣٤ ـ كم يحزن الإنسان وهو يرى تلك الكتب التي يقرؤها الحجاج والمعتمرون حول الطواف ولا يعرفون من معانيها شيئاً ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ماذا لو أن كل واحد منهم سأل الله تعالى مُلِحَّاً أن يهبه ما شاء!

٣٥ ـ إلى كل الباحثين عن الرحمة هذه مساحاتها المثيرة ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الإحسان هو أول الطريق وأوسطه ونهايته.

٣٦ ـ حين تُقْبِلُ على عبادتك، وتحسنُ فيها، وتمنحُها الجلال، تتنزّلُ عليك رحمة الله كما تشاء ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

٣٧ ـ الإحسانُ في علاقتك بالله تعالى مِنَ المفاهيمِ الغائبةِ عن كثيرين ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

٣٨ ـ فرقٌ بينَ إنسانٍ يهب لصلاته وصومه وزكاته وحجِّه من قلبه ومشاعره ويجلُّ دقائق تفاصيلها، وبينَ مَنْ يقدِّمها قرباناً منزوعاً منه كل شيء ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

٣٩ ـ حتى في وظيفتك تحتاج إلى الإحسان ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

٤٠ ـ حتى العمل التطوّعي الذي تفرغ فيه من وقتك هو كذلك عبادة يحتاج إلى إحسان ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

٤١ ـ في رعاية الضعفاء والأرامل والأيتام والمعوقين مواطن جليلة للإحسان تحتاج إلى مباهج هذا المعنى الكبير ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

٤٢ ـ أياً كان عملك ما لم تهب له هذا المعنى ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وإلّا فلا مفروح به في شيء.

٤٣ ـ فرقٌ كبيرٌ بين أن تقدِّم عملاً مجرَّداً مِنْ هذه الفضيلة (الإحسان) وآخر تجري في كلِّ جزءٍ منه! ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

٤٤ ـ كن كالسحاب! إذا أقبلتَ استبشرَ النّاسُ بمقدَمِكَ خيراً ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ وإيّاكَ وصانعي مساحاتِ التشاؤمِ واليأس!

٤٥ ـ كَمْ مِنْ أرضٍ ميتةٍ عادت بالغيث ربيعاً! وكم من قلبٍ متصحِّرٍ عاد بالموعظة صالحاً مثيراً ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

٤٦ ـ الصورة التي تراها في نـزول الغيث، وبعث حياة الأرض هي الصورة ذاتها التي تُبْعَثُ بها الأجساد؛ لا فرق ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا
نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ
مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ
بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ
رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ
لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا
لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ
وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

التفسير

• ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ الأرض الطيبة إذا نزل عليها المطر ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بإرادته ومشيئته، وكذلك المؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها، فتنتج عملاً صالحاً ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ من الأراضي كالسبخة المالحة ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ بعسرٍ ومشقَّة، كالذي لا ينتفع بالموعظة، ولا يكاد يخرج منه خير ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾ نبيِّنها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ لله تعالى نعمه.

• ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ أول الرسل ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ﴾ لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحّدوه ولا تشركوا به شيئاً ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ هو ربكم وإلٰهكم ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ شديد.

• ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ الكبراء والأغنياء ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ في ضلالٍ واضح.

• ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ لست ضالّاً ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾ أرسلني الله تعالى.

• ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ ما أرسلني الله تعالى به إليكم ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ أرشدكم إلى ما فيه صلاحكم ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ بما جاءني من الوحي.

• ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ تعجبتم ﴿أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وحي وموعظة ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ تعرفون حاله وحقيقته ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ عذاب الله تعالى ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾ تجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ تدخلون في رحمة الله تعالى بذلك.

• ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ فلم يصدِّقوا ما جاء به ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ السفينة ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ في الماء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ عمى عن رؤية الحق والإيمان به.

• ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ ﴾ قبيلة عاد الذين كانوا في أرض الأحقاف ﴿أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ يدعوهم إلى الله تعالى ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ وحّدوه ولا تشركوا به شيئاً ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ سَخَطَ الله تعالى وعقابه.

• ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ ﴾ سفيهاً خفيف العقلِ لا رشدَ لك ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ فيما تقول.

• ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ ﴾ لست سفيهاً كما تقولون ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ إنما أنا رسول من الله تعالى.

التدبر

١ ـ من توفيق الله تعالى لإنسان أن يستقبلَ مواعظ الوحي بامتنان ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

٢ ـ القلوب الطيبة كالأرض الصالحة للنبات، والقلوب الخربة كالأرض السبخة، لا يكادُ يُنْتَفَعُ منها بشيء ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

٣ ـ التوحيد أصل رسالات الأنبياء ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾.

٤ ـ إدارة الأولويات ضرورة لنجاح أيِّ مشروع ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾.

٥ ـ مشكلة كثيرٍ من الجهود الدعوية التي لم تلقَ رواجاً في واقعها بعدُ، لأنها لم تُدرْ شأن الأولويات بوعي ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾.

٦ ـ حتى في إدارة أوقاتنا ومشاريعنا وأفكارنا ما زلنا بحاجةٍ كبرى إلى فقه الأولويات ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾.

٧ ـ الدعوة ليست واجباً يلقيه الإنسان عن ظهره، ويستقبل الفرح بالنهاية منه، وإنما هو مشروعٌ لإنقاذ البشرية من الضلال، وشعورٌ بواجب الإنسان تجاه إخوانه ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

٨ ـ ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ درس كبير في أثر حملة الرسالة وأصحاب الدعوة وحاملي العلم في واقع الأمة.

٩ ـ هذه هي أرواح الكبار والمصلحين في مشاريعهم، فكونوا على الطريق ذاته ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هذا وهو يوجِّه أمَّةَ كفر، فكيف بمن يوجِّه أمَّةَ هداية!

١٠ ـ في مرات كثيرة يكون الوجهاء والكبار والمسؤولون هم خصوم الدعوة بالأمس، وهم خصومها اليوم، لا فرق ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾.

١١ ـ مشكلة الكبار والوجهاء والمسؤولين أنهم يخافون على مكانتهم، فيفزعون أمام كلِّ صيحةِ إصلاحٍ بالخوف والوجل ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾.

١٢ ـ كل الذين تصالحوا مع الدعوة، وفتحوا لها الطريق، وهيؤوا لها السبل، هم الذين مكنتهم الدعوة من أماكنهم، وبوأتهم منازل الشرفاء ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠﴾ والذين وقفوا خصوماً لها خسروا الدارين!

١٣ ـ حين ترى كبيراً لا يمكّن للدعوة فذلك من خوفه وقلقه على مكانته ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠﴾.

١٤ ـ أيها المصلحون! جُبلت نفوس كثيرين على حبِّ الشهرة والوقوفِ في الأضواء الكاشفة، فلا تزاحموهم على شيءٍ من ذلك مهما كانت المصلحة ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠﴾.

١٥ ـ ليتهم دروا أن الدعاة والمصلحين لا غرض لهم في الأرض إلّا إقامة شعائر الله تعالى، ويكفيهم شرفاً وعزّاً ورفعة ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠﴾ ولو أعطوا مفاتيح خزائن الدنيا دون تلك الغاية لرفضوها وهم شرفاء.

١٦ ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ هذه هي السنة الجارية في كلِّ عصرٍ ومصرٍ وزمانٍ ومكانٍ فلا تيأسوا من روح الله.

١٧ ـ حتى مع هذه السنة الجارية ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ تحقَّقَ للأمة نصرٌ ومكانة وشرف، وبلغوا ما يريدون.

١٨ ـ أياً كان مشروعك، وفي أي مكان، وطِّنْ نفسَكَ على هذا المعنى ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فستلقاه في كل شبرٍ من مساحة ذلك الطريق.

١٩ ـ وأنت تقرأ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ ستقرأ بعدها مباشرة ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ۝٦٤﴾.

٢٠ ـ ليس ثمة مسافة بين ما يلقاه صاحب المشروع في الطريق وبين النهاية التي ينتظرها ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

٢١ ـ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ رسالةُ فألٍ وأملٍ وطمأنينةٍ لكل من يخوض رحلة المشاريع في مواجهة المعارضين.

٢٢ ـ ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ ليست لقوم نوح المعارضين، وليست في صورة ماءٍ فحسب، بل لكل معارضٍ وبأي قدرة يديرها الله تعالى في الكون.

٢٣ ـ أيها الواقفون في الطريق! هذه نهاية أجدادكم فما أنتم صانعون؟! ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾.

٢٤ ـ الخبث لا يستغرب من مَعْدِنِهِ ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ والألفاظ السوقية لا يحسنها إلّا السفهاء!

❀ ❀ ❀

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن
جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ
وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي
ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾
قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَآؤُنَاۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ
قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي
فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا
مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ
أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ
ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

التفسير

• ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ ما أمرني الله تعالى بتبليغه ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ مرشدٌ لكم إلى ما فيه صلاحكم ﴿أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ على وحي الله تعالى، لا أقول لكم إلَّا ما أمرني الله تعالى به ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ تعجبتم ﴿أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وحيٌ وموعظة ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ تعرفون حاله ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ عقاب الله تعالى ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ خلفاء في الأرض بعد هلاك قوم نوح ﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ قوةً وضخامة ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نِعَمَه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ تفوزون وتسعدون.

• ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ﴾ ندع ونترك ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من عبادات عاشوا عليها ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ عجّل بعذابك الذي تتوعدنا به ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ فيما تقول.

• ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ سيقع عليكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب ﴿وَغَضَبٌ﴾ من الله تعالى ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي﴾ تخاصمونني ﴿فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ وهي أسماء الأصنام التي يعبدونها ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ من دليلٍ وحجّة ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ عذاب الله تعالى ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ لذلك الأمر.

• ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ استأصلناهم وأهلكناهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ بالله تعالى.

• ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ قبيلة قوم ثمود، وهم الذين يسكنون في الحِجْرِ ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ رسولاً من الله تعالى ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحّدوه، ولا

تشركوا به شيئاً ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ بل هو إلهكم وربكم ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ حجّة واضحة ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ التي طلبتموها آية على صدق رسوله صالح ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ دعوها حيث تشاء ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ لا تتعرّضوا لها ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ شديد.

البصائر

١ ـ يكفي الدعاة شرفاً أنهم يبلِّغون رسالة الله تعالى للعالمين ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾.

٢ ـ أعطاه الله تعالى علماً وفتح عليه، ولكنه قعد في بيته، وترك بلاغه للعالمين، وفاتهُ هذا التوفيق الكبير ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ أيُّ حرمانٍ بعد هذا!

٣ ـ في مرّاتٍ كثيرةٍ وقف الحسد مانعاً من الوصول إلى كثير من الخيرات ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

٤ ـ تذكار النعم سبيل للاعتراف بأفضال الله تعالى على العبد ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

٥ ـ تأجير العقول مشكلةٌ أزلية ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠ ﴾.

٦ ـ الأصل أن يُطْلَبَ الدليل من المنتقل عن الأصل، لا من الثابت عليه ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١ ﴾.

٧ ـ ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٧٢ ﴾ هذه هي الحقيقة التي ما زالت تكتب حظها من الواقع من ميلاد الإسلام إلى يومنا هذا.

٨ ـ إلى كل المجهدين المتعبين الذين يشعرون بقلق النهايات! هذه هي الحقيقة التي تنتظركم ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٧٢ ﴾.

٩ ـ حتى لو انتظم العدو كله أمام بابك فلن تعدو هذه الحقيقة ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٧٢ ﴾.

١٠ ـ الآيات والدلائل والبراهين زيادة في إقامة الحجج على أصحابها ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٣ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي
ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ
ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن
قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ
مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ
ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ
رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ
﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا
مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً
مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

التفسير

- ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ﴾ نِعَمَ الله تعالى ﴿إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ﴾ في الأرض من بعد قوم عاد ﴿وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أسكَنَكُم ومكَّنَكُم فيها ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا﴾ تَبنون قصوركم في الأماكن السهلة منها ﴿وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ﴾ فتجعلون بيوتكم في الجبال لكمال قوَّتكم ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نِعَمَهُ عليكم ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٧٤﴾ لا تَسعَوا في الأرض بالفساد.

- ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ الكبراء منهم ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾ للضعفاء المؤمنين ﴿أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ هل عندكم علمٌ أنَّ صالحاً مرسلٌ من الله تعالى ﴿قَالُوٓاْ﴾ المؤمنون الضعفاء ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥﴾ مصدِّقون بكل ما أُرسِلَ به.

- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٧٦﴾ فلسنا مصدِّقين برسالته.

- ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ نحروها ﴿وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾ استكبروا ﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧٧﴾ من عند الله تعالى.

- ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ الزلزلة الشَّديدة ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨﴾ هالكين.

- ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾ أَعْـرَضَ ﴿وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ بيَّنْتُ لكم ما أرسلني الله تعالى به إليكم ﴿وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ﴾ اجتهدت في

إبلاغكم الخير ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٧٩﴾ فلَـمْ ترغبوا في كل ما قلت لكم.

• ﴿وَلُوطًا﴾ رسـول الله تعالـى ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ إتيانكم الذكران ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ إلى مثل فعلكم.

• ﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ تختارون وطء الذكران، وتتركون وطء النساء ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ٨١﴾ في المنكر والفاحشة.

التدبر

١ ـ لا تنظر في دعوتـك للكبراء فالأصل فيهـم الإعراض ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٧٦﴾ كم مِـنْ خيرٍ في ضعيف لا يُلتفت إليه!

٢ ـ المقبلون على الدعوة الراغبون فيها أولى بها من الشاردين عنها الفارين من محاريبهـا ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٧٦﴾.

٣ ـ انتكاسُ الفطرةِ لا حدودَ له ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ٨١﴾.

❀ ❀ ❀

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن
قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ
إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا
لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ
مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟
فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

التفسير

• ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ وما كان ردهم على قول نبيهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ أخرجوا لوطاً ومن معه ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ يتنزهون عن فعل الفاحشة.

• ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ وهم من معه على الإيمان ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ زوجه ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ الهالكين الباقين في العذاب.

• ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ وأرسلنا عليهم حجارةً شديدةً أمطرتهم بالعذاب ﴿فَٱنظُرْ﴾ تأمّل ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ كيف كانت خاتمتهم ونهايتهم.

• ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ رسول الله ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحّدوه ولا تشركوا به شيئاً ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ هو ربكم وإلهكم ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ آية ومعجزة شاهدة على صدقي، وهذه الآية لم يذكرها الله تعالى في كتابه ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أتِمُّوا الوزن ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم حقوقهم ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ بالطاعات ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أفضل وأحسن ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ حق الإيمان.

• ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ تتوعدون من سلكها ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ من أراد الحق ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بالله تعالى

﴿وَتَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾ تريدون سبيل الله تعالى عوجاء ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ﴾ نعم الله تعالى عليكم ﴿إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡ﴾ زاد قلَّتكم إلى كثرة ﴿وَٱنظُرُواْ﴾ تأمَّلوا ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨٦﴾ كيف كانت نهايتهم وعاقبتهم.

• ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ﴾ جماعة ﴿ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾ من الله تعالى ﴿وَطَآئِفَةٞ﴾ وجماعة أخرى ﴿لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾ بالله تعالى ﴿فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَا﴾ فيبيِّن مَنْ هو على الحق ومَنْ هو على سواه ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٧﴾ أفضلهم وأحسنهم.

التدبُّر

١ ـ إذا انتكست الفطر فلا تَسَلْ بعد ذلك عن صلاح ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٨٢﴾ حتى الطهارة تحوَّلت إلى رجسٍ يستحقُّ أصحابُها الطردَ والإبعاد!

٢ ـ الهداية بيد الله تعالى! هذا نبي الله تعالى ورسوله لقومه بقيت زوجه بمنأى عن الهداية، وكانت عوناً للباطل في زمانه ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٨٣﴾.

٣ ـ حسب الإنسان بذل وسعه، واستفراغ طاقته، وليس عليه بعد ذلك شيء ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٨٣﴾.

٤ ـ حتى في بيوت الصالحين وأصحاب المنهج كان من هو عوناً للباطل ورِدءاً له في يومٍ ما ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٨٣﴾.

٥ ـ ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾
هذه نهاية الظالمين في كلِّ عصر ومصر!

٦ ـ لا يغرنّك طول أمد المجرمين في الأرض! يأتي أمر الله تعالى فيطوي قصص الفساد في لحظة ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

٧ ـ التعامل مع الخلق دين يجب أن يأخذ حظه من العناية في كل شيء ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

٨ ـ العبثُ بالموازين، وبخسُ الناس حقوقهم، وظلم الآخرين جريمةٌ وفساد ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

٩ ـ إذا كان بخس حقوق الناس في الموازين الحسّيّة من الفساد الذي يستحقُّ العقاب؛ فبخس حقوقهم، وظلمهم في الموازين المعنوية مؤذنٌ بأسوأ النهايات ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

١٠ ـ ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ كثيرون في مثل زماننا على الطريق ذاته.

١١ ـ في كلِّ مرّةٍ يصنعون عائقاً في الطريق ويريدونها عوجاً ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

١٢ ـ ليست ثمة حلول عاجلة للنصر، ليس أمام المؤمن إلَّا الصبر حتى يحين موعد الجزاء ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم
بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا
كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ
عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ
أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ
بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ
ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

التفسير

- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ الكبراء والرؤساء من قوم شعيب ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾ نطردكم منها ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ مثلنا على الكفر ﴿قَالَ﴾ شعيب ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ نتابعكم عليها حتى مع كراهتنا لها وعلمنا ببطلانها.

- ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ أي اشهدوا علينا أننا إن عدنا في ملَّتكم بعد أن نجَّانا الله تعالى منها ومن شرِّها، إننا كاذبون مفترون على الله تعالى ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ في ملَّتكم ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ العود فيها فذلك أمره وقدره ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ علم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ فوَّضنا أمورنا إليه ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ احكم بيننا بالعدل ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ أفضل الحاكمين حكماً وعدلاً.

- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ آمنتم به ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ في الدارين.

- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ هالكين.

- ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾ كأنهم لم يقيموا في ديارهم يوماً واحداً ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ لكل شيء.

- ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ أعرض عنهم ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ أوصلتها إليكم بيِّنةً واضحة ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ اجتهدت لكم في إيصال

الخير ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ أحزن ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ جاحدين لأمر الله تعالى غير مؤمنين به.

• ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾ فلم ينقادوا لأمره ﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ الفقر والمرض والبلايا والمصائب ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ يتذلَّلون لله تعالى.

• ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾ الحال السيئة من البلايا والمصائب ﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾ العافية والغنى ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ تعافوا وكثرت أرزاقهم وأموالهم ﴿وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا﴾ من قبلنا ﴿ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ هذه عادة مطّردة أصابت أسلافنا من قبل، ولم يدركوا أن ما أصابهم من نقم يُراد به الاعتبار، وما أصابهم من نعم يُراد به الاستدراج ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ لم يخطر ببالهم ذلك العذاب والهلاك.

التدبر

١ ـ سيظلُّ الصراع بين الحق والباطل ممتدّاً ما بقِيَت الدنيا ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

٢ ـ القوّة تفرض واقعها، وتبسط أيامها، وتنزل قراراتها كما تشاء هي لا كما يشاء العالم كلّه ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ وهو الواقع ذاته الذي يدار اليوم في مساحات دول وأفراد! ولن تصل الأمة إلى مرحلةٍ يُستجاب لدعوتها، وتكون رأساً في واقعها إلّا من خلال القوة ذاتها التي تتفوّق بها على منافسيها.

٣ ـ استطاع الفرد المتفوّق في العلم أَنْ يبلغَ آماله، ويحقق مراده، ويأتي من خلال علمه إلى ما يريد، وكذلك الأسرة، والمجتمع، والأمة إذا تفوَّقت أتت على أمانيها كما تشاء ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

٤ ـ احترامُكَ فرعٌ عن قوّتك ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

٥ ـ القوّة لا تعترفُ بالحرّيّات ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

٦ ـ الاستبداد في الأرض ناشئٌ عن الإمكانات ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

٧ ـ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ لا جديد! هي اللغة ذاتها التي تتعامل بها دول العالم الغربي مع دول العالم العربي والإسلامي، لا فرق!

٨ ـ يتحدثون عن الحوار والديمقراطية، لكن على غير مساحات الدين ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ هذا لا تصلح فيه إلّا لغة القوة للإذعان أو الخروج!

٩ ـ أنصاف الحلول لا تصلح في مواجهة الأحداث الكبار ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

١٠ ـ حين تقف العقيدة كاشـفة الرأس في أوقات الأزمات ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾.

١١ ـ المداهنة في الطريق لا تخلق واقعاً بهيجاً كما نريد ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾.

١٢ ـ في مرات كثيرة يكون القادة والكبار أعظم أسباب ضياع مجتمعاتهم ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ حالوا جاهدين بين قومهم وبين الحق، فماذا تنتظر من إصلاح؟!

١٣ ـ العبث بالمفاهيم صناعةٌ يملكها الأقوياء ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ متى كان اتّباعُ الحقِّ خسـارة، والتخلّف عنه نجاة!

١٤ ـ من أعظم ما تواجه به الأمة اليوم قلب الحقائق والمفاهيم وتشويه التصوُّرات ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ جعلـوا اتِّباعَ الرسـل خسـارةً كبيرةً، تحتاج إلى تعويض، والنجاة منها هو أكثر الحلول نجاعة في الواقع.

١٥ ـ إذا أردت أن تشوّه مفهوماً قِيَمِيّاً فأوكِلْ به الإعلامَ، فما يزال به حتى يجعله تهمةً تبحث عن الخلاص منها ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

١٦ ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ هـذه هي النهاية التي ينتظرها كلُّ المخالفين للحقِّ في الطريق.

١٧ ـ في كلِّ معركةٍ تدار بين الحق والباطل، فهذه خاتمة مشـاهدها ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾.

١٨ ـ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ رسـالةُ تطمينٍ وسلوى لأصحاب الحق وحملة الرايات والمجاهدين في ساحات هذا الدين.

١٩ ـ لا تبرح مسـاحتك ومشـروعك الكبير وفكرتك الناهضة حتى تستوثق من الطريق، وإلَّا لن تصل إلى نهايـةٍ لا تقبل التخمين ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ لم يأت هذا التولِّي إلَّا بعد بذل كافة الأسباب الممكنة للوصول.

٢٠ ـ هذه سُنَّة الله تعالى في كل المخالفين ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ المعرضون عن البينات مخلوفون بهذه النهايات.

٢١ ـ كل ما يصيبك لله تعالى فيه حكمة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

٢٢ ـ كل تخلّف يلحقك، أو ألم يصيبك، أو شيء يعرض لك في الطريق، فالزم حكمة الله تعالى ﴿ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾.

٢٣ ـ لا تنتظر عائقاً، أو موقفاً، أو مسـاحة ألم، أَنِخْ مطاياك في محراب مسجدٍ، وتذلل بوضع وجهك في التراب ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

٢٤ ـ حتى النعم التي تصيبك هي كذلك مجرد اختبار ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

٢٥ ـ إذا أسـبل الله تعالى عليك مالاً، أو علماً، أو مهـارةً، أو تخصصاً، أو فكرة فاعلم أن الله تعالى أقام عليك شاهد البلاء ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

٢٦ ـ كم ممَّن فتح الله تعالى عليه بفواتح خيرٍ في علم، أو مال، أو مسؤولية، أو وظيفة، ولم يقم لله تعالى فيها بحق ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

٢٧ ـ المخفقون بحقٍّ، والراسبون في الواقع، والمبتلون هم الذين فتح الله تعالى عليهم نعمة، ولم يستثمروها في منهج الله تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

٢٨ ـ أيام العافية والرخاء والنعيم، هي أيام ابتلاء، تحتاج إلى قيام بواجباتها، وشكر لآثارها ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا
ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ
مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾
تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ
كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ
﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ
فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾

التفسير

• ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ عملوا الصالحات وتركوا المنكرات ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لكثرت عليهم الخيرات والأرزاق والبركات ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ بما جاء به الرسل ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ بسبب كسبهم وعملهم.

• ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ في نومهم غارقون.

• ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ في النهار ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾ لاهون غافلون.

• ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ استدراجه للعاصين بالعذاب ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ لحياتهم وأنفسهم في الدارين.

• ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يبيِّن ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ يخلفونهم فيها بعد ذهاب أهلها ثم يعملون أعمالهم ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ بسبب ذنوبهم كما حصل لسابقيهم ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ نختم عليها ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ مواعظ الحق ودلائل الهدى.

• ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ التي مضى ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ أخبارها ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الواضحة ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ بما جاءت به الرسل ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ بسبب تكذيبهم للحق أول

مرة قبل رؤية المعجزات من رسلهم ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ﴾ يختم ويقفل ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١﴾ بالله تعالى.

• ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم﴾ لأكثر الأمم التي أُرسل إليها الرسل ﴿مِّنۡ عَهۡدٖ﴾ وفاء به ﴿وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ١٠٢﴾ عاصين غير ممتثلين.

• ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم﴾ من بعد تلك الرسل ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ أشرافه وكبرائه ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ لم ينقادوا لها ولم يعملوا بما فيها ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٠٣﴾ كيف كانت نهايتهم.

التَّدَبُّر

١ ـ ماذا لو أخذ العالم، أو الدولة، أو المجتمع، أو حتى الفرد، بهذا المعنى؟! ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾.

٢ ـ ما بين هذا الوعد ﴿لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إلَّا هذا المعنى ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ﴾.

٣ ـ تطبيق شريعة الله تعالى في الأرض، هو الحل الكفيل بصناعة الربيع فيها ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾.

٤ ـ المشكلات الاقتصادية فرع عن ضياع هذا المعنى في الواقع الذي تحل به

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

٥ ـ ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ عرضٌ للمشكلةِ والحلِّ في الوقت ذاته.

٦ ـ الأمن من مكر الله تعالى أثرٌ من آثارِ الغفلة ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

٧ ـ هذا يلغو في مجلس فيجد مضضه في قلبه، ليله كله، ويبحث عن مخرج حَسَنٍ من أثر ذلك اللغو، وذاك يصنع كل شيء، ولا يرى في النهاية أنه صنع شيئاً! فروق تصنعها حياة القلوب وموتها ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

٨ ـ ثمة أقوامٌ يرقصون على مساخط الله تعالى في الثلث الأخير من الليل، وثمة آخرون لا يجدون لذة للنوم وهم بمنأى عنهم، يخافون من سخط الله تعالى من أثرهم.. ما أبعد الفرق! ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

٩ ـ ليت الذين يقارفون المعصية، ويجتمعون على الرذيلة، ويستمرون في الفساد، يقرؤون تاريخ أسلافهم ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

١٠ ـ يكفي لذي لبٍّ أن يقرأ أحداث الأمم التي خالفت أمر الله تعالى في كتابه
الكريم ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟
لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ ليرى
ما حلَّ بهم، وكيف كانت نهايتهم.

١١ ـ إذا أردت أن تعرف ما سبب ضياع وهلاك تلك الأمم في غابر الدهر فاقرأ
﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ لا يلتزمون
بعهد، ولا ينتهون عن فسق.

❀ ❀ ❀

وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ
أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ
فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ
﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ
فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا
تَأۡمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ
﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ
إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ
لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ
نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ
ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ
مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ
وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾
وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

التفسير

- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ مرسل من الله تعالى.
- ﴿حَقِيقٌ﴾ حريص ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ الذي أرسلني به ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ حجة واضحة ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ أطلقهم من أسرك وعبوديتك.
- ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿فَأْتِ بِهَآ﴾ أرنا إياها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ فيما تقول.
- ﴿فَأَلْقَىٰ﴾ موسى ﴿عَصَاهُ﴾ التي يحملها ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ حية عظيمة.
- ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ لكل من يراها.
- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ الأشراف والكبراء ﴿مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ ماهر في سحره.
- ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ يبعدكم عنها بسحره ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ ماذا ترون في أمره؟
- ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخّرهما واحبسهما ﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ﴾ المدينة ﴿حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ جامعين للسحرة.
- ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ يُحضرونهم لمشهد اللقاء.
- ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟﴾ السحرة: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ مكافأة ومالاً ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾﴾ إن فزنا وتغلبنا على موسى.

• ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿نَعَمْ﴾ لكم ما ترغبون ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ ونُقرّبكم منّا زيادة على ذلك.

• ﴿قَالُواْ﴾ السحرة: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ ما في يديك ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ ما في أيدينا.

• ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿أَلْقُواْ﴾ ما بأيديكم ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ﴾ السحرة ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ صرفوها عن صحة إدراكها، فلم تعد ترى الحقائق ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أرعبوهم ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ كبير مهول.

• ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ اِرْمِهَا على الأرض ﴿فَإِذَا هِىَ﴾ حية ﴿تَلْقَفُ﴾ تأكل وتبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾ ما يكذبون ويفترون.

• ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ تبين وظهر ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ تبين فساده وبطلانه.

• ﴿فَغُلِبُواْ﴾ السحرة ﴿هُنَالِكَ﴾ في المكان الذي أظهروا فيه سحرهم ﴿وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ رجعوا أذلاء مقهورين.

• ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ خرُّوا سجداً لله تعالى.

العبر

١ ـ قبح أثر أصحاب الجاه والمناصب على أقوامهم في كل زمان ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ هذه قصتهم بالأمس وهي القصة ذاتها اليوم لا فرق!

٢ ـ لم يتنازع الإسلام يوماً مع الكبار والمسؤولين وذوي الجاه، فما لهم ولِخِصَامهم في كل مساحة! ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

٣ ـ حظوظ النفــوس تقف عثرة في الطريق أمــام كثيرين ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

٤ ـ لبس المفاهيم وتشويهها هي أداة المعركة التي يديرها العدو في خصامه مع الإسلام في كل حين ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ جاء الإســلام ليمكنهم من أرضهم وهم يقولون: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾.

٥ ـ من خبث هؤلاء أنهم يديرون المعركة بفن، ألا تراهم يضعون للشورى مساحة في إدارة المعركة! ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

٦ ـ من فنون إدارة المعركة أن القوة لا تواجه إلَّا بالقوة ذاتها ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾.

٧ ـ هذه التقنية التي تكتســح واقعنا، وتهدم قيمنا، وتأتي على كثير من جوانب الإصلاح التــي جهدنا في بنائها، في أوســاط أبنائنا، هي جزء مــن فنون إدارة المعركة التي يتقنها العــدو ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾.

٨ ـ إذا أردنا أن نكتسح العدو، ونرد كيده، ونوقف زحفه، فعلينا أن نكون بالقوة ذاتها التي يواجهنا بها ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾.

٩ ـ حتى الشورى سلاح يستخدم في حرب الإسلام والمسلمين ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

١٠ ـ كثير من الجماهير يكفيها عشاء ليلة لتوقع لك على ما تريد ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾.

١١ ـ صور مشهد السحرة وهم يتسولون فرعون تتكرر في كثير من وقائع الزمان ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾.

١٢ ـ يمكن أن يُسرَقَ دينُكَ وقيمُكَ بوظيفةٍ أو منزلةٍ عند ذي جاه أو سلطان ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾.

١٣ ـ لعاع الدنيا آسرٌ لكثيرٍ من الجماهير إن لم يوقفها وازع الدين ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾.

١٤ ـ زمان الباطل قصير، وإن بدا في أوله طويل المسافات ﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

١٥ ـ لا تغرنّك رهبة الباطل، وصوته العالي، وموكبه المثير في البداية، فله زمن يخرُّ فيه على وجهه ﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

١٦ ـ كثيرة هي النتائج المزوّرة التي خرجت في البداية، ثم آلت في النهاية للسقوط ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

١٧ ـ ما أكثر المغرَّر بهم! ﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ
فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾
قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا
بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ
﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ
نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ
ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا
مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ
بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

التفسير

- ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ أعلنوا إيمانهم وتركوا ما كانوا عليه.

- ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ بموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ أسمح لكم ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي فعلتموه ﴿لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ حيلة تحتالون بها ﴿لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ لتخرجوا أهل المدينة منها ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ ما أفعل بكم.

- ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ أي لأربطنكم بعد التقطيع في جذوع النخل.

- ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ آخرُ أمرنا إلى ربنا، وهو اللطيف بنا.

- ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾ ما تعيب علينا ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ إلا إيماننا بالله تعالى ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أفض علينا صبراً نحتمل به عذاب فرعون ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ على الإسلام.

- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ الكبراء والأشراف: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ﴾ أتتركهم ﴿لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ حتى يفسدوا في الأرض ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ يتركونك وآلهتك ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ سنذبّحهم ﴿وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ نستبقيهن ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ مستعلون عليهم بالقهر والغلبة.

- ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ﴾ توكلوا عليه ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ على ما تلقون من فرعون ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ ليست لفرعون ولا لغيره

﴿يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ يجعلها لمن شاء بقدرته وعزته ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ النهاية المحمودة في الدارين لمن قاموا بأمر الله تعالى.

• ﴿قَالُوٓاْ﴾ قوم موسى ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ على يد فرعون من قتل أبنائنا واستضعافنا في الأرض ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ كذلك لم نزل مضطهدين مطرودين ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ فرعون ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من بعده ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ كيف تكونون.

• ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه ﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ بالجدب والقحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ قلّة الأرزاق ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ يتّعظون فيرجعون إلى دين الله تعالى.

١ ـ الحق ينزع حجج الأوهام، ويلقي بها في عرض الطريق ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

٢ ـ حين تبين الحقائق وتنكشف صور الزيف تؤوب القلوب إلى الله من جديد ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

٣ ـ الحيلولة بين الجماهير ورؤية الحق منهج له مساحته ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (الرافضة أنموذجاً).

٤ ـ لا تستطيلوا طريق المعرضين يوماً ما ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

٥ ـ كانوا في أول النهار أعواناً للباطل، وعـادوا في آخره أنصاراً للحق ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

٦ ـ رب يوم يأتي بآخرين ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

٧ ـ هكذا تصنع المسؤوليات الزائفة حين يصفعها الحق على وجوهها ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾.

٨ ـ الحقائق مدهشـة لدرجة أنها تطيش بوعي أصحاب المسؤوليات ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾.

٩ ـ ليتهم علموا أن كل هذا المشهد ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ لا يزيد الواقع إلَّا صلابة وإباء!

١٠ ـ كان الوعي يفرض أن تواجه القوة بذات القوة، فما لها تنحو إلى شيء آخر! ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾.

١١ ـ هذا المشهد هو صناعة الضعفاء ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾.

١٢ ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ درس عظيم في أثر الإيمان على القلوب.

١٣ ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ درس في أن الإرادة تصنع مشاهد العز والتمكين.

١٤ ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ مشهد مختصر في رؤية الحياة من وجه آخر!

١٥ ـ جزء من الصورة الكاملة لهؤلاء ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

١٦ ـ لغة القوة العمياء في مواجهة الحقائق ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾.

١٧ ـ صورة تتكرر في مواجهة كل حقيقة ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾.

١٨ ـ هذه هي فصول النهاية الكبرى في أذهانهم ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾.

١٩ ـ ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ درس عقدي في مواجهة تحديات الحياة!

٢٠ ـ هذه فصول نهاية كل عدو ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾.

❀ ❀ ❀

فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ
يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ
لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ
ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ
فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ
ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن
كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم
بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ
بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوۡرَثۡنَا
ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ
وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ
عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ
فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

التفسير

• ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ﴾ الأرزاق والنعم الكثيرة ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ نحن مستحقون لها ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ جدب وقحط وبلاء ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ يتشاءمون بهم ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ﴾ تشاؤمهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ بقضائه وقدره، والسبب من عندهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ أن ذلك بيد الله تعالى.

• ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ﴾ من الآيات التي ترينا إياها ﴿لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا﴾ فإنما هي سحر من سحرك ﴿فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾ بمصدقين.

• ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ الماء الكثير، فأغرق زروعهم وثمارهم ﴿وَٱلۡجَرَادَ﴾ فأكل ثمارهم وزروعهم ﴿وَٱلۡقُمَّلَ﴾ المعروف، فآذاهم ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ فملأت أوعيتهم وأقلقتهم ﴿وَٱلدَّمَ﴾ فتحولت مياه آبارهم وأنهارهم إلى دماء ﴿ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾ بيِّنة ظاهرة ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ تكبَّروا وعلوا في الأرض ﴿وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣﴾ مفسدين طاغين.

• ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾ العذاب ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بما اختصك به من الوحي ﴿لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ﴾ العذاب ﴿لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ﴾ فيما تدعونا إليه ﴿وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤﴾ لَنَدَعُهُم، ونتركهم كما طلبت.

• ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ﴾ العذاب ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾ موعد ﴿هُم بَٰلِغُوهُ﴾ واصلون إليه ﴿إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥﴾ ينقضون ما وعدوا به.

• ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ جزيناهم ﴿ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ ﴾ في البحر ﴿ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ بسبب تكذيبهم ﴿ وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ وبسبب غفلتهم عنها ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ﴾ وجعلنا قوم موسى مستخلفين ﴿ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ ﴾ يُستذلون ويُقهرون ﴿ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ﴾ أرض الشام ﴿ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ بإخراج الزروع والثمار ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ نفذت كلمة الله تعالى ومضت ﴿ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ بأن تحقق لهم ما يريدون ﴿ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا ﴾ أهلكنا ﴿ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ ﴾ من الأبنية والمساكن ﴿ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ يرفعون من البناء.

التَّدَبُّر

١ ـ ما أرحم الله تعالى! ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ حتى ما يسلّطه الله تعالى على العدو يريد به تذكيرهم وعودتهم للحق.

٢ ـ ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ سوء أدب في التعامل مع أقدار الله تعالى.

٣ ـ لا حدَّ للخذلان ﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ جعلوا آيات الله تعالى من السحر، ورفضوا كل صورها التي تأتي بها.

٤ ـ كثيرون يوشكون على النهاية، ولكنهم يخرجون من عنق الزجاجة، ويعودون لأحداث السوء من جديد ﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

٥ ـ رأيتهم يتبعون الجنائز، ويقفون على شفير القبر، ولا تصنع فيهم الأحداث شيئاً جديداً ﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

٦ ـ ما أشد جزع المعرضين عند حوادث الزمان ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ ﴾.

٧ ـ ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ هذه سنة الله تعالى التي لا تقبل التبديل.

❀ ❀ ❀

وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ
أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ
إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ
فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ
وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ
عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا
بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ
هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ
ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ
رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ
فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ
جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ
تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

التفسير

• ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ ومكَّنَّاهم من قطع البحر وتجاوزه ﴿فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ يقيمون عندها، ويتعبدون لها ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ صنمــاً نعبــده ﴿كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ أصناماً يعبدونها ﴿قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ مقام ربكم وعظم شأنه.

• ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ﴾ مهلــك ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩﴾ ضائعٌ لا قيمةَ له.

• ﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا﴾ أطلــب لكم إلهاً غيــر الله تعالى ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠﴾ بمــا أنعم عليكم من إهــلاك عدوكم، واستخلافكم في الأرض.

• ﴿وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ مــن فرعون وقومه ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ يذيقونكم أشــدَّ العــذاب ﴿يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ يذبحونهم ﴿وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ﴾ يستبقونهن ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء ﴿بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١﴾ نعمة عظيمة.

• ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾ يتم بعدها تكليمه ومناجاته، وهذا كله بعد نجاة بني إسرائيل من فرعون، وخروجهم من البحر ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ بعشــر ليال ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ اكتملت مــدة الانتظار أربعين ليلــة ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾ كن مكاني فيهم ﴿وَأَصۡلِحۡ﴾ أمْرَهم بحسن السياســة والرفق بهم ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾ لا تسلك سبيل العاصين.

• ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ لمناجاة الله تعالى في الموعد المحدد بعد تمام الأربعين ليلة ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ بما كلمه من الأوامر والنواهي ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ تشوّق لرؤية ربه، فطلب أن يرى الله تعالى ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ لن تقدر على رؤيتي ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ ثبت مع تجلي الله تعالى له ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ تتمكن من رؤيتي تلك الحال ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ ظهر له جل في علاه ﴿جَعَلَهُۥ﴾ الجبل ﴿دَكًّا﴾ انهال مثل الرمل ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ مغشيّاً عليه ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ من غشيته ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ أنزِّهك عن كل ما لا يليق بك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ عن مثل هذا السؤال ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ بك.

التدبر

١ ـ الجهل بالله تعالى من أعظم الأدواء التي تصيب الإنسان في حياته ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ رغم كل ما صنع الله لهم ما زالوا يجهلون حقوقه، ويسألون إلهاً غيره!

٢ ـ أخطر ما على الإنسان العادات، كان الزمن الذي قضوه في الشرك والضلال طويل، فأصبح الشرك لهم عادةً، تحتاج إلى زمن طويل حتى يُجتث من أصله، وتزول صوره وأشكاله ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

٣ ـ بناء التوحيد يحتاج إلى الزمن ذاته الذي استغرقه بقاء الشرك في قلوب أصحابه حتى يأتي على صناعة مباهجه ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ

قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

٤ ـ إسبال الله تعالى عليك نعمه وفضائله ابتلاء واختبار وامتحان ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾.

٥ ـ النعم أحوج ما تكون إلى الشكر ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾.

٦ ـ كم مِنْ إنسانٍ مسبل عليه نعيم الله تعالى وهو لا يدري! ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾.

٧ ـ إذا رأيت من نفسك إقبالاً على الخير، وبهجة به، ولزوماً للجماعة وفرحاً بها، فاعلم أن هذا من النعيم الذي يحتاج إلى شكر وعرفان ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾.

٨ ـ ما أحوج كل واحد منا إلى تأمُّلِ نعم الله تعالى عليه، وفرض الشكر المناسب لها قبل زوالها ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾.

٩ ـ لقاء الله تعالى عظيم؛ هباته الكبرى تحتاج إلى زمنٍ للتهيؤ لها ﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ

لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ ومشهد الصلاة من أعظم المشاهد التي تحتاج إلى عناية واجتهاد.

١٠ ـ إذا رأيته يعتني بصلاته ويتهيأ لها، ويتجمل فيهـا فاعلم أنه صاحب بصيرة وفقه بدين الله تعالى ﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ ومثل ذلك الدعاء.

١١ ـ من كمال فقه صاحب المشـروع أن يعتني بمشروعه ويوصي عليه ويستنفد كافة الوسـائل في إنجاحه أثناء غيابه ﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾.

١٢ ـ الأصل ألا ينيب الإنسان في مشروعه أحداً إلّا في مثل الظروف التي لا غنى عن ذلك بحال، وإذا حدث هذا فعليه أن يبذل كل ما يملك في سـبيل الوصية بمشروعه والعناية به ﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾.

١٣ ـ وجود المعين في مشـروعك ضرورة تحتاج إلى عناية ﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾.

١٤ ـ الشوق يفوق التصورات ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ

تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ جاء لمهمة مثيرة ولقاء كبير فغلبه الشوق فأراد أن يتم مباهج الحياة.

١٥ ـ عظمة الله تعالى فوق وصف الواصفين ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ جبل يتحوّل إلى رمل!

١٦ ـ بعض الحقائق لا تكفي في عرضها الصور ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾.

١٧ ـ ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ درس لا يمكن أن يأتي إلّا بمثل هذه المواقف الكبار!

١٨ ـ الاعتذار فضيلة ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

❀ ❀ ❀

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي
فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ
فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ
فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ
ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا
وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ
سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ
ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ
عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ
سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ
فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا
رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

التفسير

- ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى﴾ فجعلتك رسولاً ﴿وَبِكَلَٰمِى﴾ لك دون واسطة ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ من الأمر والنهي ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ لله تعالى على نعمه.

- ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ ألواح التوراة ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ مما يحتاج إليه الناس ﴿مَّوْعِظَةً﴾ لبني إسرائيل ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ للأحكام التي تحتاج إلى تفصيل وبيان ﴿فَخُذْهَا﴾ هذه المواعظ ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدٍّ وعزم ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ بأحسن ما فيها مما أجره أعظم كفعل المأمور على أكمل وجوهه، والصبر والعفو ونحو ذلك مما هو كمال ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ التي هلكوا فيها عظة وعبرة.

- ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ﴾ سأمنع عن فهم آياتي ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ كل متكبر في الأرض ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ لا يصدقون ويعملون بما فيها ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ طريق الهدى ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يعرضوا عنه ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ﴾ طريق الفساد ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ طريقاً ومنهجاً ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ ساهين لاهين.

- ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يوم القيامة ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ فَسَدَتْ وضلَّت ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ فلا ينالون إلّا نتائج أعمالهم.

- ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد خروج موسى إلى الطور لتكليم الله تعالى ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ من حلي الذهب ﴿عِجْلًا﴾ صنع لهم السامري

تمثالاً على صورة عجل ﴿جَسَدًا﴾ لا روحَ فيه ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ صوت كصوت البقر، وذلك أنه كان مفتوحاً من الجانبين فكلما مرت فيه الريح صار له ما يشبه خوار البقر ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ لا يقدر على كلامهم ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ ولا يدلّهم على طريق بيّن ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ إلهاً ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨﴾ لأنفسهم بذلك الفعل، وهذا العجل صنعه لهم السامري، وهو رجل من بني إسرائيل في فترة ذهاب موسى عليه السلام إلى مناجاة ربه تعالى، فأقبل عليه بنو إسرائيل يعبدونه من دون الله تعالى ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ ندموا وتحيروا على فعلهم ﴿وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ﴾ باتخاذهم العجل ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ يسبغ علينا رحمته وفضله ﴿وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ ما بدر منا من زلل ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ لحياتنا في الدارين.

التَّدَبُّر

١ ـ اصطفاء الله تعالى لعبد من عبيده في حمل منهجه ورسالته نعمة من نعمه العاجلة التي تستحق شكراً وعرفاناً ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ فتأمل ما منّ الله تعالى به عليك من استقامة، أو صلاح ذرية، أو فكرة ناهضة، أو مشروع بر، أو رسالة خير، ينتفع بها البشر فقم بحقِّها من الشكر.

٢ ـ من أعظم صور الشكر أن تقوم بواجب النعمة التي ألبسك الله تعالى إياها ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾.

٣ ـ يا أيها الدعاة! يا أصحاب المشاريع! قد منَّ الله تعالى عليكم، وجعلكم فواتح خير، فإياكم والقعود عن واجبات هذه المنن ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.

٤ ـ ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ دعوة لحمل الأفكار والمشاريع بأقصى ما يملك الإنسان من قوى! فالكسل والتراخي والوهن لا يليق بُحمّال الوحي، ولا يصلح للكبار، وهم يديرون شأن الأمة.

٥ ـ الذين لا يعيشون لأفكارهم، ولا يستغرقون في مفاهيمها، ولا يجدون لها ولاءً ظاهراً في نفوسهم يقعدون في منتصف الطريق دون بلوغ تلك الغايات التي يحلمون بها ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾.

٦ ـ إذا رأيته قاعداً يتسوّل المعينين له في فكرته ومشروعه فاقرأ عليه السلام، وقل له: هذه وصية الله تعالى للأولين والآخرين ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾.

٧ ـ كل مشروع وفكرة ومجال وعمل ومؤسسة لا يتوجه لها أصحابها بمضامين هذه الوصية فلا يكادون يصلون لشيء ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾.

٨ ـ الأفكار والمشاريع الناهضة كبيرة ثقيلة لا يمكن أن يقوم بها أي جهد عارض، بل تحتاج إلى تفرّغ وتفكير وهموم واستقبال لتكاليفها حتى تقوم واقعاً في الحياة ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾.

٩ ـ حتى أتباع فكرتك وحملة آثارها يجب أن يأخذوا أثمن ما عندك، وأبلغ ما في فكرتك، وأعظم ما فيها، ولا يقتنعوا بالقليل منها ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾.

١٠ ـ أتباعك على أثرك، وحملهم لفكرتك ومشروعك ورسالتك على قدر حملك لها؛ فإياك والوهن! ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾.

١١ ـ تأهيل الناس للحيـــاة لا يأتي من خلال الرخص، وإنمـــا يأتي من خلال تحمّل تكاليف الرسالات والمشاريع والأفكار بفرح وسرور ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾.

١٢ ـ إذا أردت أن تخلـــق واقعاً بهيجاً لفكرتك ومشـــروعك ورســـالتك فبلّغها للآخرين بكل تكاليفها وأحمالها وأثقالها ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾.

١٣ ـ علّم مَنْ حولك أن الحياة الكبرى لا تقوم إلّا على حمل تكاليف الشـــريعة بشوق ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾.

١٤ ـ الصورة في مرَّاتٍ كثيرةٍ لا تكفي عن الحقائق ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾.

١٥ ـ في الأرض مشاهد كثيرة لدور الراحلين على غير هدى، يمكنك مشاهدتها للعبرة ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾.

١٦ ـ قراءة التاريخ ضرورة لنجاح فكرتك ومشروعك في الحياة! ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾.

١٧ ـ آثـــار المتخلّفين وعواقب تأخرهم حافز على الاســـتبصار فـــي قادم الأيام ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾.

١٨ ـ في مرَّاتٍ كثيرةٍ يقف الكِبْرُ حاجزاً أمام موارد الخيرات ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾.

١٩ ـ كم مرة وقف الكِبْرُ في قلوب بعضنا حائلاً دون موارد التوفيق ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾.

٢٠ ـ للكِبْرِ صور وأشكال تأتلف وتختلف مع ما نراه في حياة المتكبرين ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ وكلٌّ أبصرُ بدائِهِ الذي يعانيه.

٢١ ـ حتى الآيات التي تُعرض عليهم وتتكرَّر مواقفها لا تنفع في إيقاظ قلوبهم؛ لأنها معتلَّةٌ بذلك الداء ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾.

٢٢ ـ النفوس التي عاشت عبودية الرق تأبى إلَّا أن يسومها مدى الدهر ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾.

٢٣ ـ الذين لم يعيشوا الحرية من ميلادهم، يرفضونها حين تأتيهم على كِبَرٍ ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾.

٢٤ ـ لا تستغرب هذه اليقظة المتأخرة من بني إسرائيل! فكذلك النفوس ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي
مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ
أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ
يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي
رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ
ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ
تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ
﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي
نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخۡتَارَ
مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ
قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي
مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

التفسير

• ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾ من مناجاة ربه تعالى ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ على ما وجدهم عليه وبدر منهم من الشرك ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ بئس ما عملتم بعد غيابي عنكم ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ تعجَّلتم أمر الله تعالى، ولم تصبروا حتى أعود ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ رمى بها من الغضب ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى﴾ احتقروني ﴿وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ أوشكوا على قتلي ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ بما تفعل بي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ فتعاملني معاملتهم.

• ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى﴾ استر ذنوبنا ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ﴾ اجعلنا من المرحومين ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ أعظمهم رحمة.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ جعلوه إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي سخط وعقاب ﴿وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ صغار ومهانة ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ على الله تعالى كذباً وزوراً.

• ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وهي كل ما يسوء فعله في الشرع ﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ من بعد فعلها ﴿وَءَامَنُوٓا۟﴾ بالله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ من بعد توبتهم ﴿لَغَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ بهم.

• ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ هدأ وسكن ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التي ألقاها عند غضبه ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ فيما نُسِخَ وكُتِبَ فيها ﴿هُدًى﴾ هداية للناس بما فيها من علم ودلالة على الحق ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بما تشتمل عليه من دلائل للخيرات ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ يخافون ويخشون.

• ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ اختار سبعين رجلاً من خيارهم للوقت والزمن الذي واعدهم الله تعالى فيه، وذلك للاعتذار لقومهم عند ربهم تعالى، فلما حضروا سـألوا الله أن يروه جهرة ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾ لـو أردت إهلاكهم لأهلكتهم من قبل هـذا اللقاء حتى لا يقال: إنني ذهبـت بخيارهم فأهلكتهـم ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ بسـبب أفعال ضعفاء العقول والأحلام ﴿إِنْ هِىَ﴾ فتنة السامري، وعبادة العجل ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك واختبـارك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ من عبادك ﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ من عبادك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ أي من يتولى أمورنا ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ ما أسلفناه من ذنوب ﴿وَٱرْحَمْنَا﴾ برحمتك ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ خير من غفر ذنوب المخطئين.

التَّدَبُّرُ

١ ـ الغضب طبيعة تتسوّر حتى على المصلحين، وتنتاب قلوبهم، وتهزُّ مشاعرهم، لأنهم بشرٌ من الخلق ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.

٢ ـ الغضب تعبير عن هموم الإنسان، وما يشغله، وما يثير مشاعره، وهو هنا في سبيل الله تعالى ولله ومن أجله ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ

قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.

٣ ـ الكبار مميَّزون حتى في غضبهم، فلم يحك الله تعالى عن رسوله الغضب إلَّا على فكرته ومشروعه ورسـالته وعدم القيام بحقها ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.

٤ ـ أتباع فكرتك على قدر قيامك بحقها ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ استضعفوه، فلم يقوموا له بشيء من حمل فكرته ومشروعه.

٥ ـ إنما توهب الحياة لصُنّاعها فحسب ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ للدرجة التي لما توهموا ضعفه رفضوا الاستجابة.

٦ ـ النزاع والاقتتال والخلاف إنما يكون من أجل المفاهيم والمشاريع والأفكار الناهضـة ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.

٧ ـ هذان يختلفـان ويتنازعان ويتقاتلان على شـيء من لعـاع الحياة، وأولئك يختلفون ويتخاصمون ويتقاتلون من أجل الأفكار والمشاريع ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ فرق كبير.

٨ ـ من الشجاعة أن تعترف بملابسات قضيتك كاملة حتى لو اعتراها شيء من النقص في حقك ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي﴾.

٩ ـ ماذا لو كان أصحاب المشاريع، وروّاد المؤسسات الخيرية، ورؤساء مجالس الإدارة في العمل الخيري قالوا مثل هذا القول، معتذرين عن ضعف أدوارهم، وعدم قيامهم بحقوق مؤسساتهم ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي﴾.

١٠ ـ مؤلم جداً أن ترى من يتولى مسؤولية عملٍ خيريٍّ متخلّفاً عن أدواره، ثم لا هو ترك مكانه، ولا هو اعترف بقصوره ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي﴾.

١١ ـ من الشجاعة أن تملك الكلمة التي تريد أن تقولها حتى لو بقيت وسماً في ذاكرة الأجيال ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي﴾.

١٢ ـ الشعور بالتقصير في حمل أمانة التكليف والاستعتاب من الله تعالى من أدب الكبار ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

١٣ ـ كل الذين يخالفون الحقائق بعد بلوغها يستحقون هذا الجزاء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾.

١٤ ـ الأخطاء لا تقف بك حائلة عن المعالي ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾.

١٥ ـ هذه رحمة الله تعالى تغسل ذنوب المشركين ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ فما هو الظنُّ بها مع المؤمنين المتقين؟!

١٦ ـ من كمال فقهك وجميل وعيك أنك إذا أحدثت ذنباً أن تحدث لهذا الذنب توبةً واستغفاراً ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾.

١٧ ـ العودة للحق من صناعة الكبار ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾.

١٨ ـ الاعتذار عن الآخرين فنٌّ يملكه الكبار ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾.

١٩ ـ حتى أسلوب الاعتذار فنٌّ يحتاج إلى صناعة ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ ذكّر بأنّ الله تعالى قادر على إهلاكهم قبل خطئهم، وأشار إلى أن التطاول عليه سفه، ثم رجاه في غفران ذنوبهم، وذكّر بأنه خير الغافرين.

٢٠ ـ في كل مجتمع وقبيلة ودولة ووطن أصحاب رأي وفضل وعقل، يصلحون لنائبات الدهر، وملمّات الزمان ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾.

٢١ ـ إذا أردت لفكرتك ومشروعك النجاح فاختر لها أعواناً من خيار أمتك من يقومون بها ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ

لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾.

٢٢ ـ هذه فلسفة المخبتين مع ربهم تعالى ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾.

٢٣ ـ إذا أردت أن تصل إلى ربك فادخل إليه من باب الإخبات ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾.

٢٤ ـ كم يصنع الإخبات لله تعالى، والإذعان له، والخشوع بين يديه من مباهج ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾.

❀ ❀ ❀

۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا
هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى
وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى
ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ
ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ
عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟
ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ
وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن
قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

التفسير

- ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾ من علم نافع، وعمل صالح، ورزق واسع ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ حسنة كذلك، مما وعدت من نعيم ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ رجعنا إليك تائبين عابدين ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ﴾ لا صارفَ له عنه ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ من الخلق ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا﴾ أي الرحمة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يجعلون بينهم وبين عذاب الله وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لمستحقيها ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦﴾ يصدِّقون ويعملون.

- ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ الذي لا يقرأ ولا يكتب ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ﴾ اليهود والنصارى ﴿مَكۡتُوبًا﴾ اسمه وصفته ﴿عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ مذكوراً في كتبهم ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ وهو كل ما تعارف الناس على حسنه وفضله ﴿وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ وهو كل ما أنكرت قبحه العقول ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من قول أو فعل ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ من قول أو فعل ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ من التكاليف التي كانت تشق عليهم بتعاليم سمحة يسيرة ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ بالنبي ﷺ ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وقّروه وعظّموه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ حموه ومنعوه من كل من يعاديه ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ الفائزون.

- ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ فرسالتي عامة لكل الناس ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ المتصرف فيهما ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا معبود بحق إلّا هو ﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ فَبيَدِهِ الإحياء والإماتة ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ

﴿وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ﴾ الذي لا يقرأ ولا يكتب ﴿ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ وهي كل ما أنزله الله تعالى على أنبيائه ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾ في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ للخير.

- ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ يدعون الناس إلى الخير ﴿وَبِهِۦ﴾ بالحق ﴿يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ بين الناس في الحكم.

التدبر

١ ـ من كمال علمك أن تختار جوامع الدعاء ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾.

٢ ـ الاعتراف بالتقصير والتوبة والإنابة إلى الله تعالى من موجبات الإجابة ﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾.

٣ ـ لا تيأس من كثرة ذنوبك، فرحمة الله تعالى أوسع ما تكون ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾.

٤ ـ كلّما عظمت تقواك لربك زادت مساحة رحمة الله تعالى لك ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾.

٥ ـ التقوى، وإيتاء الزكاة، والإيمان بآيات الله تعالى، ومتابعة نبي الله ﷺ: من أسباب مغفرة الله تعالى ورضوانه ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى

ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾.

٦ ـ الفلاح معقود بنواصي الحب والاتباع لنبيّنا ﷺ ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾.

٧ ـ الهداية أثر لاتباع النبي ﷺ ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾.

٨ ـ على قدر اتباعك لنبيك ﷺ تكون هدايتك ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾.

٩ ـ العدل منهج شرعي ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.

١٠ ـ حتى في وسط المشكلات وزحام الظروف ثمّة نورٌ يدعو للأمل ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.

١١ ـ لن تجد واقعاً خالياً من الفأل والأمل مهما كانت ظروفه المحيطة به ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ في عمق هــذا الواقع الذي يقصُّه الله تعالى عن قوم موسى، ثمّةَ قومٌ يقومون بمنهج الله تعالى كما أراد.

❀ ❀ ❀

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ
ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ
فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ
وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ
قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ
شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ
لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾
فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ
حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَۙ لَا
تَأْتِيهِمْۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

التفسير

• ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ قسّمناهم ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ قبيلة ﴿أُمَمًا﴾ كل بني رجل من أولاد يعقوب قبيلة ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ طلبوا الغيث ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ فضرب بها الحجر ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ انفجرت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ تجري في الأرض ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ عَرَفَ كل سبط من هؤلاء العين التي يشربون منها ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾ جعلناه ساتراً لهم من حرِّ الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ﴾ وهو ما ينزل من الشجر يشبه العسل ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ طائر يشبه السُّمَاني، ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من فضل الله تعالى عليكم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بعدم شكرهم لهذه النعم وقيامهم بواجبهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ بفوات الخير عنهم، وحصول العذاب لهم.

• ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ من أي مكان أردتم ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ احطط عنا خطايانا ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ باب مدينة المقدس ﴿سُجَّدًا﴾ خاضعين لله تعالى ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾ نسترها ونعفو عنكم ﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ من كل خير.

• ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ الظالمون منهم ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: (حبةٌ في شعيرةٍ) تبديلاً منهم ومخالفةً لأمر الله تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ عذاباً ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ بسبب ظلمهم.

• ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ﴾ بني إسرائيل ﴿عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ﴾ بقرب البحر الأحمر ﴿إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ يعتدون فيه على مخالفة أمر الله تعالى بالصيد فيه ﴿إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا﴾ ظاهرة على وجه الماء ﴿وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ﴾ وفي غير يوم السبت ﴿لَا تَأۡتِيهِمۡ﴾ تذهب غائصةً في البحر فلا يرون منها شيئاً ﴿كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم﴾ نبتليهم بذلك ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٣﴾ بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى.

التدبر

١ ـ ما أكثر نعم الله تعالى على خلقه ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١٦٠﴾.

٢ ـ الإيمان والعمل الصالح يستنزل نعم الله تعالى بغير ميزان ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١٦٠﴾ إذا كانت هذه النعم على بني إسرائيل رغم جحودهم، وتعنتهم، وبُعْدِهِمْ عن ربهم تعالى؛ فكيف بمباهج الإيمان في واقع الإنسان!

٣ ـ ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ دعوة لأن يتعرف كل إنسان على مشروعه وفكرته ومجاله وتخصصه.

٤ ـ ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ فلا يعتدي إنسان على آخر، ولا تنقل فكرة غيرك إليك، ولا تنازع غيرك في مشروعه.

٥ ـ ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ رعاية للحقوق، وهداية للناس إلى ما يحسنون.

٦ ـ إلى كل المتأخرين عن الهداية أن تستوعبوا درس العبرة قبل فواته ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

٧ ـ حين يتخلّف الإنسان عن ركب المهتدين إنما يضر نفسه، ويسيء إلى حياته، وليس لله تعالى من ذلك شيء ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

٨ ـ حين تكون النعم ابتلاء ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾.

٩ ـ مثل هؤلاء ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ كالذي فتح الله تعالى عليه في العلم، فذهب يعارض به منهج الله تعالى، أو فتح له في مال أو مسؤولية، فذهب يخاصم بها منهج الله تعالى في العالمين.

١٠ ـ إذا أراد الله تعالى بعبده بلاءً قيّض له فتن الشهوات ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾.

١١ ـ ما أكثر الساقطين في فتن الشهوات! ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ وما أقل الخارجين والمتعافين منها!

١٢ ـ البلاء نتيجة للفسق المتفشّي في الواقع ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾.

١٣ ـ أسوأ أنواع الغفلة أن يُخادع الله تعالى كما يُخادع الصبيان ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ منعهم من الصيد في يوم السبت فنصبوا الشباك يوم الجمعة وأخذوها يوم الأحد.

١٤ ـ تختلف الشهوات التي تعرض للإنسان، وتودي به في النهاية للخسارة، والتي صرعت هؤلاء، وألقت بهم في مساحة الخذلان شهوات البطون، وما زالت تلقي بآخرين كل يوم إلى درك الشقاء ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا

وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ وما بيوع الربا التي تؤدي إلى الخسارة على كثيرين إلَّا نموذجاً من نماذج تلك الشهوات، وقد يكون البلاء في فتوى، أو جاه وسلطان، أو رئاسة، أو خلوة، وقد يرتفع إنسان عن حضيض شهوة ويلقي بنفسه مختاراً في حضيض آخر.

١٥ ـ صورة الفوضى التي مارسها أصحاب هذه القرية في احتيالهم على صيد السمك، هي ذاتها تماماً التي تُدار اليوم في صفقات الربا سواء في سيارات أو مكيفات أو بطاقات، سواءٌ لا فرق ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾
فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ
وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ
﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ
﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن
يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ
لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ
ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ
وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ
وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا
وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن
لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ
لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

التفسير

- ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ جماعة صالحة من بني إسرائيل لجماعة أخرى مجتهدة في وعظ المخطئين ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ لماذا تأمرون وتنهون ﴿قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ وهم إلى الهلاك صائرون ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أن الله تعالى معذبهم على فعلهم ﴿قَالُواْ﴾ الفئة الناصحة: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ عذراً إلى الله تعالى ألا يؤاخذنا بمخالفتهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ ولعلهم يقلعون عما هم فيه من المخالفة.
- ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾ تركوا ما وعظوا به ولم يستفيدوا منه ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ المنكرين للمنكر ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ الواقعين في المنكر ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ بسبب خروجهم عن طاعة الله تعالى.
- ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾ استكبروا وعصوا، ولم ينقادوا للموعظة ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ فكانوا قردة كما أراد الله تعالى.
- ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أعلم إعلاماً صريحاً ظاهراً ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ ليسلطنّ الله تعالى عليهم تسليطاً مستمراً ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ يذيقهم أسوأ العذاب ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لكل من عصاه وخالف أمره ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ بالمؤمنين.
- ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ﴾ فرّقناهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ جماعات ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ القائمون بحقوق الله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أقل في الصلاح والهدى ﴿وَبَلَوْنَٰهُم﴾ امتحنّاهم ﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ رخاء العيش وطيبه ورغده ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ضيق العيش ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ إلى الله تعالى.

• ﴿ فَخَلَفَ ﴾ جاء ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ﴾ ذرية وأجيال أعقبتهم ﴿وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أخذوا التوراة ممّن سبقهم ﴿يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ يتعجّلون مصالحهم بالرشاوي وأكل الباطل والمحرمات ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾ ما فعلنا من ذلك ﴿وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُ﴾ يأتي سحتٌ آخر يأكلوه كذلك ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ العهود والمواثيق في التوراة ﴿أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ دون تحريف أو تبديل ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾ وعلموا ما في الكتاب ثم تركوا العمل به ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ﴾ أفضل وأحسن ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الله تعالى ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩﴾ ما هو خير لكم.

• ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ يتمسكون بما في التوراة من علم وعمل ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أدّوها كما أمر الله تعالى ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾ بل نوفّيهم عملهم.

التدبّر

١ ـ هذه غايات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نهاية المطاف ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤﴾.

٢ ـ من المعوّقين في الطريق مثل هؤلاء ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا﴾.

٣ ـ ثمة أناس لا هم من الذين يقومون بواجب الإصلاح، ولا هم من الذين يخلون لك الطريق ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا﴾ الحياة أكبر من هذا المشهد يا سادة!

٤ ـ يكفي الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر هذه الخاتمة الطيبة ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ ويكفي المتدنِّسين في حمى المنكرات هذه النهايات ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾.

٥ ـ هذه نهاية المتلاعبين بالمنهج والعابثين بالحرمات ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ١٦٦﴾.

٦ ـ في مرَّاتٍ كثيرةٍ تظل آثار المنكر وراء كثير من المحن والفتن التي يلقاها صاحب المنكر، وهو لا يعي من أين جاء العقاب ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٦٧﴾.

٧ ـ لا تغتر بإمهال الله تعالى في شيء، فلعل عائداً يأتي على كثير من آمالك دون وعي منك ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ وإذا وقعت فقم باحثاً عن المخرج ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٨ ـ ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١٦٨﴾ بعض ما ترك المنكر في واقع المتدنسين به.

٩ ـ إذا أردت أن تعرف آثار المنكر في واقع هؤلاء فتأمل قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾، ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾، ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ لتدرك كم هي مخلّفات وآثار المنكرات في حياة أصحابها.

١٠ ـ مهما بلغ وعيك قد لا تتصوّر عقاب الله تعالى للمتخلّفين ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ من بشر إلى حيوان، ومن إنسان يعقل إلى حيوان بهيم! ومن صاحب رسالة ومنهج وتكليف إلى حيوان يجري في صحراء الأرض دون غاية وهدف.

١١ ـ ما أكثر جرأة الإنسان على مخالفة أمر الله تعالى، وما أحقره وأذلّه وأقلّ شأنه عند نزول عقاب الله تعالى به ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾.

١٢ ـ يا له من فرق تصنعه المعصية في حق صاحبها ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ من إنسان كبير في قومه إلى قرد في غابة وحيوان في طريق!

١٣ ـ حتى درس التاريخ لا ينفع في حياة الغافلين ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ جاؤوا بعدهم ورأوا كل شيء، ولم يبرحوا عن آثارهم، وكذلك تصنع الغفلات!

١٤ ـ وراثة الكتاب الحقيقية ليست خلافة أمة أو وراثة سابق على جنس تلك الصحف، وإنما القيام بحقه من العمل ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ ﴾ خلفوهم على كتابهم، ثم ذهبوا يشترون به متاع الدنيا الزائل، ويقيمون به شهواتهم.

١٥ ـ يعبثون بالقيم، ويتخلّفون عن الحق، ويركضون وراء المنكرات، ثم يبنون أمنية باردة كهذه ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾.

١٦ ـ حقوق العلم أكبر من هذه الفوضى التي خلّفها هؤلاء في واقعهم ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩﴾.

١٧ ـ إما أن تحمل هذا العلم بحقه، وإلّا دعه من هذه الفوضى التي تلج بها في حماه ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩﴾.

١٨ ـ أسوأ خذلان يتعرّض له الإنسان في حياته حين يتخذ من العلم طريقاً للفساد ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩﴾.

١٩ ـ يعرفون الحق، ويعبثون بقيمه ومباهجه ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾ يعرفون كل شيء، ويعبثون في الوقت ذاته بكل شيء.

٢٠ ـ أسوأ الدخلاء على العلم ليس الجهلة به، وإنما العلماء العارفون به ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾.

٢١ ـ ليت المنكبين على شهواتهم أدركوا هذا الدرس المتين ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

٢٢ ـ لو كانت هذه الحقيقة بيّنة في قلوبنا ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ لكانت كافية بالسعي بعزائمنا إلى أمانيها الكبار.

٢٣ ـ ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ درسٌ وذكرى للغافلين عن الحياة الكبرى!

٢٤ ـ ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ درسٌ وعظـةٌ لـكل اللاهين عن الطريق المنشـغلين عن تحديات تلك الحياة.

٢٥ ـ هؤلاء هم الكبار ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾ وإذا تأملت في واقع المسـلمين اليوم أدركت كم هي الحاجة شـديدة إلى مثل هـؤلاء الذين يتمسـكون بالوحي، ويمشـون علـى خطاه، ولا يتخلَّفون عنه في شيء.

٢٦ ـ إقامة الصلاة على وجههـا اللائق بها هو الجزء التطبيقي الكبير في التمسـك بالكتاب ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾.

٢٧ ـ كل دعوى لا علاقة لهـا بالتطبيق لا قيمة لها فـي واقع صاحبها ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾.

❀ ❀ ❀

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ
خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ
ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا
فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ
كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ
يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ
ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ
فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

التفسير

• ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ رفعه الله تعالى فوقهم لما امتنعوا عن قبول ما في التوراة ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ حتى صار شبيهاً بالسحابة التي تظلهم ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ أيقنوا أنه ساقط عليهم ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزيمة ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ من الأحكام والشرائع ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ الله تعالى، فتفعلون أوامره، وتجتنبون نواهيه، قال مجاهد: جبل نزعه الله تعالى من أصله، ثم جعله فوق رؤوسهم فقال: لتأخذنّ أمري أو لأرمينّكم به.

• ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي إنّ الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذريته، وأخذ عليهم العهد ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فأشهَدَ كلَّ واحدٍ منهم بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ على أنفسنا أنك ربنا ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ حتى لا تقولوا: إننا لم نكن نعلم بذلك، يفسّر ذلك قول النبي ﷺ «**كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفطرةِ فأبواه يهوِّدانه وينصِّرانه**»[1]؛ فالميثاق المأخوذ عليهم هو الفطرة التي فطرهم الله تعالى عليها ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ فتبعناهم على ذلك ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ لا علم لنا فيما فعلنا ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ من آبائنا.

• ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبيِّنها ونوضِّحها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ إلى الحق.

• ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ قُصَّ عليهم ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ علَّمناه علم الكتاب، وفهَّمناه إياه ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ ترك العمل بها ﴿فَأَتْبَعَهُ

(١) رواه البخاري رقم (١٣٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ لحقه فأدركه وصار قريناً له ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾ الضالين عن الطريق.

- ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا﴾ بما آتيناه من العلم ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ ركَنَ إلى الدنيا، ورضي بها، وترك العمل بالعلم ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في غير طاعة الله تعالى ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ مثل من آتاه الله تعالى العلم وتركه وأقبل على الدنيا ﴿كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ﴾ تطرده ﴿يَلۡهَثۡ﴾ يخرج لسانه لاهثاً ﴿أَوۡ تَتۡرُكۡهُ﴾ دون طرد ﴿يَلۡهَث﴾ كذلك ﴿ذَّٰلِكَ﴾ هذا المثل ﴿مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ لا فرق، فهذا عرف الحقَّ وتركه، وكذلك كل من كذَّب بآيات الله تعالى بعد أن عرف الحق إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ﴾ كرره عليهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ في حالهم وما وصلوا إليه مقارنة بغيرهم.
- ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ ما أقبح مثلهم ﴿وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ١٧٧﴾ بمثل ذلك.
- ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ﴾ فيوفقه للحق ويدله عليه ﴿فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِي﴾ للحق حقيقة ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ﴾ فيخذله الله تعالى ويصرفه عن الطريق ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨﴾ للدارين.

التَّدَبُّر

١ ـ التخلّف عن موجبات العلم مؤذنٌ بالهلاك والعذاب ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧١﴾.

٢ ـ لا يمكن أن يؤخذ مشروع العلم خاصة بشيء من التواكل والضعف واللامبالاة، بل أخذه بالعزيمة أصل فيه لا يكاد ينفك عنه ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

٣ ـ العمل بالعلم موجبٌ لعواقب التوفيق ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

٤ ـ الفطرة هي الأصل، وكل انحراف إنما هو خلاف فطرة الله تعالى للعالمين ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ وهذا الأصل نافع للدعاة والمصلحين في تأهيل الناس للقيام به، أو عونهم عليهم، أو صدِّهِمْ عن كل ما يخالفه في النهاية.

٥ ـ أسوأ مواقف الخذلان حين يهبك الله تعالى العلم ثم لا تقوم بأعبائه ومسؤولياته ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

٦ ـ كل نعمة لها أعباء وواجبات وتكاليف، إما نهض بها صاحبها فشقَّت به طريق التوفيق، وإلَّا حمّلته تكاليفها، وألقت به في عالم المتخلِّفين ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن

تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

٧ ـ الأصل أن العلم يرفع صاحبه، ويدعوه لكمالات الأشياء، ويدفعه لمعاليها؛ فإذا ما أخلد به إلى الأرض وأقبل به على الشهوات صار علامة سوء في حق صاحبه ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

٨ ـ ما العلاقة بين كلب بخيس في الحياة وطالب علم؟! ما العلاقة بين الإنسان والحيوان، الذين يحملون العلم ثم ما يزال يسعى بهم في الشهوات كالكلاب التي لا يتوقف لهاثها أبداً ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

٩ ـ كل علم لا حظَّ له من التطبيق في واقع حامله لا قيمة له في شيء ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

١٠ ـ الخلود إلى الأرض، والرضى بالقعود مع وجود العلم، مُفْضٍ بصاحبه إلى الخذلان ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ

فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ
هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ
مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

١١ ـ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ يعرف كل شيء، ولكنه لم يصنع شيئاً.

١٢ ـ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ لا نفع به نفسه في التطبيق، ولا قام بواجبه في العالمين.

١٣ ـ كل نجاح لا علاقة له بهذا الوحي فلا حظَّ لصاحبه في الفرح ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ
بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾
وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ
أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ
يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ
كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ
هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا
هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ
أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ
عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

التفسير

• ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ النار ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ لعلمنا أنهم سيعملون بعمل أهلها ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ خطاب الله تعالى ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ ما ينفعهم من الخير ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ ما يدلهم إلى الحق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ مثل البهائم ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ عن ما ينفعهم.

• ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أحسن الأسماء وأجملها ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ بأسمائه الحسنى ﴿وَذَرُواْ﴾ اتركوا ﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ يميلون بها عن الحق ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ سيحاسبون على تحريفهم وتبديلهم في أسماء الله تعالى.

• ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ﴾ ومن جملة من خلقنا ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ يهدون الناس به ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ١٨١﴾ بين الناس في أحكامهم.

• ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ١٨٢﴾ بأن نُدرَّ عليهم النعم، وننسيهم شكرها.

• ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ١٨٣﴾ قوي شديد.

• ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾ يتأملوا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ محمد ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ من جنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٨٤﴾ ينذر الناس ما ينتظرهم إنذاراً واضحاً.

• ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ يتأملوا ﴿فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في خلقهما وما فيهما من الآيات ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ ويتأملوا في سائر خلق الله تعالى من الأشياء التي خلقها وأحسن صنعها ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ

أَجَلُهُمْ ﴾ ويتأملوا قبل موتهم فقد يكون موتهم قريباً ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾ بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ إن لم يؤمنوا بالقرآن فأي حديث أعظم منه.

• ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ فيصرفه عن مواطن الحق ﴿فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ فلا سبيل إلى هدايته ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ يتركهم ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ يتحيرون ويترددون. ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متى وقوعها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ هو أعلم بموعدها ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾ لا يظهر زمن وقوعها ﴿إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ عظم علمها وخفي ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ فجأة.

• ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾ حريص على العلم بها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا يعلمها غيره ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ حقيقة علم الله تعالى وقدرته.

التدبر

١ ـ ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ هذه منافذ الهداية إذا سُدَّتْ فلا يُرجى بعدها صلاح.

٢ ـ لا فرق بين الإنسان الذي أكرمه الله تعالى بالعقل ولم يهتد به إلى دين الله تعالى والحيوان البهيم في عرض الطريق ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

٣ ـ لا تقلق حين ترى المعرضين عن الهدى، تلك القلوب لا تصلح للهداية ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

٤ ـ من كمال عقلك ووعيك أن تتوسَّل في دعائك لربك تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾.

٥ ـ الزم منهجك، ودعك من دعاوى البطالين وتأويـلات الفارغين ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾.

٦ ـ في كل زمان فئة تستقبل مباهج الحق، وتقوم به في العالمين لا تبالي بمخلوق ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾.

٧ ـ فتح بابِ النعيم عليك أعظمُ بلاءً من فتح باب الشقاء ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾.

٨ ـ كثيرون نجحوا في معركة البلاء وسـقطوا على رؤوسـهم في معركة النعيم ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾.

٩ ـ كم مِنْ مستَدرجٍ بنعمة في هذه اللحظة وهو لا يدري ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾.

١٠ ـ إذا رأيت أن الله تعالى أسـبغ عليه نعمةً في علمٍ أو مالٍ أو جاهٍ وهو ممسكٌ عن آثاره، فاعلم أنه غارق في الفشـل إلى شـحمة أذنيه ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ هذه هي الرزايا والله!

١١ ـ يصنعون من أنفسـهم كباراً، ونسـوا أن الله تعالى يدير شـأن الكون ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾.

١٢ ـ لو منحوا عقولهم شيئاً من التفكير لعرفوا الحقائق كما لو كانوا يرونها رأي عين ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ ما زال الله مشـفقاً عليهم يسوق لهم الذكرى، ويبيِّن لهم عن مآلات الأحداث وهم غافلون لاهون.

١٣ ـ ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ﴾، ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ ﴾ تصلح درسـاً للقلـوب المتيقِّظة، والنفوس المدركة فحسب.

١٤ ـ الأسـئلة التي لا يترتب عليها عمل ينبغي ألا تأخذ حظّاً من الوقت ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ لم يكلِّفهم الله تعالى العلم فقط، إنما كلفهم بالعمل به!

❀ ❀ ❀

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ
أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ
أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم
مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا
تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا
ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى
ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ
﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ
أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ
يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ
يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

التفسير

• ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا﴾ لأنني عبد مملوك فقير إلى الله تعالى ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ عليّ من فضله وكرمه وجوده ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ ما يحدث للإنسان في الغد ﴿لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ لعملت الخيرات واستزدت منها ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ ولاحتطت في فعل الأسباب التي تحول بيني وبين السوء ﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ﴾ منذر من عقاب الله تعالى ﴿وَبَشِيرٞ﴾ مبشر بنعيم الله تعالى ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ بالله تعالى.

• ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ من آدم ﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ يأنس بها ويطمئن إليها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ جامعها، وهذا الكلام الآن في جنس بني آدم وليس في آدم عليه السلام وحواء فقط ﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ صار لها حمل في بداية شهوره الأولى ﴿فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ﴾ استمرت على حملها تمضي في حوائجها لا تجد ثقلاً ﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت﴾ صارت ثقيلة من الحمل ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ أبواه ﴿لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا﴾ مولوداً صالحاً ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩﴾ لك على عطائك.

• ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا﴾ جاء كما أرادا ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ بأن عبّداه لغير الله تعالى كعبد الحارث، وعبد الكعبة، أو جعلا لله تعالى شريكاً في عبوديته فعَبَدَا مع الله تعالى غيره ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠﴾ تعاظم وتعالى عن شركهم بالله تعالى.

• ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا﴾ أيجعلون لله تعالى شركاء وهم لا يقدرون على الخلق ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١﴾ وآلهتهم التي زعموا مخلوقون مربوبون ﴿وَلَا

يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ إن طلبوا منهم نصرهم فلا قدرة لهم على ذلك ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ ولا يقدرون على نصر أنفسهم.

• ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ ﴾ أيها المشركون هذه الأصنام التي تتخذونها آلهة من دون الله تعالى ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ الحق ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾ لا يجيبوكم ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ ﴾ إلى الحق ﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ ساكتون عن دعوتهم لا فرق.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ لا فرق بينكم وبينهم ﴿فَٱدْعُوهُمْ ﴾ اطلبوا منهم نفعاً ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ ﴾ ما طلبتموه منهم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ في أنهم ينفعونكم بشيء.

• ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ﴾ فليس لهم أرجل تحملهم ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ﴾ ولا أيدٍ يعملون بها ويبطشون ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ﴾ ولا أعين يبصرون بها ﴿أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ ولا آذان يسمعون بها، وإذا كانوا كذلك فهم أقل منكم؛ فكيف تتخذونهم آلهة ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ﴾ أي أعوانكم ﴿ثُمَّ كِيدُونِ ﴾ بما تستطيعون ﴿فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ فلا تمهلوني.

١ ـ رسول الله ﷺ بشر، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا يعلم من أحداث الساعة شيئاً ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

٢ - ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ درس في الإخلاص والشفافية.

٣ - ماذا لـو تمحّض الإخلاص في قلـوب طلاب العلم، فجرَّدوا أنفسـهم من حظوظها، واعترفوا بتقصيرهم ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾.

٤ - سئل مفتي الديار السعودية ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أحد دروسه عن عبد الله بن أبزى هل هو صحابي أو تابعي؟ فقال: لا أدري! فقال له من سـجّل الحلقة بعد زمن: ما رأيك يا شـيخ نحذف السـؤال من أصله، لأنه لم يترتّب عليه إجابة، وأخذ مساحة من الشريط، فقال له الشيخ: لا، دعه، خلِّ الناس تعرف أننا لا نعرف شيئاً. وها نحن في زمان نريد مسـاحةً من الصف الأول، وجزءاً كبيـراً من كاميرات التصوير، «وأنا صنعت هذا العمل، وهو أصلاً فكرتي، وأنا الذي قمت به أولاً» ما أسوأ حظوظ النفس! وما أكثر صور الرياء في حياتنا كل يوم!!

٥ - ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا﴾ درس كبير في جمال العلاقة الزوجية.

٦ - العلاقة الزوجية أكبر من بيت وأسـرة وعائلـة ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا﴾.

٧ - يفوتنا في غالـب أحوالنا هذا المعنـى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا﴾ فتضيع كثير من هذه المعاني تحت الخلاف والنزاع على أشياء لا غاية لها.

٨ ـ كم مرّةً خلّصنا الله تعالى من ظروفنا الصعبة وعقبات الطريق، وظلام الليل، وبعث لها ما يزيحها من واقعنا، وصرنا مأسـورين للذين أجرى الله تعالى على أيديهم آمالنا، ولا نعترف لله بشيء ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾.

٩ ـ إذا أردت أن تحاجّ مشركاً متعلّقاً بغير الله تعالى فاقرأ عليه هذه الآيات واشرح له معانيهـا ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾.

١٠ ـ هذه حقائق تلك الآلهة المزعومة ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾.

١١ ـ مـن جمال الوحي أنـه يعرّي زيف الباطـل، ويجعله مجرّداً من كل شـبهة ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ

يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ
صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ
فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ
يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا
شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾}.

❀ ❀ ❀

إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾
وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ
أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ
وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ
بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ
ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا
هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا
يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ
إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ
فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى
نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ
وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

التفسير

- ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ أي الله تعالى يتولى أموري ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ يتولى أمورهم فيعينهم وينصرهم.
- ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ من دون الله تعالى ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ لا يقدرون على دفع ما يصيبكم ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ ولا يقدرون على دفع السوء عن أنفسهم.
- ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ الحق والخير ﴿لَا يَسْمَعُوا۟﴾ ما تدعوهم إليه ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ لا يرون شيئاً.
- ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ ما عفى وتيسّر من أخلاق الناس ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ المعروف، وهو كل ما تعارف الناس على حُسنه ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ السفهاء.
- ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ يصيبنّك ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ وسوسة ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ التجأ واعتصم به ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ بالأفعال.
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ ربهم فقاموا بأوامره، واجتناب نواهيه ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ عارضٌ من وسوسةِ إبليس بالمعصية، أو الوقوع في الذنب ﴿تَذَكَّرُوا۟﴾ ربهم تعالى ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ منتبهون تائبون عائدون.
- ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ إخوان الشياطين من الفجار من ضُلَّالِ الإنس والجن ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ يدعمونهم في الضلال ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ لا يدَّخرون وسعاً في غوايتهم.

• ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾ من ربك ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ اختلقتها وأحدثتها من نفسك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ لا أقول شيئاً من عندي ﴿هَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ حجج وبراهين ﴿وَهُدًى﴾ هداية ﴿وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣)﴾ بما فيه من دلائل الخير.

• ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أقبلوا إليه بقلوبكم متدبرين فيما تقرؤون من آياته ﴿وَأَنصِتُوا﴾ بأسماعكم له ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)﴾ تصيبكم رحمة الله تعالى.

• ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا﴾ تخشُّعاً وتذلُّلاً ﴿وَخِيفَةً﴾ تواضعاً وخوفاً منه ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ بما تسمع به نفسك دون مبالغة ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ أول النهار ﴿وَالْآصَالِ﴾ آخر النهار ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥)﴾ الناسين لله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ لا يتكبَّرون على عبادته ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ ينزهونه عما لا يليق ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦)﴾ يتعبَّدون له بالسجود.

١ ـ ما أجمل الاعتراف بالله تعالى، والخشوع له، والإقبال عليه ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦)﴾ هذه والله نعم عاجلة لأصحابها في الدنيا قبل لقاء الآخرة.

٢ ـ ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦)﴾ ليست دعوى ومعرفةً مجرَّدة وحديثاً عابراً على لسان وسطراً مدوناً في ورقة، وإنما وجدان قلب، ومشاعر إنسان.

٣ ـ ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ ويشهد الله تعالى أن هذا المعنى ربيع قلب!

٤ ـ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ أضخم رسالة في الأخلاق! خذ ما عفى من أخلاقهم، وتيسَّر من أفعالهم، ولا تكلِّفهم ما لا يطيقون!

٥ ـ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ ماذا لو جرى هذا الخُلق في رحاب أسرة، وواقع عمل، وصحبة سفر، ولقاء الأصدقاء والخلان!

٦ ـ كل الكتب التي أُلِّفت في الأخلاق، والدورات التي جمعت في فن التعامل، واللقاءات التي اجتمعت لنقاش هذا الجانب جزء من هذه القاعدة، وفرع من هذا الأصل العظيم ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾.

٧ ـ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ ضعها على جدار بيتك، وواجهة حاسوبك، وشاشة جوالك، وذكِّر بها عقلك في كل حين وستعيش كنفاً، لكل العالمين.

٨ ـ أول ما تبدأ ثورة الغضب ألجمْها بهذا الحصن المتين ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾.

٩ ـ تأمل قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ واربط هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لتتغلّب على نعرات نفسك، وتتفوّق على ثورة الغضب في واقعك، إنه يسمع قولك، ويعلم سرك وجهرك.

١٠ ـ حتى وإن سقطت في وحل المعصية أفق وأدرك، واذكر ربك قبل الفوات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾.

١١ ـ حتى الكبار يسقطون ويقعون ويخفقون، لكنهم سرعان ما ينهضون ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾.

١٢ ـ إن الذي خلق السقوط هو الذي خلق النهوض ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ فانهض للحياة!

١٣ ـ حتى الذين يسقطون من علو يمكنهم القيام من جديد ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾.

١٤ ـ لا تستغرب حين ترى قوماً يصرّون على المعصية، ويأبون إلّا هي حتى لو كان ذلك على حساب عفاف الشرف ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ إخوان الرذيلة يدفعون بهم للشرب من حمئها.

١٥ ـ يشيرون عليه، ويحاولون إقناعه، ويدفعون له مالاً، ويبذلون جهداً، ويتولون التنسيق حتى يذبحوا قيمه، ويرقصوا على شرفها المهدور ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾.

١٦ ـ في القرآن الكريم قصص من البصيرة والرحمة والهداية فلا تبرح مباهجه ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

١٧ ـ إذا أمضّك الألم، وشعرت بالإجهاد، وغرقت في همومك فيمّم وجهك إلى هذا المعين الدافئ ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

١٨ ـ إذا لم تمتدَّ يدك إلى كتاب الله تعالى، ولم تشعر بأنسه، ولم تجد له معنًى في حياتك فراجع إيمانك من جديد، لو كنت مؤمناً بحق لفقدت قلبك من فراقه

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

١٩ ـ إذا سمعت تالياً لكتاب الله تعالى فأرْخِ سمعك له؛ فتلك مواطن الرحمات ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ الإنصات شيء فوق مجرد السماع، إنه إلقاء مشاعرك لهذا الوحي، وتلك لحظةٌ حقيقةٌ بفيض الرحمات.

٢٠ ـ عُمْقُ الذكر وجمال أثره في تلك اللحظة التي تناجي فيها ربك لا يسمعك فيها مخلوق ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾.

٢١ ـ لتكن لك ساعة تبثُّ فيها نجواك، وتعرض فيها شكواك، وتبوح لله تعالى بأسرارك كلها ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾.

٢٢ ـ لا تبقِ من حديث ضميرك ومشاعرك ووجدانك شيئاً، فهذه لحظات الاعتراف ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾.

٢٣ ـ كلَّما زاد علمك زاد تواضعك وخشيتك، وقمت لله تعالى بحقوقه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ قرب الملائكة أورثهم هذا الجلال من التعظيم.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ الأَنفَال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟
ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا
ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ
ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ
دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ
رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ﴿٥﴾
يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ
يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ
وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن
يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ
ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

التفسير

- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الغنائم التي يغنمها المسلمون في الحرب مع الكفار ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ﴾ الغنائم ﴿لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي أَنّ حكمَهُمَا مختصٌ بالله تعالى وبرسوله ﷺ في التصرُّف والتوزيع، وليس عليكم إلّا الانقياد والاستسلام ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أصلحوا ما بينكم من التشاحن والبغضاء ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ في كل ما قالا لكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ حقاً.
- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ حقيقة ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خافت وخشيت ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ من القرآن ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ على إيمانهم ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ يعتمدون.
- ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يؤدونها كما أمر الله تعالى ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ يتصدقون.
- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ الكامل إيمانهم ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ عالية ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ وفضل واسع عظيم.
- ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي حال أهل بدر في كراهتهم تقسيم الغنائم بالسوية، كحالهم عند خروجك للغزوة من أصلها، فقد خرجوا وهم كارهون ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾﴾ للخروج.

• ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ﴾ في الخروج للغزوة والقتال فيها ﴿بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ أن لهم العير بما فيها، أو النفير للجهاد والغلبة عليهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ﴾ يدفعون ﴿إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦﴾ من عدم رغبتهم في القتال.

• ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ﴾ إما العير أو النفير للجهاد ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ﴾ غير ذات القوة أي العير بما فيها دون القتال ﴿تَكُونُ لَكُمۡ﴾ من نصيبكم ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ يعلي الحق ويرفع شأنه ﴿وَيَقۡطَعَ﴾ يستأصل ﴿دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧﴾ آخرهم.

• ﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ﴾ يعليه ويرفعه ﴿وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ يمحقه ويبطله ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٨﴾ حتى لو كان ذلك على كراهية منهم.

١ ـ شريعة الله تعالى منظمة محكمة، لم تدع شيئاً يحتاج إلى بيان إلَّا بينته ورتبته ووضحته ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١﴾.

٢ ـ وضوح منهج التلقي لدى ذلك الجيل ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِ﴾ وهذه شريعة يجب أن تأخذ حقها من نفوس المؤمنين، وعدم وضوح الرؤية في هذا الباب هو أصل ضياع الدين من حياة كثيرين.

٣ ـ تصحيح المنهج، قضية كبرى يجب أن تخرج صريحة واضحة، لا اعوجاج فيها ولا تشويش ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ بين الله تعالى أن الغنائم ليست من اختصاصهم في شيء، ما يخصهم القيام بحقوق الله تعالى في إصلاح ما بينهم وبين الآخرين وطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ.

٤ ـ من علامات الإيمان أن يرقّ قلبك لسماع القرآن، ويذرف دمعك شاهداً على ذلك المعنى، ويرتفع معدل الإيمان في قلبك، ويزيد توكلك على ربك ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾.

٥ ـ القرآن حياة! ومن تلاه أو استمع إليه واعياً، أوجب له وجل قلبه، وقام بحقه من العمل ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾.

٦ ـ الذكرى بالقرآن تدفعك إلى العمل والتطبيق ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

٧ ـ اقرأ هذه الآيات واستخرج منها العمل الذي وصف الله تعالى أصحابه أنهم هم المؤمنون حقاً، وابدأ رحلتك الكبرى في تطبيقه في واقعك لتنعم بجلال هذا الوصف المثير ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

٨ ـ إقامة الصلاة، وإنفاق المال في سبيل الله تعالى، تؤهلان صاحبهما إلى درجة الإيمان المثلى عند الله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

٩ ـ من أراد أن يفتح الله تعالى له في الرزق، ويبسط عليه النعم، فليقم صلاته كما أراد الله تعالى، ولينفق مما آتاه الله تعالى، وسيكون على موعد مع تلك الأماني الكبار ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

١٠ ـ جزء من مشكلاتنا أننا نفقه حساب وعوائد الجوانب الحسية، ولا نفقه من حساب المعاني المعنوية شيئاً ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

١١ ـ لو أدرنا شأن الصلاة بإتقان، وبذلنا ما في أيدينا للمنتظرين لتخلَّصنا من ديوننا، ولعُدْنا أغنياء كما نريد ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

١٢ ـ أقم شأن صلاتك تُرفع درجاتك، ويُغفر ذنبك، وُيبسط لك في رزقك ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾.

١٣ ـ مهما بلغ إيمان الإنسان يظل بشراً، يُجري حساباته كما يجريها غيره من الخلق ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ ﴾.

١٤ ـ ثمة لحظات يعود فيها صاحب الإيمان إلى طبيعته البشرية، تستهويه الحياة لدرجة أنه لا يريد أن يفارق مدارجها ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ ﴾.

١٥ ـ ليست مشكلة الأمة مع أفرادها لهذا العارض الذي يصيب النفوس البشرية، وإنما مشكلتها الكبرى في ذلك القعود الذي لا يُنتظر معه حراك ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ ﴾.

١٦ ـ في مرات كثيرة يريد الخلق شيئاً ويريد الله تعالى شيئاً آخر ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ ﴾.

١٧ ـ ثمة حكم وغايات يدبر الله تعالى الكون لأجلها، لا تأتي على عقول كثيرين

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

١٨ ـ حتى الأمد الطويل يرصد الله تعالى له نهاية ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

١٩ ـ إذا أراد الله تعالى شيئاً أجرى له أسبابه ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ
مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ
ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ
سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ
ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ
شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

التفسير

• ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تطلبون منه النصر والغوث ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ٩﴾ يتبع بعضهم بعضاً.

• ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ إنزال الملائكة ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ بشارة لكم بنصر الله تعالى وعونه ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ تهدأ وتستقر وتوقن بالنصر ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ بتوفيقه وإعانته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا غالب لأمره ﴿حَكِيمٌ ١٠﴾ في تدبير خلقه وأمره.

• ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ يجعله عليكم كالغطاء ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ أماناً من الله تعالى ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ من الأحداث والنجاسات ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وساوسه وتخويفاته ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ يثبتها ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ١١﴾ على الأرض ليثبتوا للنصر.

• ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعَوْنِ والنصرِ والتأييد ﴿فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالحضور معهم، وتكثير سوادهم، وإعانتهم ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ أعاليها ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ١٢﴾ مفاصل الأصابع وأطرافها.

• ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ حاربوهما ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يحاربهما ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١٣﴾ لكل من خالف.

• ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ العذاب ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤﴾ يوم القيامة.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾ يمشي بعضكم إلى بعض ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ١٥﴾ هاربين منهزمين.

• ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ ومـن ينهزم ويتركهـم ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ منصرفاً إلى جهة أخرى من المعركة ليقاتل فيها ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ مشارك إلى فئة أخرى في المعركة ﴿فَقَدْ بَآءَ﴾ أي رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ سخط ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾ يوم القيامة ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ ما أسوأ عاقبته!

التدبر

١ ـ الدعاء يستنزل النصر، ويأتي بفواتح التوفيق، إذا استكمل شروطه وأسبابه في واقع أمة أو إنسان ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾.

٢ ـ في مواقف المحن والأزمات والبلاء يتبدّى نور الله تعالى في الظلام، ويأتي الفأل من عمق مواطن اليأس ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾.

٣ ـ من كان يتصوّر أن ينزل الله تعالى جنداً من السماء تقاتل في الأرض، وتدفع عدو الله تعالى بالسيف والسهم! ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ كذلك يصنع الإيمان!

٤ ـ إذا صدق الإنسان مع ربه فلا تسل كيف يتنزّل التوفيق عليه! ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾.

٥ ـ النصر لا يأتي من خلال كثرة العدد والعـدة، وإنما يأتي من مدد الإيمان والتقوى والإصلاح ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ

﴿مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ ثلاث مئة كانت كافية لصفع ألف متمكّنٍ بالقوَّةِ والعتاد.

٦ ـ لو فقهنا درس بدر، ومدد الله تعالى من السماء، لأدركنا أن هذه الأمة لن تُغلب في موقف، أو تنهزم في معركة، إذا حافظت على مقومات هذا المعنى الكبير في الحياة ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾.

٧ ـ إن الذي أنزل مدداً من السماء، قادر على أن يبعث لرايات النصر كل شيء ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾.

٨ ـ صدقوا مع الله تعالى، فوهب لهم ما يبشرهم، وهم في أحوج الظروف، وأصعب المواقف، وأشدِّ الأحداث ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾.

٩ ـ يا لله ما يصنع الإيمان! لم يستنزل النصر من السماء فحسب، وإنما تفضّل الله تعالى عليهم بما يثبت قلوبهم في تلك الظروف ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾.

١٠ ـ هذه المعاني التي بسطها الله تعالى على عباده المؤمنين في بدر، وهم في أحلك الظروف وأقساها، تحتاج إلى قراءة متأنية في الأسباب التي استنزلت هذه المعاني كلها في وقت واحد ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى

رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ إنها ليست أسباب نصر مجردة، وإنما أحداث ومنن تحتاج إلى إمعان نظر.

١١ ـ إدارة المعارك فنٌّ يجب أن يأخذ حظَّه من التعليم ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ وكذلك كل مساحة ومعركة، تقام بين أهل الحق والباطل، يجب أن يؤهَّلَ لها القادر على إدارتها، والقائمَ بشؤونها.

١٢ ـ كل هذا الذي صنعه الله تعالى بالكافرين لأنهم جعلوا من أنفسهم خصوماً له ولشرعه ومنهجه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ وإذا كان هذا في حق الكافرين فلكل مخالف منه حظه وأثره.

١٣ ـ التولي من الزحف أثناء المعركة خيانة للمنهج والأمة والحق الذي يحمله أصحابه، وجزاؤه كبير عند الله تعالى يوم القيامة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾.

١٤ ـ كل موقف تترتب عليه خيانة كبيرة في حق الأمة يجب أن تعد له العقوبة المناسبة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ ومعارك الحياة التي تدير الأمة شأنها كثيرة، ومواقفها متعددة، وأحداثها كثيرة.

❀ ❀ ❀

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ
وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ
فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ
تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا
يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

التفسير

• ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بجهدكم وقوتكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بعونه لكم وتيسيره أسباب النصر ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ بالرعب يا محمد في قلوب الأعداء ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصباء في وجوه المشركين ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ بالرعب في قلوبهم ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يبتليهم ﴿مِنْهُ﴾ من الجهاد ﴿بَلَآءً حَسَنًا﴾ بنصرهم على عدوهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ بأحوالهم.

• ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾ مضعف ﴿كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ تدبيرهم وإعدادهم.

• ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟﴾ تطلبوا أيها الكفار من الله تعالى أن يوقع بأسه بالظالمين ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ حصل لكم ما تتمنون ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟﴾ عن الاستفتاح ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأنه يمهلكم ولا يعاجلكم بالعقوبة ﴿وَإِن تَعُودُوا۟﴾ إلى الاستفتاح وقتال المؤمنين ﴿نَعُدْ﴾ في تأييدهم ونصرهم عليكم ﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ أعوانكم وأنصاركم ﴿شَيْـًٔا﴾ من قدر الله تعالى ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ هذه الفئة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ بالنصر والتأييد.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ أوامره ونواهيه.

• ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ بآذانهم ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ سمع استجابة بقلوبهم.

• ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ وهي كل ما يدب على الأرض ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿ٱلْبُكْمُ﴾ عن النطق به ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ما ينفعهم.

• ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي أنهم سينتفعون بهذا السماع ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ ما ينتفعون به ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ ما ينتفعون به ﴿لَتَوَلَّوا۟﴾ أدبروا ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ عن الحق.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ أطيعوهما في كل ما يدلانكم عليه ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ إلى حياة قلوبكم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ أنه في حال إعراضكم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ بحوله وقوته ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ فلا يتوفق لهدى ولا لخير ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ تجمعون يوم القيامة.

• ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً﴾ محنة وبلية ومصيبة وعذاباً ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ لا تقتصر على الظالمين، بل تتجاوز إلى غيرهم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ لمن عاقبه.

التدبر

١ ـ الصدق مع الله تعالى يصنع كل شيء ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

٢ ـ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ دعوة لأن نقوم بالأسباب الممكنة، وندع النهايات يصنعها الله تعالى كيف يشاء.

٣ ـ على الأمة أن تعي أن نصرها الكبير في كل مساحة تديرها مرهون بصدقها، وحسن إقبالها على ربها، واستمداد النصر الكبير من الأسباب الشرعية قبل كل شيء ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

٤ ـ مهما كانت كثرة العدو وعدته وقوته التي يتشدّق بها، فالله تعالى يتولى إدارة المعركة ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

٥ ـ كم مرة رأينا هـذا الوهن الـذي يصيبهم، وهم يملكون كل الوسـائل الحربيـة، ويعـودون بالهزائم مرات ومـرات ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

٦ ـ لا تقلق من كيـد الكافرين، فالله يؤكّـد لك في محكم كتابـه هذه الحقيقة ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

٧ ـ ماذا بقي في قلوب المؤمنين أمام جهد الأعداء، وعدتهم، وجيوشهم، مع هذه الحقيقة الكبرى التي يواجههم بها القرآن! ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾.

٨ ـ حتى لو ملكوا كل شيء، هم في النهاية أقرب ما يكونون إلى الهزيمة ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾.

٩ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ دعوة لإجابة أوامر الله تعالى وتعظيم شعائره والقيام بحقوقه كما أراد سبحانه.

١٠ ـ الإيمان يزيد وينقص، لولا ذلك لما كان لمؤمن أن يعرض عن الحق بعد سماعه له ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

١١ ـ أسوأ لحظة في حياة مؤمن أن يدعوه الله تعالى لفضيلة فيلوي عنقه عنها لشهوة عارضة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

١٢ ـ أسوأ الخلق وأشرهم في الأرض أولئك الذين يسمعون كلام الله تعالى ولا يقيمون له شأناً ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ هؤلاء ليسوا الصم والبكم الحسِّيين، كلا! وإنما الذين يسمعون ويتكلمون، ولكنهم لا يستجيبون، هؤلاء هم شر الدواب، وأكثرهم سوءاً وقبحاً عند الله تعالى.

١٣ ـ إذا رأيته معرضاً عن أوامر الله تعالى لا يلقي لها بالاً، فاعلم أن الله تعالى لم يرد به خيراً ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

١٤ ـ مرة يقوم من أول ما تواجهه بالذكرى، ومرة يطرق لك، ولا ينتفع بشيء ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

١٥ ـ إذا رأيت من نفسك أنها لا تحتفل بما تسمع، فتعاهد قلبك، واحذر أن تكون من أولئك الذين لا خير فيهم ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

١٦ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ دعوة لاستقبال الحق، والفرح به، وتطبيقه في واقعك.

١٧ ـ الاستجابة للوحي حياة غير محدودة بشيء ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

١٨ ـ الذين لا يستجيبون لله تعالى مهددون بهذه الخواتيم ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ كم من متأخر عرضت عليه الهداية فرفضها، ثم جاء يبحث عنها فلم يوفَّق لها.

١٩ ـ الفرص تعرض وتلوح، وقد لا تتكرر ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٢٠ ـ المنكر إذا وقع في مساحة، وتراخى المصلحون عن إنكاره، أتى على كل شيء ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾.

٢١ ـ ما أعظم أثر المصلحين في الواقع الذي يعيشون فيه ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ يقفون دونه ودون الهلاك العام الذي يصيب مكانه ومساحته.

٢٢ ـ التخلي عن أدوارنا الحقيقية مؤذنٌ بالفساد في الأرض ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾.

٢٣ ـ الصالحون لا يستطيعون دفع المنكرات، ولا يستطيعون كذلك دفع الهلاك النازل بهم في تلك اللحظات ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ قالت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها: أنهلك يا رسول الله وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث»[1].

٢٤ ـ إذا خلا المجتمع من المصلحين فلا تسل عن ما يلحقه من الفجائع ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾.

❀ ❀ ❀

(١) رواه البخاري رقم (٣٣٤٦) ومسلم رقم (٢٨٨٠).

وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن
يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا
تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ
أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل
لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ
ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ
خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ
سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ
ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ
مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا
بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ
وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾

التفسير

• ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ﴾ أحوالكم ﴿إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قليل مقهورون تحت غيركم ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ يأخذونكم ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾ أسكنكم المدينة ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ﴾ على أعدائكم ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ النعم التي أنعم بها عليكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ لله تعالى فتقومون بواجبه.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ بترك أوامرهما وارتكاب نواهيهما ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾ أن الخيانة محرمة عند الله تعالى ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ اختبار وابتلاء من الله تعالى.

• ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨﴾ لمن رعى حق الله تعالى فيها، وقام بواجبه تجاهها.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ علماً ونوراً وهدى، تفرقون به بين الحق والباطل ﴿وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ يمحوها ويزيل أثرها ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ يستر ذنوبكم فلا يؤاخذكم بها ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ الكبير.

• ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعدون العدة ﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾ يحبسوك ﴿أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَ﴾ من أرضك ﴿وَيَمۡكُرُونَ﴾ يدبرون ذلك ويعدون له ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ﴾ فيدبر خلاف ما يريدون ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ أقواهم وأشدهم.

• ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ﴾ تعنتاً ومكابرة ﴿قَدْ سَمِعْنَا﴾ ما يتلى علينا ﴿لَوْ نَشَآءُ﴾ لو نريد ﴿لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ لجئنا بمثله لا فرق ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ أكاذيبهم وحكاياتهم.

• ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ القرآن ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فعاقبنا على إنكاره وعدم العمل به برمينا بحجارة من السماء ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ شديد.

• ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿فِيهِمْ﴾ بينهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ لأن الاستغفار أمان لهم من العذاب.

التدبر

١ ـ ذكر النعم موجب لرعاية حقوقها ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

٢ ـ إذا رزقك الله تعالى نعمة فَارْعَ حقَّها، وقم بواجبها، واشكر الله تعالى أن أسدى إليك نعيماً في زمن حاجة ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

٣ ـ التخلف عن القيام بواجبات الله تعالى وحقوقه خيانةٌ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

٤ ـ كم من أمانة أُلقي بها على عاتق صاحبها وهو لا يشعر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

٥ ـ الأسرة، والوظيفة، والمشروع، والكلمة، والجاه، والسلطان، والمسؤولية، والقلم، والعلم، أمانات يجب أن يُعرف لها حقها، وبذلك يتخلّص العاقل من تبعاتها قبل حلول آثارها عليه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٦ ـ كم من مشغول بمساحة غير مساحته، وأمانة ليست له، ومكانة ليست من شأنه، وقد ترك أماناته لم يصنع فيها شيئاً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٧ ـ كم من ولد فتح لوالده مشاريع تخلّد ذكره، وكم من مال فتح لصاحبه آمالاً لم تكن له على بال ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ وهي دلائل على عقل صاحبها وتوفيقه في استثمارها في مرضاة الله تعالى. وكم في المقابل من ولد ومال جرَّ على صاحبه ويلات الدارين ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾.

٨ ـ إذا فتح عليك ولدك طريق سوء، أو جرَّك مالُك إلى مساحات ظلام، فتلك الفتنة التي حذّر منها الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾.

٩ ـ رأيته في حفل زفاف بنته يشترط لها مطربة، وفي ليلة زفاف ولده يجلب أوضاعاً مؤسفة، وتلك بعض الفتن التي وقع فيها صاحب الولد والمال ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾.

١٠ ـ سعى لولده في وظيفة، ودفع من الرشاوي حتى بلّغه مناه، فلا ولده سعد به في النهاية، ولا ماله الذي غش به المسلمين ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾.

١١ ـ إذا أردت بصيرة من رأي فلا تبرح أصحاب التقوى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ تلك بعض فواتح التقوى عليهم.

١٢ ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ هذه بعض آثار التقوى في حياة أصحابها.

١٣ ـ كل من حمل قضيةً، وفكرةً ممتعة، ومشروعاً بهيجاً ترصّد له العدو في منتصف الطريق ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

١٤ ـ إذا كنت هملاً بلا غاية ولا مشروع ولا هدف، فلن ينشغل بك أحدٌ من العالمين ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

١٥ ـ ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

فإمَّا حياةٌ تَسُرُّ الصَّديقَ وإمَّا مماتٌ يُغِيظُ العِدَا

١٦ ـ من الغبطة التي تستحق شكراً أن تنام على سريرك في مساحة من الأرض لا تعدو متراً، ويبيت العدو في الدنيا يرقب نومك، ويخشى يقظتك ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

١٧ ـ إذا بلغت الغفلةُ مبلغها من قلب إنسان، فلا تستغرب كلَّ ما يتفوّه به لسانه من الضلالات ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ

إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

١٨ ـ قريب إلى حد كبير ما يردده المنافقون في مثل زماننا من مثل هذا المعنى ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

١٩ ـ قال أحدهم ذات مرة عن العلماء: هم رجال ونحن رجال ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

٢٠ ـ الجرأة على الله تعالى لا حدَّ لها ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

٢١ ـ هذه بعض آثار الاستغفار ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

٢٢ ـ داوم على الاستغفار تكن على مأمن من عذاب الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ
لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ
حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ
﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ
عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟
يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ
وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا
يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ
نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

التفسير

• ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ كيف لا يعذبهم ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يمنعون المسلمين من دخول المسجد الحرام ﴿وَمَا كَانُوٓاْ﴾ أي المشركون ﴿أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ أي أولى بالمسجد ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ﴾ أولى الناس به وأحقهم فيه ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ المؤمنون ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ حكم الله تعالى.

• ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً﴾ صفيراً ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ تصفيقاً ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ بسبب كفركم.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ليصدوا الناس عن دين الله تعالى ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ في ذلك الطريق ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿حَسْرَةً﴾ ندامةً وذلّاً وعاراً ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ يُهزمون ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ يجمعون يوم القيامة فيها ويعذبون.

• ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ﴾ يفرّق ﴿ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ فيجعل كل واحد منهما على حدة ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ يجمع بعضه على بعض ﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ يوم القيامة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ في الدارين.

• ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾ عن كفرهم ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ ما قد مضى ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إلى كفرهم ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ في إيقاع العذاب على كل مكذّب.

• ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ شـركٌ وصـدٌّ عـن سـبيل الله تعالى ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ لا شريك له في شيء ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ ﴾ عن الشرك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ لا يخفى عليه من ذلك شيء.

• ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ أعرضوا ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ هو الذي يلي أموركم ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ الذي يتولى أوامركم ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾ المعين.

التدبر

١ ـ الصد عـن دين الله تعالـى موجب لعذابـه ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٢ ـ التخويف من الاستقامة والتهويل من طريقها جزء من منهج الصدِّ عن دين الله تعالـى ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٣ ـ من خذلان الإنسان أن يستخدم لسانه وقلمه ومكانته في صد الناس عن دين الله تعالـى ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٤ ـ كيف يلقى الله تعالى إنسانٌ نذر وقته للصد عن دين الله تعالى، وحَرَفَ كثيرين عن منهج الله تعالـى ورسـالته ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٥ ـ بعض الغوغائيين سمعوا بالإرهاب، وكلّما رأوا سنَّة يعمل بها شاب شغّبوا عليه باسم الإرهاب، فكيف يجيبون ربهم غداً عن ما صنعوا في مثل هذه الصور! ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

٦ ـ حتى الصورة الإعلامية التي تشارك في بثها، أو الخبر الذي تعيد تغريده، إذا كان في هذا السياق فأنت أحد الشركاء ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

٧ ـ يا أهل الكفر والضلال والنفاق! هذه الآية نافذة على حسراتكم في الدارين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

٨ ـ هذه الحقيقة الضخمة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ كافية في بث روح الفأل والأمل والحياة في قلوب العاملين والداعين والمجاهدين في سبيل الله تعالى.

٩ ـ كل المعارك التي يديرها العدو مع المسلمين هي في النهاية للخسران ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ وهي دعوة للحراك والعمل، ومواجهة العدو في كل مساحة، وعدم اليأس والقنوط مما يصنع.

١٠ ـ من مقاصد هذه الأحداث التي يدبر الله تعالى شأنها في الواقع تصفية الصف، وإبانة الطيب من الخبيث ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

١١ ـ إذا رأيت حرباً اندلعت في مساحة من الأرض، فاعلم أن هذه بعض غاياتها ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ وإذا طال زمن تلك الحرب، فاعلم أنه لم يتحقق ذلك القصد الكبير بعد.

١٢ ـ سعة رحمة الله تعالى ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ رغم كل الذي صنعوه ما زالت رحمة الله تعالى تهتف بهم إلى حياضها.

١٣ ـ مهما بلغت خطيئتك ووزرك وأحداث السوء في حياتك، فثمة نافذة مطلّة بك على أبواب الأمل والفأل، وأيام الربيع في حياتك ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

١٤ ـ هذه النافذة ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ أكثر النوافذ سوءاً في حياة الشيطان.

١٥ ـ لا تيأس مهما كانت سيرتك التي مضت ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

١٦ ـ يجب ألا تتوقف راية الجهاد يوماً ما، حتى تتحقق تلك الغايات الكبار ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾ وليس بالضرورة أن تكون راية الجهاد المراد إعلاؤها راية السيف، وإنما الراية التي تحقق للأمة المقاصد المشار إليها، سواء كانت راية الدعوة، أو التعليم، أو غيرها من الرايات.

❀ ❀ ❀

۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن
كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ
ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذۡ أَنتُم
بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ
مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن
لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ
بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ
﴿٤٢﴾ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ
كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ
ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ
ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ
كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾

التفسير

• ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾ ما أخذتم ﴿مِّن شَيۡءٖ﴾ من أموال الكفار قهراً في الجهاد في سبيل الله تعالى، فإنه يقسّم خمسة أخماس، أربعة أخماس منها تُقسّم على المجاهدين، والقسم الباقي يقسّم خمسة أقسام ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ خمُسٌ لله ورسوله ﷺ، يصرف في مصالح المسلمين العامة ﴿وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ وخمس لذوي القربى، وهم قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ وخمس لليتامى، وهم كل من فقد أباه وهو صغير ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ وخمس للمساكين، وهم كل محتاج للمال ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وخمس للغريب، المنقطع عن بلده ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ فمقتضى الإيمان أن يصرف في ذلك ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ محمد ﷺ من الآيات التي نُصر بها ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ يوم بدر ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ جمع المسلمين وجمع الكافرين ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾ لا يغالبه شيء.

• ﴿إِذۡ أَنتُم﴾ أيها المسلمون ﴿بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ جانب الوادي الأقرب للمدينة ﴿وَهُم﴾ المشركون ﴿بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ﴾ جانب الوادي الأبعد من المدينة ﴿وَٱلرَّكۡبُ﴾ عير قريش التي خرجتم لها ﴿أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ مما يلي ساحل البحر الأحمر ﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ﴾ أنتم وهم على اللقاء ﴿لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ﴾ لما حصل لقاؤكم كما تريدون ﴿وَلَٰكِن﴾ جمعكم الله تعالى ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ مقدَّراً في الأزل ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ﴾ يموت على الكفر ﴿عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾ حجّة واضحة

لا لبس فيها ﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ ﴾ ويعيش من عاش ﴿ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ حجة واضحة ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ ﴾ للأقوال ﴿ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ بالأفعال.

• ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾ أي إن الله تعالى أرى رسوله ﷺ في منامه المشركين وأن عددهم قليل ﴿ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا ﴾ أي لو أراك المشركين كثير ﴿ لَّفَشِلْتُمْ ﴾ لضعفتم عن مقابلتهم ﴿ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ اختلفتم في قتالهم ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ﴾ من هذا النزاع والخلاف ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ بما فيها من ثبات أو جزع وخوف.

• ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ ﴾ أي الأعداء ﴿ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ ﴾ في المعركة ﴿ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ ﴾ حال القتال ﴿ قَلِيلًا ﴾ فئة بسيطة ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ فيرونكم عدداً قليلاً ﴿ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ ﴾ بذلك ﴿ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ مقدّراً ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ في آخر الأمر ونهايته.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ طائفة من الكفار ﴿ فَٱثْبُتُوا۟ ﴾ لقتالها ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ اشتغلوا بذكر الله تعالى ﴿ لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ تصلون إلى مطلوبكم وتنالون ما تتمنون.

١ ـ كمال هذه الشريعة وبيانها لكل شيء يحتاج إلى بيان ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ ولا يمكن لسائل إلَّا ويجد في الشريعة جواباً لسؤاله مهما كان ذلك السؤال.

٢ ـ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومن قدرته تعالى صناعة الأحداث التي جمعت بين الفريقين من غير ميعاد، وإيقاد كل ما يشعل هذا اللقاء، وإدالة المسلمين على الكافرين، وتحقيق آمالهم، رغم قلة عددهم، وخروجهم للعير وليس للنفير.

٣ ـ إذا أراد الله تعالى شيئاً أجراه، ولو كانت كل الأسباب لا تؤدي إليه ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾.

٤ ـ لله تعالى حِكَمٌ كبرى في كل حادثة يدبرها الله تعالى في الأرض ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾.

٥ ـ إذا رأيت هيعة في مساحةٍ ما، فاعلم أن لله تعالى فيها شأن ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾.

٦ ـ ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ

فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ لتعلم أن الله تعالى إذا أراد شيئاً بسط له الكون، ويسّر أمره، وقال له: كن فيكون.

٧ ـ في مرّاتٍ كثيرةٍ نتكلم عن الأسباب والدواعي، ويفوتنا مراد الله تعالى من إجراء تلك المشاهد ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾.

٨ ـ الثبات الثبات يا أهل الإيمان، فالله ناصرٌ دينه ومعلٍ كلمته ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ اثبتوا على استقامتكم، وقيمكم، ومشاريعكم، وإياكم والتخلف وهناً لقوة عدوكم، أو خوفاً من أحداث زمانكم.

٩ ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ فاثبتوا في ساحة المعركة التي تديرونها بالسنان، أو القلم أو المجادلة، أو أي وسيلة تنشرون بها دين الله تعالى.

١٠ ـ الثبات ألّا تولي ظهرك من ساحة المعركة أياً كان شكل هذه المعركة التي تديرها مع العدو، وألا تتخلى عن تلك المساحة حتى يأذن الله تعالى بنصره الكبير ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

١١ ـ إدامة ذكر الله تعالى مؤذن بالنصر والفلاح ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

١٢ ـ هذه العلاقة بين الثبات في أرض المعركة وإدامة الذكر علاقة تحتاج إلى قراءة متأنية واعية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

١٣ ـ الذكر المشار إليه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ليس المقصود به هذا الذي يردده اللسان وصاحبه غافل عن معناه، أو الذي يدير صاحبه به حبات سبحته وهو لا يعي، وإنما يريد ذكر الله تعالى الباعث على التوكل، والثقة بوعد الله تعالى ونصره وتمكينه من عدوه.

❀ ❀ ❀

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ
وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ
خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ
ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ
عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ
أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْۗ
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ
تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾
كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

التفسير

- ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما يأمرانكم به وينهيانكم عنه ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ تختلفوا ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾ تضعفوا وتجبنوا عن اللقاء ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قوتكم ونصركم ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ على ما تلقون في سبيل الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بتأييده وتوفيقه.

- ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ يعني قريش ﴿بَطَرًا﴾ كبراً ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ مراءاةً للناس، وطلباً لثنائهم ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن دينه ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ لا يغيب عنه من عملهم شيء.

- ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ حسّنها ﴿وَقَالَ﴾ الشيطان ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ لكثرتكم وهيبتكم ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ ناصركم ومعينكم ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ فئة الإيمان وفئة الشرك والكفر ﴿نَكَصَ﴾ الشيطان ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ رجع مدبراً وولى هارباً ﴿وَقَالَ﴾ الشيطان ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾ متبرئ منكم لا علاقة لي بكم ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ الملائكة المؤيدة للمسلمين ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ أن يأخذني بمشاركتكم ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ على من خالف أمره.

- ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شكٌّ وشبهة ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المسلمين ﴿دِينُهُمْ﴾ فأوردهم المهالك، وقتال من لا قدرة لهم على قتاله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يفوّض أمره إليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا غالب لأمره ﴿حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ في تدبير أمره وقدره.

• ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لو ترى حين تقبض الملائكة أرواح الكفار ﴿يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ﴾ ما أقبل منهم ﴿وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ ما أدبر منهم ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٥٠﴾ العذاب الشديد المحرق.

• ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي هذا العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٥١﴾ لا ينقص حسناتهم ولا يزيد في سيئاتهم.

• ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ كعادتهم ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ وعادة من قبلهم ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بالعقاب ﴿بِذُنُوبِهِمۡ﴾ بسبب ذنوبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ﴾ لا يعجزه مخلوق ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٥٢﴾ على من أوقعه عليه.

التدبر

١ ـ الخلاف والنزاع مورد كبير للفشل والإخفاق ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ أياً كانت صورته ومساحته، سواء كان في أسرة، أو مشروع، أو في مجتمع، أو على مستوى دولة وأمة.

٢ ـ التعصب للأفكار والآراء والأحزاب والجماعات يورث في النهاية هذا الداء العضال ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾.

٣ ـ الائتلاف والاجتماع مورد كبير للنجاح والفلاح في الدارين ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾.

٤ ـ الصبر سبيل لتكوين بيئة الاجتماع، ومن تخلّق بهذا الخلق أتى على موارد كثيرة من الخيرات ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

٥ ـ في الأعمال الجماعية بالذات، يحتاج الإنسان إلى جرعة كافية من خلق الصبر، تعينه على تجاوز الخلاف، وجمع الكلمة، والوصول إلى غايات ذلك الاجتماع ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

٦ ـ حين تتحوّل النعمة إلى باب شر على أصحابها ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾.

٧ ـ الكبر والبطر من أعظم أسباب الخذلان ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾.

٨ ـ لا تعجب حين تراه على الباطل، ويشعر بفخر وعلو في ذلك الطريق، تلك بعض آثار الشياطين ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

٩ ـ الزينة أخطر أساليب إبليس، وأكثرها تأثيرها في رحلة مشاريع السوء في حياة أصحابها ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

١٠ ـ حذّروه، وبينوا له خطر ما هو فيه، وذكروه بأن يدرك نفسه قبل الفوات، وكأنهم لم يقولوا له شيئاً ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ

ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

١١ ـ كل ما تراه خلاف الأدب والذوق والعقل والجمال في حياة إنسان، فاعلم أن الشيطان سبقك إليه، وأوحى إليه ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

١٢ ـ بعدما يصنع لك كل شيء يوقفك في النهاية على مواقف الخذلان ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

١٣ ـ ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ كيف يبدأ؟ وكيف ينتهي بك؟ آية كاشفة لما يصنع الشيطان بالعبيد!

١٤ ـ الشماتة بأهل الحق، والتربص بهم، والفرح بما يصيبهم: بعض مظاهر النفاق في حياة أصحابه ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾.

١٥ ـ انتظروهم ساعة الأزمات فهم لا يقولون إلّا كما قال هؤلاء، رغم فارق الزمن، تشابهت قلوبهم ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾.

١٦ ـ كن حراً، أثناء ناعق النفـاق، لا تلتفت إلى مخلوق ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

١٧ ـ من تمام التوكل ألا تُلقي لشائعات النفاق بالاً ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

١٨ ـ هـذه نهايات المتخلفيـن عن الحـق ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾.

١٩ ـ إذا بسـط لك حضارته فذكّره بمستقبله ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾.

٢٠ ـ مسـاكين! ليتهـم أدركوا أنفسـهم قبل الفـوات ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾.

٢١ ـ التاريخ باسط صفحاته بشـواهد الضالين ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾.

٢٢ ـ ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ ليست في شأن آل فرعون فحسب، وإنما هي في شأن كل والغ في الذنب، غير معتبر بواعظ القرآن.

٢٣ ـ من كمال توفيق الله تعالى لعبده أن يحول بينه وبين الذنوب ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

٢٤ ـ كل خذلان حل بإنسان كانت الذنوب صاحبة الراية في ذلك ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

❀ ❀ ❀

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا
بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ
شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾
ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ
وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ
خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ
خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا
يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم
مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ
ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ
وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا
تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى
ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾

التفسير

• ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً﴾ من استقامة وصحة وعافية ورزق وأمن ﴿أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ ألبسهم إياها ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ فيعصون الله تعالى ويخالفون أمره ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ بأفعالهم.

• ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ كعادتهم ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وكعادة من قبلهم ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ حين جاءتهم ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ بسبب ذنوبهم ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ في البحر ﴿وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ لأنفسهم.

• ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ وهي كل ما يدب على الأرض ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أخبثها وأشدها سوءاً ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ بالله تعالى.

• ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ أخذت منهم عهداً ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ لا يوفون به ﴿فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾ في كل وقت ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ الله تعالى فيما يفعلون.

• ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ﴾ فإن أدركتهم في الحرب ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ فَرّقْ بقتلهم والتنكيل بهم مَنْ خلفهم مِنَ الأعداء ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي مَنْ خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ ما حل بغيرهم فيعتبرون.

• ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ فإن كان بينك وبين قوم عهد وميثاق، فخفت خيانتهم للعهد ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ ارم إليهم عهدهم، وأخبرهم أنه لا عهد بيننا وبينكم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ على طريق مستوية، فتخبرهم لتستووا

أنتم وهم في العلم، بأنه لم يعد هناك عهد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ ومن ذلك نقض العهود والمواثيق فهو خيانة.

• ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟﴾ فاتوا وأفلتوا من الله تعالى ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ لا يفوتون الله تعالى.

• ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم﴾ للكافرين ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ وهي كل ما يتقوى به في الحرب ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ ومن الخيل التي تُربط في سبيل ذلك ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ تخوفونهم بذلك ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ من اليهود والمنافقين ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قليلاً كان أو كثيراً ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أجره يوم القيامة ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ لا تنقصون.

• ﴿وَإِن جَنَحُوا۟﴾ أي الكفار مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ للصلح وترك القتال ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ أجبهم إلى ذلك ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فوّض أمرك إلى الله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ بأفعالهم.

التَّدَبُّر

١ ـ إذا أحل الله تعالى عليك نعمة، فلن يسلبها منك إلّا بعدوان من نفسك ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾.

٢ ـ إذا ألبسك الله تعالى حلل العلم، أو منَّ عليك بصلاح قلب، أو وفرة مال، أو صلاح زوجة وذرية، أو وظيفة، أو أثر وتأثير في واقعك، أو نجاح مشروع؛ فإياك

ومبدِّدات هذا النعيم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾.

٣ ـ جاء متندماً يقول: كنت أشعر برواء الطاعة، وفيض الذكر، وبركة الوقت، واستقرار الأسرة، ونماء المال، ولم يبق من ذلك شيء، تلك آثار الذنوب في ساعة الغفلات يا صاحبي ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾.

٤ ـ كم من خبيئة صالحة أفاضت على صاحبها غيث النعم! وكم من خبيئة سيئة اجتاحت نعيماً باسطاً في زمن! ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾.

٥ ـ والله ما زالَ نعيمٌ بعد حلوله إلّا بمعصيةٍ في ساعة غفلة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾.

٦ ـ ثمة أناس يشعرون بأدنى تغيير، ويسارعون بتوبة، وآخرون لا يحسون بشيء (ما لجرح بميت إيلام) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾.

٧ ـ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ صفحة مطوية في أحداث التاريخ.

٨ ـ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ رسالة في أن السائرين على الطريق نفسه موعودون بالنهايات نفسها.

٩ ـ الكافر أخبث وأشر خلق الله تعالى ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

١٠ ـ مهما بلغ سعي الإنسان إذا لم يؤمن بهذا الوحي ولم يهتد بأثره، فلا قيمة له في شيء ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

١١ ـ الإسلام يبني حضارة الأمم ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ يؤكّد على عدم نقض العهود، وحتى إذا خاف نقضها من قبلهم نبذ عهدهم إليهم، وتخلى عن تبعات تلك المسؤوليات.

١٢ ـ الذي لا يعرف الإسلام لم يقرأ هذا المعنى بإمعان ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

١٣ ـ حين لا تجدي العهود، ويسطون على نقضها؛ فللإسلام كلمة ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

١٤ ـ حين لا تنفع الحسـنى، فسـوط الحق أبلغ من كل بيان ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

١٥ ـ مجرد الشعور بالمعركة دليل على حياة صاحبها ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

١٦ ـ الإيمان البارد لا يصنع حدثاً مثيراً في الأرض ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

١٧ ـ الشعور بالعدو، والاسـتعداد للمعركة، والإعداد للمواجهة ضرورة قصوى للحياة ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ

ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

١٨ ـ ثورة العلم التي يعيشها العدو لا تواجه إلّا بثورة مثلها ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

١٩ ـ التخصصات العلمية التي من شأنها إدارة المعركة مع العدو باقتدار، تستحق أن تدفع فيها ولأجلها أموال المسلمين دون تقاعس ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

٢٠ ـ من الوعي أن تدرس وتتعلّم، وتدير شأن أسرتك ووظيفتك ومالك ومسؤوليتك، وأنت ترى أن هذا جزء من الإعداد للمعركة الكبرى مع العدو ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

٢١ ـ رايات الجهاد باختلاف أنواعها وأشكالها أحق ما تدفع فيها الأموال ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

٢٢ ـ من أجل هذا المعنى ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ

يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

كان القاعدون لا ينفعون في مهمة، ولا يدفعون بلاء عن الأمة وهم كذلك.

٢٣ ـ في مرات كثيرة يكفينا أن يرفع العدو يده عن أرض النزال مستسلماً ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾.

٢٤ ـ يجب أن يعرف العالم كله أننا أمة سلام ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾.

٢٥ ـ كذب عليكم من قال لكم وأقنعكم أن الإسلام دين دماء ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾.

٢٦ ـ هذا هو ديننا حتى حين تكون له الغلبة ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ
بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا
فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ
وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ
يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ
ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ
بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ
لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا
وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ
ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾

التفسير

• ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ﴾ بالصلح، وهم مضمرون للغدر والخيانة ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ هو كافيك ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ﴾ قوّاك بذلك ﴿وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾ وقوّاك كذلك بالمؤمنين.

• ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ﴾ فاجتمعوا وتآلفوا ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ من أجل تأليف قلوبهم على بعض ﴿مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾ ما كان بوسعك أن تفعل شيئاً ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ بتوفيقه وعونه وإرادته ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾ لا غالب لأمره ﴿حَكِيمٞ ٦٣﴾ في تدبير أمره وخلقه.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ كافيك ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ وكافي من اتبعك من المؤمنين.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾ حُثّهم عليه، وشجعهم على المشاركة فيه ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ﴾ أيها المؤمنون ﴿عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ من الكفار ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي يكون الواحد من المسلمين بنسبة عشرة من الكفار، وهذا أول الأمر كان الفرض عليهم أن يثبت الواحد من المؤمنين أمام العشرة من الكافرين ﴿بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾ ما عند الله تعالى من الجزاء والعذاب.

• ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ﴾ في العدد ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ﴾ ولذلك شرع لكم التخفيف ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ فصار الواجب أن يثبت الواحد منكم أمام

اثنين من أهل الكفر بدلاً من عشرة، وصار المئة الصابرة منكم تغلب المئتين الكافرة، والألف الصابرة كذلك منكم تغلب الألفين من الكفار ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ يعينهم ويوفقهم ويؤيدهم.

• ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ لا يصلح ولا يليق ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ في غزوة بدر ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يبالغ في قتل الكفار مبالغة تضعف شأنهم، وتقطع دابرهم، فإذا حصل ذلك وتحققت هذه المصلحة فلا بأس بعد ذلك بالأسر والإبقاء مقابل الفداء ﴿تُرِيدُونَ﴾ في اختياركم الأسر ﴿عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ نفعها ومتاعها ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ بإعزاز دينه ونصر أوليائه، وقتل أعدائه ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا غالب لأمره ﴿حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ في تدبير أمره وشأنه.

• ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ به القضاء والقدر لأهل بدر أن الله تعالى يحل لكم الغنيمة، وأنه لا يضل قوماً بعد إذ هداهم، وأنه لا يعذب أحداً شهد هذه الغزوة ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ من مال فداء عن هؤلاء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ شديد.

التَّدَبُّر

١ ـ كونوا مع الله تعالى وسيجري لكم الحياة ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

٢ ـ لا تضرك خيانتهم، سيتولى الله تعالى شأن الخائنين ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

٣ - إذا أراد الله تعالى بعبده خيراً بسط له موارد التوفيق ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾.

٤ - بذل السبب الممكن مع الصدق كافٍ في مد مساحات الربيع في حياتك ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾.

٥ - صدق التوكل صانع لصاحبه ما يريد ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ في كثير من مواقف الحياة لا تحتاج سوى توكلاً صادقاً، ويتولى الله تعالى شأنك كما تريد.

٦ - من القادة من يصنع واقعه كما يريد ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

٧ - المعارك وساحات الجهاد بأنواعها المختلفة والمشاريع الحية، لا تقوم إلّا على صُنّاع الحياة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

٨ - لم أر بعد مجتمعاً ناهضاً، ومشروعاً مثيراً، وساحة ربيع إلّا وخلفها قادة علقوا أحلامهم بالسماء، فتهادت الأحلام إلى واقعهم كما يشاؤون ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

٩ ـ الصبر في البدايات مؤذن بالحياة الكبرى في النهايات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

١٠ ـ الشـريعة لا تحابي أحداً مهما بلغ مقامه، المنهج أولاً وقبل كل شيء ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾.

١١ ـ الأخطاء العامة لا يصلح تصحيحها سـرّاً مراعاة لمقام صاحبها، تحتاج إلى العلانية ذاتها ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾.

١٢ ـ من حق الكبار أن يجتهدوا، ومن حق المنهج أن يقيم اجتهادهم على الجادة، ويعرّضه لكير الحقيقة ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾.

١٣ ـ الكبار بشـر تخفق قلوبهم للعاجلة ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾.

١٤ ـ المكاسب العاجلة رغم بهجتها لا تحقق للإسلام في بعض الأحيان أحلامه وآماله ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾.

١٥ ـ الإسلام لا يحتفل بالمكاسـب حتى يبني قاعدته، ويؤسس منهجه باقتدار

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾.

١٦ ـ تأجيل بعض المكاسب وعي وفقه بضرورة مراحل البناء ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾.

١٧ ـ الذين عاشوا على الكفر زمناً ليس من الحكمة الاكتفاء بأسرهم، حتى يروا دماء الباطل تسيل على الأرض ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾.

١٨ ـ ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ ماذا لو قيلت هذه لمصلح، وصاحب مشروع، يظن أن له سابقة فضل في دين الله تعالى! ما أحوجنا لصدع الحقائق المباشرة.

١٩ ـ العاطفة لا تصلح في البناء إلّا حين يأخذ مساحته الكافية باقتدار ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾.

٢٠ ـ بعض الأخطاء تستحق أن تواجه بهذا الردع الزاجر، حتى لا تتكرر ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾.

٢١ ـ ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ تسلية لأحداث تلك الواقعة، ودعوة لاستلذاذ نعيم الأحداث في النهاية، وتفريج لِكُرَبِ الحزن التي حلت بالمجتهدين.

❀ ❀ ❀

فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى
قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ
مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن
شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا
عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ
وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم
مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟
مَعَكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

التفسير

• ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ﴾ من الفداء الذي أخذتم من الكفار والغنائم التي حصلتم عليها ﴿حَلَٰلٗا﴾ لكم تأكلوه ﴿طَيِّبٗا﴾ لذيذاً هنيئاً ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٞ ٦٩﴾ بالمؤمنين.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ من غزوة بدر ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ من قصد الخير وإصلاح النية ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ يعوضكم خيراً من الفداء الذي دفعتموه ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ شرككم ومعصيتكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٞ ٧٠﴾ بالمؤمنين، وهذه الآية نزلت في العباس عم رسول الله ﷺ وأمثاله، وقد ادعى أنه مسلم قبل ذلك، فلم يُسقطوا عنه الفداء فأنزل الله تعالى هذه الآية جبراً لخاطره وخاطر من معه على مثل حاله ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾ بمثل هذا الكلام ﴿فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ﴾ بالكفر وقتال رسوله ﷺ ﴿فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡ﴾ سلّطك عليهم وأذلهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبهم ﴿حَكِيمٌ ٧١﴾ في تدبير أمره وقدره.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله تعالى ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ في سبيل الله تعالى من مكة إلى المدينة ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ من أجل الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ﴾ المهاجرين من غربتهم يقصد الأنصار ﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾ رسول الله ومن معه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ﴾ المهاجرون والأنصار ﴿أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ في النصرة والمعونة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله تعالى ﴿وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ﴾ ليس عليكم موالاتهم ونصرتهم ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ استعانوا

بكم في قتال من قاتلوهم ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ القتال معهم ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ عهد فلا تفعلوا ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ يعلم كل شيء.

- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والمعونة ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي توالون المؤمنين وتعادون الكافرين ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ يختلط الحق بالباطل، والمؤمن بالكافر، ويترك الجهاد، وتقوى شوكة الباطل، ويضعف الدين.

- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿وَهَاجَرُوا۟﴾ إلى المدينة ﴿وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بأموالهم وأنفسهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟﴾ أسكنوا المهاجرين في دورهم ﴿وَّنَصَرُوٓا۟﴾ رسول الله ﷺ ومن معه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ الكاملون في إيمانهم، الصادقون في انتسابهم ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ خير كثير.

- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾ المهاجرون والأنصار ﴿وَهَاجَرُوا۟﴾ في سبيل الله تعالى ﴿وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ﴾ مع أهل الإيمان ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ لهم ما لكم ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾ القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في حكمه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾ لا يفوته من علم الكون شيء.

التَّدَبُّر

١ ـ إلى كل الذين لم يعرفوا الإسلام حق المعرفة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ يسلي المأسورين وهم الذين عاشوا عقبات في طريقه زمناً طويلاً ويعدهم بخير.

٢ ـ إذا كانت هذه أخلاق الإسلام مع العدو الذي عاش يطارده كل العمر؛ فكيف بالذين ولدوا فيه، وعاشوا من أجله، إذا عرض لهم في الطريق ما يسوؤهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾.

٣ ـ هذه حقائق الإيمان حين تتجلى في صناعة إنسان ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾.

٤ ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ درس في بيان حقوق الآخرين، وتنظيم حياتهم.

٥ ـ للعهود والمواثيق شأن في الإسلام، لا يحل استباحتها، أو نقضها، أو التهاون فيها بحال ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ وإذا كان هذا في الوفاء بعهود الكافرين؛ فكيف بعهود المسلمين والذين معك في الطريق ذاته.

٦ ـ إذا أبرمت عقداً، أو عهداً، أو وعداً؛ فإياك والتخلف عن الوفاء ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

٧ ـ بغض الكافرين وعداؤهم والبراءة منهم أصلٌ في منهج الله تعالى، وعقيدةٌ يتعبّد بها المؤمن ربه ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾.

٨ ـ من أكبر الفتن التي يتعرّض لها الإنسان في حياته الانحراف في المنهج ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾.

٩ ـ مسألة الحريات الشخصية إذا أصبحت في المنهج والمعتقد كانت فتنة في أرض الله، وفساد كبير في الحياة ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾.

١٠ ـ صلة الرحم، والإخاء، التي تجري بين المؤمنين كبيرة، وعظيمة في الإسلام، تستحق الاحتفاء ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ التَّوْبَةِ

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ
ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ
ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ
فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ
وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟
إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ
ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ
وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ
ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

التفسير

- ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ أي إن الله تعالى ورسوله بريئان من كل عهد تَمَّ مع الكفار؛ بسبب نقضهم لها، وعدم التزامهم بها ﴿فَسِيحُوا۟﴾ أيها المشركون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ مدة أربعة أشهر آمنين، ولا عهد لكم بعدها ولا أمان ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ أيها المشركون ﴿أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ لا تفوتون على الله تعالى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ مُذِلُّهم.

- ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ إعلام من الله تعالى ومن رسوله ﷺ للناس ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ يوم النحر ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ بريء كذلك من كل مشرك ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ أيها المشركون من الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وأفضل ﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان بالله تعالى ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ لستم بفائتين منه ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾ شديد.

- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ لم ينقضوا ما بينكم وبينهم من عهد ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ ولم يعاونوا عليكم أحداً من الكافرين ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ أوفوا لهم المُدَّةَ ولو كانت أكثر من أربعة أشهر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ الذين يجعلون بينهم وبين عذاب الله تعالى وقاية، ومن ذلك إيفاؤهم بالعهود والمواثيق.

- ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ التي حُرّم فيها قتال المشركين، وهي المُدَّةُ التي

أعطاهم الله تعالى إياها ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في أي مكان كان ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ ضيقوا عليهم ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ كل موضع من الأرض ﴿فَإِن تَابُوا﴾ من كفرهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أدّوها في أوقاتها ﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ أعطوها مستحقيها ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ اتركوهم وشأنهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمذنبين من المؤمنين ﴿رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ بهم.

- ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ طلب منك أن تجيره وتمنعه من الضرر ﴿فَأَجِرْهُ﴾ فاحْمِهِ من الأذى ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ حتى تُسمعه القرآن الكريم ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ ثم أوصله إلى مكان يأمن فيه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ عن الإسلام شيئاً.

التدبر

١ ـ يا لروعة هذا الدين وجماله، حتى وهو يتعامل مع الكافر، يتعامل بوضوح، ويمنحه مساحة كافية من التفكير في اتخاذ قراره قبل أن تبدأ رحلة الحرب من جديد ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾﴾.

٢ ـ كما أن الإسلام يُعنى بالعلاقة بين المسلمين؛ فهو كذلك ينظّم العلاقة الخارجية، ويبنيها على أساس من السلم والأمن ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾﴾.

٣ ـ البراءة من الكافر والمشرك أصل في كتاب الله تعالى، وعروة وثقى، وعقيدة صلبة، والإخلال بهذا المعنى قدح كبير في توحيد الإنسان ودينه ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾.

٤ ـ الوفاء بالعهود والعقود والمواثيق دين يجب أن يوفى بها مهما كان الواقع الذي يعيشه صاحبه ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٤﴾.

٥ ـ حتى العهود والمواعيد التي تجريها في بيتك، مع زوجك وولدك، وفي مقر عملك، مع زميلك وصديقك، وفي بيعك وشرائك دين يجب أن تأخذ حقها من واقعك كما أراد الله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٤﴾.

٦ ـ المفاصلة مع العدو ضرورة لإقامة معالم هذا الدين، وإحياء شعائره ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾.

٧ ـ لم يقم دين الله تعالى يوماً على أساسٍ هشٍّ، أو غير واضح المعالم مع الكافر ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ

وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ
سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾﴾.

٨ ـ الذين يأتون مستجيرين خائفين يسألون الأمان؛ فالإسلام يبسط لهم ذراعيه، ويستقبلهم، ويؤمِّنُ لهم كل شيء، ويعينهم على بلوغ حاجاتهم كما يريدون
﴿وَإِنْ أَحَدٞ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥۚ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٞ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾.

❀ ❀ ❀

كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ
رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا
ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ
﴿٧﴾ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا
وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ
فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن
سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرۡقُبُونَ فِي
مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن
تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي
ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓاْ
أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ
أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ۙ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ
﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ
بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ
أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾

التفسير

• ﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ محال أن يكون لهؤلاء المشركين عهد عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ وصدقوا في عهدهم ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ﴾ على العهد ولم ينقضوه ﴿فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡ﴾ على ما عاهدتموهم عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٧﴾ الذين يجعلون بينهم بين عذاب الله تعالى وقاية، ومن ذلك إيفاؤهم بالعهود والمواثيق.

• ﴿كَيۡفَ﴾ أي: كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ﷺ؟ ﴿وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ﴾ فتكون لهم الغلبة والسلطة في وقتٍ ما ﴿لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ﴾ لا يراعوا فيكم ﴿إِلّٗا﴾ قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةٗ﴾ عهداً وميثاقاً ﴿يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ بما يقولون لكم من كلام ﴿وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ﴾ ترفض وتخالف ما يقال لكم ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٨﴾ خارجون عن طاعة الله تعالى.

• ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ استبدلوا واستعاضوا بها ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ زهيداً رخيصاً من أعراض الدنيا ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ عن طريق الحق ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩﴾ ما أقبح عملهم وأسوأه.

• ﴿لَا يَرۡقُبُونَ﴾ لا يراعون ﴿فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا﴾ قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةٗ﴾ ولا عهداً ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ۝١٠﴾ المتجاوزون لحدود الله تعالى وحرماته.

• ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ من الكفر ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أدّوها كما أراد الله تعالى ﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أعطوها لمستحقيها ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ هم مسلمون مثلكم ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ نبيّنها ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝١١﴾ أحكام الله تعالى وأسرار شرعه.

• ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ ﴾ حلُّوها ونقضوها ﴿ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ عابوه وسخروا منه ﴿ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ القادة منهم ﴿ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَـٰنَ لَهُمۡ ﴾ لا عهود لهم ولا مواثيق ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ عن كفرهم ونكثهم للعهود والمواثيق.

• ﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُمۡ ﴾ نقضوها ﴿ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ ﴾ من وطنه ﴿ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ بنقض العهد ﴿ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡ ﴾ أتخافونهم؟! ﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ ﴾ تخافوه ﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ بالله تعالى.

التَّدَبُّرُ

١ - هذه عادات القوم وطباعهم، لا يكادون ينفكون عنها البتة ﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلًّا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ ومثل هؤلاء لا يمكن أن يكون لهم عهد عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ في شيء.

٢ - سعة هذا الدين ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ رغم كل ما صنعوه من معاداة دين الله تعالى ومعاداة أوليائه؛ ثمة مساحة لتوبتهم وغفران ذنوبهم من جديد.

٣ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ إن عادوا إلى نقض العهود، والطعن في دين الله تعالى، فقاتلوهم، وأعيدوهم للذلة والصغار.

٤ ـ الطعن في دين الله تعالى طريق لتوهينه في آذان السامعين، وهو حدث يستحق أن تدار الحرب من أجله ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾.

٥ ـ لا تشغل وقتك بالرد على كل جزئية يثيرها العدو، ركّز على مُحْكَمَاتِ دينك، وأدر شأنها بإحكام ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾.

٦ ـ في الردود خاصة اعتنِ بقواعد الفكرة، وأصول المعلومة، وانقضها من أصلها، تأتي على كل الفروع والأحداث التي يسربها العدو بعد ذلك بكل يسر وسهولة ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾.

٧ ـ العناية بالقواعد والأسس والجذور أضمن لنجاح مشروعك، وإيصاله إلى غاياته وأهدافه ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾.

❀ ❀ ❀

قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ
غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟
مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ
أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ
أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

التفسير

• ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ أي الكفار ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ بالقتل ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾ ويذلهم بالهزيمة والأسر ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ في نهاية الأمر ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ بقتل أهل الكفر والنصر عليهم.

• ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ ويذهب ما في قلوب أهل الإيمان تجاه الكافرين من غيظ ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ يوفقه للتوبة، وييسّر له طريق الحق ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ يضع الأشياء في مواضعها، ويعلم من يصلح للهداية ومن لا يصلح ﴿حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ في تدبير أمره وخلقه.

• ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟﴾ في الدنيا ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ في سبيل الله تعالى ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ بطانة ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ لا يغيب عنه من فعلكم شيء.

• ﴿مَا كَانَ﴾ ما ينبغي ولا يليق ﴿لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ بالعبادة والطاعة ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ وهم على الكفر بقولهم وفعلهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بطلت وفسدت ﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ لا يخرجون منها يوم القيامة.

• ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ بالعبادة والطاعة ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ مُقِراً بقلبه، ومصدقاً بجوارحه ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أدّاها كما أمر الله تعالى ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أعطاها لمستحقيها ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ولم يخف غيره ﴿فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ لطريق الحق.

• ﴿أَجَعَلْتُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ سقي الحجاج من زمزم ﴿وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ بالعبادة والطاعة فيه ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لرفع دينه وإعلاء كلمته ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في العمل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ لا يدلهم على الحق.

• ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿وَهَاجَرُوا۟﴾ من ديار الكفر إلى ديار الإسلام ﴿وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ أرفع منزلة وأعلى درجة ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ بما ينالون من نعيم.

التَّدَبُّر

١ ـ من مقتضيات العقيدة في قلوب أصحابها ألا يقيموا لبشر وزناً، ولا يحتفلوا به مهما كانت قوته الظاهرة ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

٢ ـ ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ أشعلوا شرارة المعركة، والله تعالى يتولى شأنها بعد ذلك.

٣ ـ في مرات كثيرة تكون المصلحة في إدارة الحرب ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

٤ ـ الابتلاء سنة جارية في حياة المؤمنين ما بقي الزمان ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

٥ ـ قضايا كثيرة لا يبرزها في حياة صاحبها إلّا البلاء ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

٦ ـ كير البلاء هو الذي يصفّي الذهب الخالص من المغشوش ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

٧ ـ قد يكون البلاء بسجنك من أجل فكرتك ومشروعك، وقد يكون بوظيفتك ومسؤوليتك، وقد يكون بمالك وجاهك، وقد يكون بابتلائك بمن يناهض فكرتك ويعارض طريقك، وقد يكون بأشياء لا تستبين أصلاً في طريقك إلّا مع الأيام ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

٨ ـ أهل الإيمان فحسب هم عُمّار المساجد، وصانعي أحداث الحياة فيها ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

٩ ـ إذا رأيته يتهادى للمسجد مع الأذان أو قبله، ويُجِلُّ شعائر الله تعالى، ويقيم شأن الصلاة، ويؤدي حقوق ماله؛ فذاك المؤمن الذي عناه الله تعالى في كتابه ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

١٠ ـ ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هذه صناعة العقائد فحسب!

١١ ـ إذا أردت أن تعرف قدر العقيدة في قلب صاحبها، فاعرضه على هذا المعنى، وانظر كيف هو فيه ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

١٢ ـ ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ إذا وجدت له تطبيقات كثيرة في حياة إنسان، فدعه يخوض تجارب الحياة كلها، وسينجح في النهاية باقتدار.

١٣ ـ مشكلة المفاهيم مشكلة مزمنة من فجر التاريخ إلى يومنا هذا ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾.

١٤ ـ الوحي يتولى تصحيح المفاهيم، وتجلية الغبش العارض فيها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

❀ ❀ ❀

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ
تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى
سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ
تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

التفسير

- ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ بفضلٍ وسعةِ رزقٍ ومزيدِ إيمان ﴿وَرِضْوَانٍ﴾ يرضى عنهم بسبب ذلك ﴿وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ خالد لا ينقص ولا يزول.
- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ لا يحولون عنه ولا يزولون منه ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ لكل مؤمن يوم القيامة.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أصدقاء وأولياء ﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ اختاروا ملة الكفر على ملة الإيمان ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ يجعلهم أولياء وأصدقاء ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ لأنفسهم.
- ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ قراباتكم ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ عدم رواجها ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ تحبونها ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ وأحب إليكم من الجهاد في سبيل الله ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ ما يقضيه فيكم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ الخارجين عن طاعة الله تعالى.
- ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ من مواطن الحرب بينكم وبين الأعداء ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ وفي غزوة حنين ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ فركنتم إليها ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ لم تدفع عنكم العدو ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ﴾ من الهم الذي نالكم والغم الذي حصل عليكم ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ على سعتها ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ هاربين.

• ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ طمأنينته ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فثبتهم بذلك ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ من الملائكة ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالقتل والهزيمة ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ مآل وعاقبة كل كافر بالله تعالى.

التدبر

١ ـ النجاح صناعة يكتبها أهل الإيمان ﴿الذين ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

٢ ـ كل فرد في الأمة يملك صناعةَ نهايتِهِ كما يشاء ﴿الذين ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

٣ ـ المنهج لا يحابي أحداً مهما بلغت مكانته وقرابته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

٤ ـ العبث بالقواعد والأسس خيانة، تعاقب عليها الشريعة، وتجعل صاحبها من الظالمين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

٥ ـ تقديم الدنيا بكل ما فيها على دين الله تعالى ورسالته مؤذنٌ بحلول عذاب الله تعالى وعقابه ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٦ ـ صور كثيرة وليست صورة واحدة تلك التي يقدم فيها الإنسان زوجته وولده وماله على دين الله تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ونال أصحابها على إثرها عواقب الحرمان.

٧ ـ كان مثيراً في مساحته، ويجهد في بناء أمته، ويوسّع في أثره حتى تزوّج ـ أو تزوجت ـ، ثم ودّعا حياة العمل والبذل لدين الله، واستقبلا ظلال البيوت ومساحات الربيع ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٨ ـ بقي في ساحات العمل زمناً، ثم فتح محلاً تجارياً ليتسلى فيه، أو ليأتي فيه بعامل، ثم استقبله، وترك العمل وراء ظهره، وعاد يجري في أحداث الدنيا، وتنازل عن كل شيء ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٩ ـ استقبال هذه المعاني فسق؛ وهو حقيق بأن يتنزّه عنه الكبار ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

١٠ ـ الاعتداد بالنفوس داءٌ موجبٌ للخذلان ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

١١ ـ الكبر والخيلاء والاعتداد بالكثرة والقوة المادية قضايا مؤذنة بالفشل والإخفاق ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

١٢ ـ ما أكثر عوائد القوى المعنوية في حياة فردٍ أو مجتمعٍ أو دولةٍ أو أمّة ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

١٣ ـ حتى النصر الذي تحقق بعد الفشل كان منّةً وتوفيقاً من الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾.

١٤ ـ كثيرة هي جنود السماء التي ينصر الله تعالى بها أولياءه، والسكينة التي تنزلت في حنين بعض مظاهرها في تلك المساحة ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦ ﴾.

١٥ ـ حتى الملائكة تنزل من السماء وتشارك في نصر أولياء الله تعالى وخذلان أعدائه ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦ ﴾.

١٦ ـ حتى لو استعدت قوى الكفر بكل ما تملك، فالله تعالى يدير مساحة الأحداث كما يشاء ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦ ﴾.

❀ ❀ ❀

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ
رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ
نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ
وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن
شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا
يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ
﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى
ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ
يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ
ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ
وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ
مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ
إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾

التفسير

- ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ مهما بلغ ذنبه وعظم جرمه، إذا تاب تاب الله تعالى عليه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ للذنوب ﴿رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾ بالناس.
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ نجاسة معنوية، لشركهم بالله تعالى، ومعصيتهم له ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ لا يدخلوه ﴿بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ سنة تسع للهجرة ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ﴾ أيها المسلمون ﴿عَيۡلَةٗ﴾ فقراً وحاجة من منع المشركين من دخول المسجد، وانقطاع ما كانوا يجلبون إليكم من الأطعمة والتجارات المختلفة ﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ فسيكفيكم الله تعالى من فضله ﴿إِن شَآءَ﴾ إذا أراد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ لا يغيب عنه من الكون شيء ﴿حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾ في تدبير خلقه وشأنه.
- ﴿قَٰتِلُواْ﴾ أيها المسلمون ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ إيماناً صحيحاً كما أراد الله تعالى ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ فيتبعون أمر الله تعالى في ذلك ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ﴾ الإسلام ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ اليهود والنصارى ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ وهي كل مال يفرض على الكفار المقيمين في بلاد المسلمين مقابل ألا يقاتلهم المسلمون ﴿عَن يَدٖ﴾ يدفعونها يداً بيد أذلة ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ ذليلون.
- ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ كذباً وافتراء، وعزير رجل من اليهود ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾ كذباً وافتراءً، وعيسى بن مريم النبي الكريم عليه السلام ﴿ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ﴾ بألسنتهم ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾

يشابهون ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ القائلين في الله تعالى بغير علم ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أهلكهم الله تعالى ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ كيف يُصرفون عن الحق.

• ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾ اليهود والنصارى ﴿أَحْبَارَهُمْ﴾ علماءهم ﴿وَرُهْبَـٰنَهُمْ﴾ وعبّادهم ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يُحلّون لهم ما حرم الله، ويحرمون عليهم ما أحل الله ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ أي اتخذه النصارى كذلك رباً معبوداً ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ تنزّه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ عن شركهم وتعالى عن فعلهم.

التدبر

١ ـ أياً كانت خطيئتك، حتى لو كانت الفرار من أرض المعركة إذا أقبلت عائداً معتذراً أعطاك الله تعالى ما تريد ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

٢ ـ من جماليات هذا الدين أنه يقبل العائدين إليه، ولو وقفوا سنين أمام أهدافه وآماله وأمانيه ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

٣ ـ ما كان لمشركٍ نجسٍ أن يحط رحاله في ربوع الطهر والشرف حتى يذعن للحق، ويعود مسلماً من جديد ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

٤ ـ لا شـيء أضر على الإنسـان من هذه الدنيـا ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ خافوا أن يكون في منع الكافر منعٌ للأرزاق التي كانت تأتي معه.

٥ ـ حتى الصحابة والكبار وحملة الرايات بالأمس كانوا بحاجة إلى التذكير بأثر مساحات الدنيا في قلوبهم ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

٦ ـ إذا أردت أن تجـري اختباراً لأي قيمة فاعرضها على كيـر الفتن والمواقف الكبار، ولا تغتر بأيام الأمن؛ فلا يكاد يبين لك منها شـيء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

٧ ـ الأحداث فترة مناسـبة لإعادة تأصيل العقائد والقيـم في النفوس من جديد ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

٨ ـ الأرض التي لم يستقر فيها الإسلام بعد تحتاج إلى بريق السيوف، حتى تتهيأ للإسلام، وتصبح صالحة لاستقبال آثاره في واقعها ﴿ قَٰتِلُواْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

٩ ـ الأرض التي يعيش فيها الإسـلام، إما أن يُجْلَى العدوُّ منها، أو يدفع الجزية راغماً ﴿ قَٰتِلُواْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ

وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟
ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

١٠ ـ العبيد لا يمكن أن يعيشوا إلّا على يد القهر والذل ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ
عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم
بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ
وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ يدعون إلى الحرية في عبادة الله
تعالى، ويأبون إلّا أسر الضلال وذل العبودية لغيره.

❀ ❀ ❀

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن
يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ
أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ
كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ
وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا
فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَظُهُورُهُمْۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ
تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ
أَنفُسَكُمْۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا
يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

التفسير

• ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ فيقضوا على الإسلام ويبطلوه ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بألسنتهم من خلال الكذب والافتراء ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ يمضيه ويتمه وينصره ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ رغم أنوفهم.

• ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ بالعلم النافع ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ لينصره ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ على سائر الأديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ رغم أنوفهم.

• ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ﴾ علماء اليهود ﴿وَٱلرُّهْبَانِ﴾ عُبّاد النصارى ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ حراماً لا يبالون ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن طريق الحق ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ يجمعونها ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ولا يقومون بحقها من الزكاة والنفقة منها في سبل الخير والبر ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ شديد.

• ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ على الذهب والفضة ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ كلّما بردت أحميت ثم أعيدت ﴿هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ بسبب كنزكم لها ﴿فَذُوقُوا۟﴾ العذاب ﴿مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ عاقبة ذلك ونهايته.

• ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ عدة شهور السنة ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ في

حكمه وقضائه ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ثابت علمها منذ خلق الله تعالى السموات والأرض ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ بإيقاع القتال وفعل المعاصي ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ جميعكم ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ جميعهم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ الذين يجعلون بينهم وبين عذاب الله وقاية، ومن ذلك قتال أهل الكفر.

التَّدَبُّر

١ ـ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ هذا أعظم مقاصد الكفار والمنافقين وأهل الضلال في كل زمان ومكان.

٢ ـ الإعلام مِنْ أخطر الوسائل أثراً، وأشدها تأثيراً في الحياة ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾.

٣ ـ إذا أردت أن تحيي فكرتك، وتدفع بمشروعك، وتقنع من حولك بأفكارك، فافتح نافذة في هذا الإعلام، وابدأ ببناء ما ترجوه من آمال ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾.

٤ ـ وإذا أردت أن تميت فكرة أو تجتثها من الأرض، أو تقف دون تمددها، فاجعل الإعلام طريقك إلى هذا المعنى الكبير ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾.

٥ ـ على الدعاة وأصحاب المشاريع وحملة الرايات أن يفقهوا هذا المعنى، وأن

يهبوا له من أوقاتهم وأفكارهم ما يعينهم على بلوغ تلك الغايات ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾.

٦ ـ من كان يظن أنه من خلال نافذة التواصل الاجتماعي، وفي مساحة محدودة من مكان يستطيع أن يتحدث الإنسان بفكرته إلى أقاصي الدنيا كلها! ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾.

٧ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ هذه هي الحقيقة الكبرى التي تواجه الأعداء في كل زمان ومكان.

٨ ـ يجب على الدعاة والمصلحين وأصحاب المشاريع ألا يبدؤوا حمل فكرة ناهضة، أو مشروع بهيج، إلَّا وسراج هذا المعنى في قلوبهم وأيديهم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

٩ ـ المكلومون من الواقع، واليائسون من النصر، والقاعدون عجزاً ويأساً أشد ما يحتاجون إلى قراءة هذا الوحي من جديد ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

١٠ ـ جزء من مشكلاتنا الكبرى، أننا نواجه العالم ببرامج ومشاريع ورؤى مقطوعة

الصلة عن هذا المعنى الكبير، فلا نكاد ننتفعُ منها ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

١١ ـ لفوات هذا المعنى من مشاعرنا وقلوبنا باتت برامجنا ومشاريعنا التي نقدمها فاقدةً لأكثر أدوات التأثير في الحياة ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

١٢ ـ في مرَّاتٍ كثيرةٍ يكفي قراءة هذا النص على قلوب ومشاعر المعارضين ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

١٣ ـ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ سنَّةٌ ربانيَّةٌ كونيَّةٌ إلٰهيَّةٌ لا تقبل التغيير والتبديل.

١٤ ـ والله لو زحف العالم بأسره لحرب الإسلام، لما حرّك في قلبي ساكناً، وهذا الوعد يصدح في مآذن المسلمين كل حين ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ

أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

١٥ ـ إن لم نكن أحراراً بهذا المعنى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وإلّا فلا مفروح بعيشنا على بساط هذه الأرض.

١٦ ـ رغم كل الظلام الدامس الذي نراه اليوم يغشى أرض العالم، إلّا أنَّ هذا النور ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ سيبدِّده ويعيد الحياة من جديد.

١٧ ـ هؤلاء هم القدوات في تاريخ اليهود ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وكل من اتخذ منصباً، أو مكاناً، أو جاهاً، أو مسؤولية، في واقع المسلمين، ولم يقم بواجبها فهو أشبه ما يكون بالقوم.

١٨ ـ في مرّاتٍ يقعدونك في وظيفة، ويحمّلونك مسؤولية، ويطعمونك مالاً لتكون عضواً فاعلاً في الباطل، وخصماً لدوداً لدينك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

١٩ ـ حين يقتات العالم من علمه غشاً، ويأكل به رشاوى المستضعفين ليفتي في مسألة، أو يتكلم برأي في قضية، أو يوقِّع على معاملة؛ فتلك قواصم النهايات

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

٢٠ ـ للعلم حياض، وله شرفات، وليس من حق الجبناء والغوغائيين أن يتسوَّروا محاريبه يوماً ما ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

٢١ ـ من أسوأ المواقف في تاريخ الأمة أن يعتليَ موقعاً مَنْ ليسَ أهله خاصة في قضايا العلم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

٢٢ ـ كم من تنازلات جرت على أيدي هـؤلاء من أجل لعاع الحياة العاجل! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

٢٣ ـ مساكين الذين لم يفقهوا دور المال في الحياة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

٢٤ ـ يموت العالم جوعاً في الطرقات، وهؤلاء يكنــزون مالاً لا حاجة بهم إليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ

جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

٢٥ ـ حين نعيش للحياة الدنيا فحسب؛ فتوقَّع كلَّ شيء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

٢٦ ـ تعظيم شعائر الله تعالى دليل تقوى في قلب صاحبها ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

٢٧ ـ إذا رأيته يجلُّ شعائر الله تعالى، ويتوقَّى فيها عن الحرمات، ويتحرج من فلتات حديثه فيها، فاعلم أنَّ هذا رُزِقَ توفيقَ الله تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

٢٨ ـ إذا وقف الباطل في وجه الحق، ولم يفسح له الطريق، فمن حق الأمة أَنْ تشاركَ في معركة إثبات الهوية ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ

ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

٢٩ ـ كلَّما زادت التقوى في قلبك كنت بهيجاً بتوفيق الله تعالى لك ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

٣٠ ـ أيها الصالحون رابطوا في رحاب هذا المعنى ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ تنالوا كلَّ أمانيكم في الحياة.

٣١ ـ التقوى صناعةٌ يملِكُها كل الناس، ومباهجها التي ينتظرون فوق كل أحلامهم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

❀ ❀ ❀

إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا
يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ
فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ
ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

التفسير

- ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾ ما يفعله المشركون من تأخير التحريم من شهرٍ إلى آخر بناءً على رغباتهم ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ زيادة على كفرهم ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من قبل رؤسائهم وكبرائهم، أو يكون سبباً في ضلال أهل الكفر زيادة على ضلالهم ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا﴾ يجعلون الشهر المحرَّم حلالاً في عام ﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ يجعلون الشهر نفسه محرَّماً في عام آخر ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾ ليوافقوا ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ بأن تكون أربعة أشهر ﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ بما يفعلون من التقديم والتأخير ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾ بمثل ذلك ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ لا يدلهم على الحق.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ جاهدوا في سبيل الله تعالى ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ تباطأتم وتكاسلتم ومِلْتُم إلى الإقامة بأرضكم، لا تخرجون منها ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ قدَّمتم نعيم الدنيا وملاذها على نعيم الآخرة ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ملاذها وما فيها من شهوات ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ شيء لا يذكر.

- ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟﴾ مجاهدين في سبيل الله تعالى ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ شديداً ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يكونون أفضل منكم جهاداً ونصرة ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾ بتكاسلكم وتقاعدكم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ لا يعجزه شيء.

• ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي محمداً ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ على عدوِّه ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من مكة بحصارهم له، وعدائهم لدينه ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ هو وأبو بكر الصديق ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ غار ثور ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ رسول الله ﷺ ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ أبي بكر الصديق ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره وتأييده ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ طمأنينته وتثبيته له ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الملائكة التي تحرسه ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وهي الشرك ﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾ المهزومة المغلوبة ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ الإيمان به تعالى ﴿هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ المنصورة الغالبة ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا غالب له ﴿حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ في تدبير قدره وشرعه.

١ ـ الأصل أن تكون الشريعة ضابطةً لتصرفات الإنسان وحاكمةً عليه وليست تبعاً يصرّفها كيف شاء ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

٢ ـ كل فرد، أو جماعة، أو أمة، تتحوّل الشريعة إلى يدها ورغباتها بدل قلوبها ومشاعرها فقد تودّع منها ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

٣ ـ العبث بالنصوص، وتحويرها لرغبات العالمين، وليُّ أعناقها مهمّةُ الأشقياء منذ زمن طويل ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ

عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

٤ ـ ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾ هي الخطة التي يمارسها إبليس مع كل من يبدأ معه جولة من المعركة.

٥ ـ كل الذين تراهم يمارسون المعصية، ويقعون في المخالفة، يخيّل إليهم بأنهم يمارسون دوراً زكياً، وقضية تستحق العناية والاهتمام ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾.

٦ ـ مهمة الشيطان الكبرى أنه يغمسهم في العمل، ويشعرهم بلذته، وينسيهم أخطاره ونهاياته في الختام ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾.

٧ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ رسالة في استنهاض الهمم ودعوة إلى المجد من أوسع الأبواب.

٨ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ عتاب وجداني للذين أخلدوا إلى الأرض مع الحاجة إليهم في أرض الحدث.

٩ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ يا له من نداءٍ يأخذ بأرواحنا ومشاعرنا، ويدعونا لعناق الآخرة قبل الفوات.

١٠ ـ ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سبيل الله تعالى هنا هو أرض المعركة التي يحتدم فيها القتال، وهي بحاجة إلى عتاد ورجال، ومساحات العلم التي تنتظر صاحب راية يثري واقع الآمال، وحلق التحفيظ، وميادين التربية التي هي في أمسّ الحاجة إلى صاحب مشروع.

١١ ـ النفرة في سبيل الله تعالى، والقيام بحقوق الله تعالى، ومناهضة الباطل في أرض المعركة، وحمل الأفكار الناهضة، والمشاريع الكبرى انفكاك من قيود الدنيا، وتخلي عن الشهوات، وفرار بالروح إلى عالم السماء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ والقعود والتخلي عن الواجبات، واتساع الفرجة في واقع صاحبها خلود للأرض، وانحطاط في عالم الشهوات، وانشغال بمتاع الحياة الزائل.

١٢ ـ كم من قارئ لهذه الآية وهو معنيٌّ بها، ولا تبرح ساحاته لحظة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾.

١٣ ـ ليت الذين تركوا حظوظهم من الدعوة والعمل والبناء، وتخلفوا لرعاية أموالهم، يعودون لقراءة هذا الآية من جديد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾.

١٤ ـ يا أيها المجهدون المتعبون في رحاب العمل والبناء، تكفيكم هذه السلوى التي يبعثها الله تعالى لكم في الختام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ

لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾.

١٥ ـ ساحات العمل ليست خياراً مفتوحاً لمن شاء، بل هي أمر واجب، والتخلف عنه يقتضي العذاب والاستبدال ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

١٦ ـ يجب عليك بذل وسعك وجهدك وطاقتك، وتوظيف قدراتك، ومهاراتك، وإمكاناتك، في سبيل دينك ورسالتك، ومشروعك الكبير في الحياة، وإلَّا كنت متوعَّداً بالعذاب على تخلفك ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

١٧ ـ إذا أعطاك الله تعالى شيئاً، ومنحك نعمةً، وأفاض عليك فضلاً وخيراً؛ فعليك أن تستثمرها في خدمة دينكَ، وإلَّا فالخسارة أكبر من التوقعات ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

١٨ ـ المؤسف أن دين الإنسان ورسالته ومنهجه لم يعد أولوية؛ فإذا ما حدَّثته عن القدرات والمهارات والإمكانات ينصرف بوجهه إلى ما ينجح به في الحياة بعيداً عن قضايا هذا الدين ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

١٩ ـ دين الله تعالى أكبر من أن ينتظر المتخلِّفين عن واجباته وأثقاله وهمومه، فهو يمضي بدونهم، ولا ينتظرهم في شيء ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

٢٠ ـ سل نفسك: أين أنت من واقع أمتك وتاريخ رسالتك؟! وستعرف أين أنت من الحياة ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

٢١ ـ إذا أردت أن تتعرّف على نصر الله تعالى لأوليائه؛ فانظر إلى حادث الهجرة، وتأمل كيف أجرى الله تعالى أحداث تلك الواقعة ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٢ ـ في زحام الباطل، وكثرة العدو، وطول المسافة، وهو أعزلٌ لا يملك شيئاً، خرج محفوفاً برعاية الله تعالى حتى بلغ المدينة، وخابت ظنون تلك الحشود، وعادت خائبة في النهاية ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٣ ـ كل الذين وقفوا معه ﷺ وأعانوه، ويسّروا له الطريق، إنما هم بعض جنود الله تعالى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٤ ـ حتى الكبار يحتاجون إلى صديق، يفضون إليه بهمومهم، ويصحبونه في طريق الحياة الطويل ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

٢٥ ـ كم من صديقٍ صنعَ الحياةَ لصديقِه ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

٢٦ ـ من فقهك، وكمال عقلك، ووعيك أن تختار صاحباً، يكون عونك في كل شيء ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

٢٧ ـ ادّخر لزمانك بطلاً يخرج كاشف الرأس في أيام المحن والأزمات، ومستعداً للتضحية بكل شيء ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

٢٨ ـ حين تقوم العقائد شاخصة في زمن الأزمات ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

٢٩ ـ لا تسل عن العقائد زمن النعيم، بل ابحث عنها في زمن الآلام والأحداث الصعاب ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

٣٠ ـ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ العقائد تصنع الحريات.

٣١ ـ ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ شيّعته من مكة، وأخرجته من جموع الأعداء، وما زالت به حتى أدخلته المدينة زاهياً مسروراً، وأَرَتْه النهايات، وهو أسعد من يكون. يا رب هب لنا من فضلك ما تجود به على عبيدك الضعفاء.

٣٢ ـ تصوّر أن الله تعالى معك، يؤيدك، وينصرك، ويدافع عنك، ويسخّر الكون لك حتى تصلَ إلى أمانيك ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾.

❀ ❀ ❀

ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوۡ
كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ
عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا
مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾
عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ
يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ
وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ
فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ
لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ
وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم
مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ
ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

التفسير

- ﴿ٱنفِرُواْ﴾ اخرجوا للجهاد في سبيل الله ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ في اليسر والعسر، والنشاط والتعب، والقلة والكثرة ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ﴾ ببذلها في سبيل الله تعالى ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالقتال ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريقه ومرضاته ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أحسن وأفضل ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ ما عند الله من الفضل والثواب.
- ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ متاعاً من متاع الدنيا ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ قريباً سهلاً ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ لذهبوا معك ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ طالت عليهم المسافة ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ المتخلفون عن غزوة تبوك ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾ قدرنا على الخروج ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالحلف الكاذب ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فيما يقولون.
- ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ سامحك الله تعالى، وغفر لك إذنك لهم ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ في التخلف ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ فتعرف الصادق من الكاذب في ذلك.
- ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ فلا يستأذنونك في التخلف عن الجهاد، بل يبادرون إلى ذلك راغبين محبين ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾ يعلم بمن يتقيه، ويقدم نفسه وماله في سبيله.
- ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ في التخلف عن الجهاد ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ شكّت، ولم يكن لها إيمان متيقن ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ﴾ في شكهم ﴿يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ يتحيَّرون.

• ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ﴾ معك يا رسول الله ﴿لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ﴾ لرتبوا لذلك ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ خروجهم للجهاد ﴿فَثَبَّطَهُمۡ﴾ فثقّل عليهم الجهاد ﴿وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ مع أصحاب الضرر، والمتخلفين عن الجهاد.

• ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا﴾ فساداً واضطراباً ﴿وَلَأَوۡضَعُواْ﴾ ولأسرعوا ﴿خِلَٰلَكُمۡ﴾ بينكم ﴿يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ حريصين على فتنتكم ﴿وَفِيكُمۡ﴾ من بينكم ﴿سَمَّٰعُونَ لَهُمۡ﴾ للمنافقين ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ لا يفوتونه في شيء.

التدبر

١ ـ النفرة في سبيل الله تعالى، والتخلي عن مثبطات الحياة حياة ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

٢ ـ ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ كم واقع هذه الآية في حياتك! وكم أخذت من وقتك! وكم شغلت من تفكيرك! وكم دفعت لها من مالك! إن لم تجد نفسك ههنا فلا مكان لك في الحياة.

٣ ـ لو كان لنا قلوب حية لتاقت إلى عناق هذا المعنى الكبير ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

٤ ـ ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤١﴾ اخرج من بيتــك، ابحث عن فكرتك التي تخدم بها دينك، اِثْنِ ركبتيك في تعليم العلم، وحلق التحفيظ ومحاضن التربية، قدم للعالم ما يبهجه، ولا تكن عالة على المسلمين.

٥ ـ القعود في البيوت ليس من شأن الناهضين ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤١﴾.

٦ ـ كان في ركب المصلحين يأخــذ من هذا المعنى جُلّه، ثم تنحّى يرعى ضأناً، ويعلفها، ويبحث لها عن برسيم ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤١﴾ خسارة تحتاج إلى تعويض.

٧ ـ كان يشــار إليه بالبنان، وفجأة فتح متجراً صغيراً، وصار يبيع فيه، أو يتردد عليه، أو يشرف على العمال، ورمى بأحداث الحياة وراء ظهره ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤١﴾.

٨ ـ ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤١﴾ ليس بالضرورة أن تسلَّ سيفك فــي أرض معركة، وإنمــا تحمل فكرة ناهضة في وســط ميــدان، وتدفع بمشروعك في مجريات الحياة.

٩ ـ والله ليأتين زمان يبكي فيه المتخلّف عن هــذه الدعوة أنه لم يكن في زمرة المستجيبين ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤١﴾.

١٠ ـ غالب المتخلِّفين عن الركب حسبوا الشقة، وقاسوها بحسابات الدنيا، وفاتتهم الأرباح الكبرى ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

١١ ـ يُخْشَى على القاعدينَ عَنْ حملِ المشاريع، ورايات الإصلاح، وعلى المشغولين بمباهج الحياة، أنَّ فيهم شبهاً بزمر النفاق المتخلفة في يوم تبوك ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

١٢ ـ في مرات كثيرة يكون حساب العائد على الشريعة مختلفاً بعض الشيء عن الحساب العائد للأشخاص ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ أراد النبي ﷺ ألا يضع للنفاق منزلاً وينشغل به، وأراد الله تعالى أن يكون الدرس عاماً حتى على زمرة النفاق حتى يعرف الصادق من الكاذب.

١٣ ـ حساب عوائد الحقائق مكلف يحتاج إلى زمن طويل ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

١٤ ـ وما يصنع بقلبه، ولطفه، وجمال مشاعره، أمام هذا العتاب الشجي ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

١٥ ـ لا يمكن لمؤمن صادق أن يستأذن في أوقات الأزمات والأحداث الكبيرة في واقع أمته ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن

يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾ وإذا وجدت لصّاً يتسلل في وقت الظلام، أو يبحث عن عذر من الأعذار فعدَّه من هؤلاء ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

١٦ ـ المستأذن عن حمل المشاريع في زمن حاجة أمته إليه يُخْشَى أن يكون من هؤلاء ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

١٧ ـ القاعدون عن العمل رغم حاجة الأمة إليهم وهم مثقلون بهمومهم، لا يصلحون لحمل أثقال هموم الأمة ومشاريعها الكبار ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

١٨ ـ إذا رأيته قاعداً لا يعنيه هم الأمة في شيء؛ فاعلم أن خطاياه أثقلته عن المشاركة، وحبسته على أعتاب سريره ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

١٩ ـ إذا لم تتمكن من المشاركة في حمل هموم أمتك، فضع يدك على قلبك، فلعل الله تعالى كره مشاركتك فثبّطك ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

٢٠ ـ ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أحلف يميناً لو كان لقارئها ـ القاعد في بيته ـ قلبٌ لسمع الناسُ بكاءه ونحيبه.

٢١ ـ ثمة أناس إذا لم يخرجوا معك، ولم يشاركوا في حمل راية العمل؛ فاحمد الله تعالى على جزيل عطائه ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ (٤٧) ﴾.

٢٢ ـ من توفيق الله تعالى للأمة، أن كثيراً من القاعدين عن المشاركة في البناء، كانت بيوتهم أستر لهم من خروج يفسد الصف، ويثير فيه أحداث الفتن ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ (٤٧) ﴾.

❀ ❀ ❀

لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ
سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾
إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ
يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ
فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا
هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ
هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ
بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ
فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا
أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ
﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ
كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ
كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

التفسير

• ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ في أيام الهجرة ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ أداروا أفكارهم وحيلهم للصد عن دينك ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ النصر الذي وعدهم الله تعالى ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ دينه وشرعه ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ رغم أنوفهم.

• ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ في التخلف عن الجهاد ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ بالخروج، فإني لا أصبر على مشاهدة نساء الروم ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ في الفتنة التي فروا منها سقطوا فيها، وهي فتنة التخلّف عن الجهاد ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ لا فكاك لهم منها.

• ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ كالنصر والفوز ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تُحزن أهل الكفر وتغمهم ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ هزيمة ونحوها ﴿يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ احتطنا لأنفسنا، فلم نخرج معهم ﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ بسلامتهم وبمصيبة المؤمنين.

• ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ ما قدَّره وكتبه ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ ناصرنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ يعتمدون عليه ويفوضون أمورهم إليه.

• ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمنافقين: ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾ تنتظرون بنا ﴿إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ إما النصر أو الشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ ننتظر بكم ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ يصيبكم بنازلةٍ لا دخلَ لنا فيها

﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ بأن يسلطنا عليكم فنحل بكم العذاب ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾ انتظروا ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ منتظرون.

• ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله للمنافقين: ﴿أَنفِقُواْ﴾ تصدَّقوا ﴿طَوْعًا﴾ باختياركم ﴿أَوْ كَرْهًا﴾ بغير اختيار ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ من هذه الأعمال شيء ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ خارجين عن طاعة الله تعالى.

• ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ﴾ صدقاتهم ﴿إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ فلا إيمان لهم ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلون عنها غير راغبين فيها ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ مجبرون على ذلك.

التَّدَبُّر

١ ـ آثار النفاق ومساعيه في الإفساد ليست وليدة يوم، أو حدث، أو واقعة، بل الأصل أنها كسرطان الدم ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

٢ ـ قد تتأخر الحقائق، لكنّ لها يوماً كاشفاً لكلِّ شيء ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

٣ ـ إذا تأخر المنافقون عن المشاركة فليس عن غفلةٍ، وإنما حسبوا أنه لا حظَّ لهم في المشاركة ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

٤ ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عذر أقبح من ذنب! ما رأيت ورعاً أدل على الكذب من ورع هذا المنافق! يتخلّف عن فريضة كبرى في دين الإسلام مخافة رؤية امرأة في عُرْضِ طريق.. قبّح الله رجلاً يكذب لا يبالي بعوار الكذب!

٥ ـ حتى الكذب صناعة لها حذّاق ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

٦ ـ لا أقدر، مشغول، لديّ ظروف، أعذار للتخلّف، ليست كعذر هذا المنافق، ولكنها تسير في الركاب ذاته ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

٧ ـ ترك دائرته ومساحته ومشروعه، ودخل في عمل هشٍّ، أراد أن يوهم المثرّبين عليه، وفي النهاية عاد لسرير بيته وقعد عليه ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

٨ ـ كثيرة هي أعذار التخلّف، غير أنَّ النتيجة في النهاية واحدة ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

٩ ـ ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ لا جديد! هذه صناعة النفاق في كلِّ زمانٍ ومكان.

١٠ ـ راقبْ أيَّ حدث، ستجد بني قومك يردّدون المعنى ذاته ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾.

١١ - إياك أن تقول: لم أر هؤلاء الذين يتحدث عنهم القرآن، انتظر نازلة بدينك وستسمع نعيق بني قومك كالسم الزعاف ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾.

١٢ - حتى في أحلك الظروف، وأشدِّ الأزمات شد قلبك بعقيدة الإيمان ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

١٣ - لو كنا نستقبل فواجع الزمان بمثل هذا المعنى لعشنا في أبهج الأحوال وأمتعها ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

١٤ - مشكلتنا أننا نؤمن بهذا نظرياً، وفي الظاهر؛ وعند أوّل فاجعة تسقط العقيدة من حساباتنا ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

١٥ - وما تصنع الأموال والنفقات والصدقات بلا أصلٍ متين ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

١٦ - الكفر بالله تعالى، والكسل في الصلاة، وكراهة الإنفاق مانعةٌ من قبول الصدقات ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾
وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ
قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ
مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي
ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ
يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ
وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ
لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي
ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ
فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ وَمِنۡهُمُ
ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ
لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾

التفسير

- ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بما يترتب عليها من شقاءٍ ومعاناةٍ وتعب ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ تخرج أرواحهم بمعاناتهم فيها ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ بالله تعالى.

- ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ مسلمون ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ ما هم بمسلمين ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ يخافون من لقاء الأعداء.

- ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ حصناً ومأمناً ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ كهوفاً في الجبال ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ نفقاً ﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ﴾ ذهبوا إليه مسرعين مبادرين ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ يسرعون.

- ﴿وَمِنْهُم﴾ أي من المنافقين ﴿مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يعيبك ويتهمك في توزيعها وتفريقها ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا﴾ نالهم منها نصيب ﴿رَضُواْ﴾ عنك ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يتذمرون ويخاصمون وينازعون.

- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ ما قسم الله تعالى لهم وما أعطاهم رسوله ﷺ ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ كافينا ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ سيعطينا الله تعالى، ويمدّنا بفضله، وكذلك رسوله ﷺ ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ في عطائنا لا لأحد من الخلق.

- ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ الزكوات الواجبة ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ الذين لا يملكون شيئاً ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ من يملك مالاً ولكن دون كفايته ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ السُّعَاةُ الذين يجمعونها ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم من يرجى إسلامهم، أو

دفع شرهم ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ عتق الأرقاء، وفكاك الأسرى ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ المدينين، والذين غرموا لإصلاح ذات البين ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الجهاد والمجاهدين ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر المنقطع ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ هذه المقادير فرضها الله تعالى وقدّرها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال عباده ﴿حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ في تدبير شأنه.

• ﴿وَمِنْهُمُ﴾ أي من المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ بأقوالهم وأفعالهم ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ يستمع لكل ما يقال له ويصدقه ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ إذا كان يقبل من قال له صدقاً، ويعذر لسعة خلقه من كان كاذباً، فذاك خير لكم ممن يعنّتكم، ويشق عليكم ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ يصدق بالله تعالى ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يصدقهم فيما يخبرونه به ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ بما يوصل إليهم من خير ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ بأقوالهم أو أفعالهم ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ شديد.

التدبر

١ ـ لا تغبط مخلوقاً آتاه الله تعالى مالاً، وهيأ له ولداً إلَّا حين تراها وُظِّفَتْ في صالح هذا الدين ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ كم مِنْ مالٍ وولدٍ أشرفا بصاحبهما على كير النار!

٢ ـ كم مِنْ ولدٍ أشرف بوالده على السوءات! رأيته مع أبيه في ساحات الشُّرَطِ وأبواب المحاكم، وقد كان في غنًى عن كل ذلك ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

٣ ـ يملك أموال الدنيا غير أنها دخلت عليه من ربا وسحت، فما يصنع بها في النهاية ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

٤ ـ يعملون، ويتعبون، ويجهدون، ويعيشون لأموالهم كل حياتهم، وفي النهاية يخسرون الدارين ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

٥ ـ الأيمان الكاذبة من سمات المنافقين في كل عصر ومصر ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

٦ ـ لا تغترَّ بتلك الأيمان التي يثرثر بها لسانه ليسترق قلبك، أولئك لصوص القيم والمبادئ ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

٧ ـ صورة كاشفة للمنافقين وقت الأحداث ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

٨ ـ إياك أن تضع يدك في يدِ جبان، أو بخيل، أو كسول في الصلاة، وقليل الذكر لله تعالى؛ فتلك علامات النفاق ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

٩ ـ ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ هذه الصورة النهائية لذلك الذي يجعجع في الإعلام في زمن الأحداث.

١٠ ـ إذا أردت أن تجهِّزَ جيشاً يحمي وطنك وأمتك، فلا يكن مثل هؤلاء في صفك؛ لأنهم سيكرِّرون المشهد نفسه ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

١١ ـ من علامات المنافق أنــك تراه يصرخ بأعلى صوته عنــد توزيع الصدقات ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

١٢ ـ يتكلم المنافق عن القيم والمبــادئ والمواطنة، وإذا ثارت قضية، وحُرِمَ من أرباحها قلب موازين العدالة كلها ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

١٣ ـ ليس مهماً الخيرات العائدة علــى المجتمع والوطن والأمة، المهم أن يملأ بطنه، ويُشْبِـعَ جوعته ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

١٤ ـ أكثر هموم المنافقين بطونهم وشهواتهم، ويموت العالم بعد ذلك جوعاً ولا كرامة ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

١٥ ـ إذا رأيتهم يتكلمون عن العدالة والمال العام والمواطنة، فاعلم أنهم يرتبون صفقة يأكلون منها ما بقي مــن العمر ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

١٦ ـ شريعة منظّمة مرتبة تعين المحتاج، وتمد مشاريع المصلحين، وتوجِّه المال لإغاثة الملهوفين في الحياة ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

١٧ ـ تُعطى المؤلفة قلوبهم ولو كانوا أغنياءً؛ لأن مصلحة الدين أعظم المصالح، وأكثرهــا تأثيراً في مســاحات الإســلام ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ

وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

١٨ ـ وفي سبيل الله تعالى: عامَّة عند جمعٍ مِنْ أهل العلم، في كل رايات الجهاد المختلفة والمتنوعة، الدعوية، والاجتماعيــة، والعلمية، والتربوية، والإعلامية، وكل ما يمد في ساحات الدين، وصاحب المال يجب أن يكون بصيراً بمن يهب زكاته، لتقع موقعها بحق ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

١٩ ـ التسلّق على المحكمات، وقضايا المنهج، وتنقّص الرسالة منهج قديم لأهل الانحراف، ومــا نراه في واقعنا ما هــو إلّا خطوات على ذلــك الطريق الطويل ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾.

٢٠ ـ يتهجمون على حملة الشريعة، ويتناقلون معترضين فتوى لعالم، ويتوزعون الأدوار للحديث حيال كلمةٍ قالها مصلحٌ في موضوعٍ بقصد النقد، وكل ذلك جزء من أعمال من سابقيهم ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾.

❀ ❀ ❀

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن
يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن
يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن
تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ
ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم
بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ
بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ
ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

التفسير

• ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ يحلفون كاذبين من أجل أن ترضوا عنهم ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ أولى أن يرضوهما قبل غيرهما ﴿إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ إيماناً صادقاً.

• ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ هؤلاء المنافقون ﴿أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يشاقّهما، ويخالف أمرهما، ويعصيهما ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ لا يخرج منها ﴿ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ الذل والحسرة والندامة الكبرى يوم القيامة.

• ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ يخافون ﴿أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ من القرآن الكريم ﴿تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ تخبرهم بما يسرونه ويكتمونه ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾ استمروا على استهزائكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ مُشْهِرٌ وموضِّحٌ ما تخشون خروجه وظهوره.

• ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ أي: المنافقين في طعنهم في المسلمين وقولهم في غزوة تبوك للقرّاء: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً ولا أجبنَ عند اللقاء ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ إنما قلنا ذلك على سبيل اللعب، ولم نكن قاصدين ﴿قُلْ﴾ لهم يا رسول الله: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ تلعبون وتعبثون.

• ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ عن استهزائكم ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ خرجتم من الإيمان، وكفرتم بالله تعالى ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ لتوبتهم واستغفارهم ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ﴾ أخرى منكم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ مقيمين على كفرهم.

• ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ في الصفات والأفعال ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ بضد أهل الإيمان ﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ لا ينفقون في سبيل الله تعالى ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ فلم يقوموا بواجبه من الطاعة ﴿فَنَسِيَهُمۡ﴾ من توفيقه ورحمته ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾ الخارجون عن طاعة الله تعالى.

• ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ يوم القيامة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يخرجون منها ﴿هِيَ حَسۡبُهُمۡ﴾ كافيتهم في العذاب ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ طردهم من رحمته تعالى ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨﴾ دائم.

التدبر

١ ـ لا تُقِمْ لأيمان المنافق وزناً؛ إنما هي ذرائع لمقاصد السوء ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾ يحلفون ويجهدون من أجل خَلْقٍ مثلِهم، لا يقدّمون لهم شيئاً.

٢ ـ معاداة الله تعالى أعظم الطرق وأشدها سوءاً وأثراً في حياة صاحبها ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٣﴾ معصيته تعالى موجبة للهلاك والخسران، فكيف بمن يقف في طريق منهجه، ويعيش عدواً لدينه ورسالته!

٣ ـ القرآن يهتك ستر المنافقين ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ

تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

٤ ـ النفاق والمنافقون أخطر الأعداء، وأشدهم خطراً على الإسلام والمسلمين ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

٥ ـ في عمق الصف، يخرجون من ساحات الجهاد، ويهتكون ستر المسلمين، وَيَتَسَلَّلُونَ إلى أعراضهم ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ هؤلاء هم أعداء الأمة الحقيقيين، وما ابتليت أمة في زمانها كله في غابر الدهر وحاضره بمثل هؤلاء!

٦ ـ العبث بأعراض المسلمين جريمة تستحق مثل هذا العذاب ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ فاحفظ لسانك، وحاذر أن تلقي به في المجاهيل، وإياك وأعراض المؤمنين! وكم من كلمة قالت لصاحبها: دَعْني! وكم من كلمة ألقت بقائلها في قعر جهنم!

٧ ـ الألسن مغاريف القلوب ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ في مرات كثيرة لا تحتاج شهوداً على النفاق، ارصده لأيام الأحداث، واعرضه على الفتن، وجربه في المواقف الكبار، وستراه يتكشَّف إليك عارياً لا يستتر من شيء.

٨ ـ إذا وجدت جمعاً يأمر بالمنكر، وينهى عن المعروف، ويقبض يده عن المشاركة في مساحات الحق؛ فاعلم أنك في صرح من صروح النفاق ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

٩ ـ لا تجده إلَّا في مستنقعات السوء، كلَّما سمع بهيعةٍ على الإسلام فرح وسُرَّ، ومدَّ بقلمه وفكره في مساحات هذا الفرح المشؤوم ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

١٠ ـ ارقبهم في مجموعات التواصل الاجتماعي، ولقاءات الأصدقاء، وأعمدة الصحف، ومنتديات السوء تجدهم يتنادون إلى المنكر، ولا يفرحون بساحات المعروف ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

١١ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ كم من آثار على صاحبها لو

فتّش في واقعه لوجد لها أسباباً من عمله وحياته! هذه لا تجري في ساحات المنافقين فحسب، وإنما في واقع كل إنسان بحسب واقعه وعمله.

١٢ ـ ثمة موعد لهؤلاء مع نهايات السوء ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ وكذلك كل عمل سوء يجري على صاحبه في النهايات بمثل هذا، أو أسوأ، نسأل الله تعالى العافية والسلامة.

❀ ❀ ❀

كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ
أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ
كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ
كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ
نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ
إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ
رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن
كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ
أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ
وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

التفسير

- ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ فحالكم كحال من سبقكم في الكفر والاستهزاء ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً﴾ بأساً وشدة ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ﴾ تمتعوا بنصيبهم من الدنيا ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ﴾ بنصيبكم ﴿كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾ بنصيبهم ﴿وَخُضْتُمْ﴾ دخلتم في الباطل والتكذيب ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ كدخولهم في الباطل، لا فرق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بطلت ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ فلم يستفيدوا منها شيئاً ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ لحياتهم في الدارين.

- ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ممن سبقهم ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ قرى قوم لوط ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الواضحة ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ بل هم سبب ظلم أنفسهم.

- ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في المحبة والموالاة والنصرة ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهو اسم جامع لكل مستحسن في الشرع ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وهو اسم لكل مستقبح في الشرع ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يؤدونها كما أمر الله تعالى ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يعطونها مستحقيها ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ في كل ما أمرهم به ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ يدخلهم في رحمته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا غالب لأمره ﴿حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ في تدبير أمره وشأنه.

• ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ بساتين فيها من كل النعيم ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يحولون عنها ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ جميلة بما فيها من النعيم ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يُحِلُّهُ عليهم ﴿أَكْبَرُ﴾ من كل نعيم ﴿ذَٰلِكَ﴾ ما أعطاهم الله تعالى ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ الكبير.

تدبر

١ ـ الأحداث واحدة وإن جرت في أزمان مختلفة ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ لا فرق إلّا في التطبيقات فحسب!

٢ ـ الاستمتاع بالحياة الذي يجري على حساب الآخرة فيه خلافة للهالكين، ومورد لنهايات السوء ﴿فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾.

٣ ـ القرآن يقرِّر الوحدة الفكرية والشعورية والجسدية للعدو من فجر التاريخ إلى يومنا الذي نعيش فيه ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

٤ ـ معرفة سِيَرِ العدو ومخططه ونظمه وفعاليات أحداثه، جزء من إدارة المعركة مع الباطل ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩﴾ معرفة عدوك، وملابسات واقعه، وأحداث حياته، ضرورة تعينك على فقه واقعه، والتعامل معه بوعي، والإعداد الكافي له مع الأيام.

٥ ـ إذا لم تتحوّل القراءة إلى مشاريع مستقبلية؛ وإلّا لا قيمة لها في واقعنا ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩﴾ القراءة الناهضة هي التي تشخّص لك أدواء واقعك، وتكشف لك عدوك، وتبين لك عن الحقائق التي تعيشها مع الأيام؛ وإلّا لا قيمة لها في واقع الأحداث، حين تقرأ لا بد أن تعرف لِمَ تقرأ!

٦ ـ من أكثر الحقائق عمقاً في القرآن أن كل الأعداء الذين وقفوا في وجه الإسلام من فجر التاريخ إلى يومنا هذا عادوا بالخسارة في الدارين ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩﴾ وهذا الدرس كفيل بالنهضة والعزة واستقبال أحداث المستقبل بفرح، وعدم الخضوع للأحداث الطارئة، والوقائع التي يفرضها زمانك.

٧ ـ من الفجائع في حق الإنسان أن يستقبل موكب الرسالة وشرفها ثم لا يخرج منها بالحقائق الكافية لنجاته في الدارين ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ

وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

٨ ـ كل هذه المواكب غرقت في لجج الضلال، ولم تخرج في النهاية بحقيقة صالحة للعيش ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ومن الأسف الكبير أن يكرر فرد، أو جماعة، أو مجتمع، أو دولة المعنى نفسه دون وعي لهذا التاريخ الباسط واقعه في الحياة.

٩ ـ عندما تتحوّل قراءة هذه السير في كتاب الله تعالى وفي التاريخ لمجرد تسلية فلا قيمة لها في واقع صاحبها ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ وكل قراءة لا يتم أخذ العبرة الكافية منها فهي قراءة غير ناضجة ولا صالحة لبناء المستقبل عليها في شيء.

١٠ ـ جزء من مشكلاتنا أننا نقرأ التاريخ قراءة نظرية معزولة عن المشاعر والوجدان ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لو كان لنا قلوب واعية لخرجت من درس التاريخ بعبرة كافية وافية.

١١ ـ إذا رأيت حاملاً لراية الإصلاح فأَبرِمْ معه عقد إخاء ووفاء، فهو على الطريق وإن نأت به الديار ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ وإياك أن تصنّف هذه الرايات، أو تُحَزِّبها لتنفك من مسؤولية عونها وسدادها في الحياة، شارك بقدر جهدك، وإذا لم تتمكن في البقاء، فادع لهم بأن يجمع الله تعالى شملهم، ويردّهم إلى جادة الطريق.

١٢ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله تعالى وطاعة رســوله ﷺ موجبات للرحمة ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ فتمسّك بهذه المعالم قدر وسعك، وكن منها على الطريق، ولا تتخلّف عن ركبها يوماً ما، فساحات الشرف تستحق هذا الزحام.

١٣ - لو لم يكن من بشـائر الرباط في هذه الساحات إلّا هذا الوعد الكبير لكان كافياً في المقام ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾.

١٤ - موكب الإيمان على موعـد مع الحياة ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ وكل ما هـو آتٍ فهو قريب، وإن طال زمان الانتظار.

١٥ - تأمل هذه النهايات الكبرى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ جنان عدن، ورضوان الرب، وفوز عظيم كبير.

١٦ - العمل يصنع آمال الإنسان ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ

ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ عاشوا يركضون في ساحات الحياة، ويبذلون في سبيل الله تعالى، ويجهدون في بناء واقعهم حتى صاروا إلى هذا النعيم البهيج في النهايات.

١٧ ـ تصحيح المفاهيم من أخطر القضايا التي عُنِيَ بها الوحي ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ ومن الغبن أن تفوت الأمة معرفة مفهوم الفوز والخسارة على الأقل!

١٨ ـ أي انتصار في مجال من مجالات الحياة إذا لم يتوافق مع الوحي، وإلَّا فهو هزيمة في ثوب نصر مشوّه ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾.

١٩ ـ رأيتهم مراراً يصفقون لانتصارات وهمية لا علاقة لها بمفاهيم الربح والنصر والفوز في شيء ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ وغبش المفاهيم وظلامها في واقعٍ ما ضياعٌ لكثيرٍ من مقدرات الأمة التي تحتاج لفرح وبهجة في واقعها، واستنزاف لطاقات الأمة وأفراحها ومشاعرها في غير ما خلقت له.

٢٠ ـ إذا كلّت قدمك، وضعفت همتك، وذبلت قواك، فانفث عليها بنهايات الطريق ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾.

❀ ❀ ❀

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا
قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ
وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ
ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ
ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ
﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟
ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ
ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

التفسير

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ ابذل وسعك في جهادهم بكل ما أوتيت من قوة ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ اشدد عليهم في جهادك لهم ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مقرهم ومصيرهم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ ما أسوأ عاقبته!

- ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ شيئاً من الكلام الذي نُسب إليهم ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ فهم كَذَبَةٌ في حلفهم وأيمانهم ﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ صاروا كفاراً بسبب ما قالوا ﴿وَهَمُّوا۟﴾ بقتل رسول الله ﷺ ﴿بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ ما لم يصلوا إليه ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟﴾ ما عابوا على رسول الله ﷺ ﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ إلّا أنْ جعلهم أغنياءً بعد فقرهم ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟﴾ من قولهم الذي أوجب لهم الكفر ﴿يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ أحسن عاقبة ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا۟﴾ يعرضوا ويستمروا على قولهم ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ شديداً ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بما ينالهم من الهم والحزن والعقوبات ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بما يؤولون به إلى الجحيم ﴿وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ﴾ يتولاهم ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ ينصرهم ويدفع عنهم المكروه.

- ﴿وَمِنْهُم﴾ من المنافقين ﴿مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ أعطى العهود والمواثيق ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا﴾ الله تعالى ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ فرزقنا ووسّع علينا ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ في سبيل الله تعالى ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ ممن يفعلون الصالحات.

- ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ وسّع عليهم وبسط لهم رزقه ﴿بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾ عن الإنفاق في سبيل الله تعالى ﴿وَتَوَلَّوا۟﴾ عن الله تعالى ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾ غير ملتفتين للخير.

• ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ جعل عاقبتهم ﴿نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ بأن جعل النفاق في قلوبهم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ يوم القيامة ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ بسبب خلفهم لوعدهم ﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ وبسبب كذبهم على الله تعالى.

• ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما يخفون في قلوبهم ﴿وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ ما يظهرون ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ لا يعزب عن علمه شيء ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ يعيبون ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ إن جاؤوا بكثير قالوا: هؤلاء مراؤون، وإن جاؤوا بقليل قالوا: الله غني عن صدقتهم ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ لا يجدون إلَّا شيئاً قليلاً يتصدقون به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ فيسخرون من المطوعين ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ شديدٌ يومَ القيامة.

التدبر

١ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ رسالة للنبي ﷺ وللمصلحين من بعده إلى يوم القيامة، لا تتوقفوا عن جهاد الأعداء لحظة، وواصلوا طريق الحياة مهما كان ثمنه في النهايات.

٢ - لا يستقيم أمر الدين في بلاد إلا بجهاد المناوئين من أهل الكفر والضلال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

٣ - في مرات كثيرة يحتاج الكفر والنفاق إلى صوت القوة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

٤ ـ قوة الباطل لا تصفعها إلَّا قوة الحق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

٥ ـ لم تتم علاقة ودٍّ دائمة ومستقرة مع العدو في أيام التاريخ كلها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ ومن توهم خلاف ذلك فهو على غير طريق.

٦ ـ الجهاد هنا بمفهومه الواسع والمتمثّل في رايات العلم، والسيف، وكافة شؤون الحياة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

٧ ـ إقامة صرح العلم والتربية في كل واقع ومساحة هو قاعدة الطريق، وأصله الكبير لمناهضة العدو في أيِّ مكان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

٨ ـ من وعي الأمة في إدارة أولوياتها لمناهضة العدو تركيزها على التربية والتأهيل، وإعداد القوة الكافية لمناهضته في مستقبل الأيام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

٩ ـ معركة الإسلام مع النفاق من فجر التاريخ لم تتوقف بعد ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾.

١٠ ـ إذا أردنا أن نتصالح مع النفاق ونبرم عقداً للإخاء فإنما ننفخ في قعر قربة مثقوبة، لا يمكن أن نملأها أبداً ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن

فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾﴾.

١١ ـ مشكلة النفاق أنه يملك وجهين، وجهاً يستميت في الحلف، واختلاق الأعذار، والأيمان الكاذبة، ووجهاً يدير حرباً مسعورة، لا هوادة فيها ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾﴾ ومن فقه المؤمن ووعيه أن يدرك هذه الحقيقة، ويستعدَّ لها، وألَّا يكون إمعة لا يفرق بين أوجه الحقائق والنفاق في مجلس، أو لقاء، أو حتى مساحة عمل وتاريخ.

١٢ ـ لو وجد النفاق على الإسلام وأهله طريقاً لم يُبق من جهده لاستئصالهم شيئاً ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾﴾.

١٣ ـ لا حدود لرحمة الله تعالى، حتى المنافقين الذين ناصبوه العداء ووقفوا في طريق منهجه، وتسلطوا على عباده، يفتح الله تعالى لهم باب التوبة، ويعدهم بغفران الذنوب ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾.

١٤ ـ إذا أردت أن تتعرف على الأيمان التي لا واقع لها في حياة صاحبها فارصدها في واقع النفاق ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾

وإذا وجدت من لا يحتفل بأيمانه، ولا يبالي بها، ولا يخشى عواقبها، فاعلم أن ذلك من علامات النفاق.

١٥ ـ إخلاف الوعود، ونقض العهود والمواثيق؛ هي البؤر الموبوءة في أوساط أهل النفاق ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

١٦ ـ احذر أن تخلف وعداً، أو تنقض ميثاقاً فتمضي في سرب القوم، وتمشي في طريقهم ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

١٧ ـ كثيرون يقولون: إذا مَنَّ الله تعالى علينا بوظيفة، أو تخلصنا من ديوننا، أو جاءتنا العلاوة السنوية؛ سنهب من أموالنا لدين الله تعالى، ثم إذا أتاهم ما يتمنون أخلفوا الوعد وعادوا يشتكون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

١٨ ـ وآخرون يقولون: إن مَنَّ الله تعالى علينا بوقتٍ لنصرفنّه في الدعوة إلى دين الله تعالى، ولئن عينت في موقع كذا، أو في وظيفة كذا لأبذلنَّ لدينه ما أستطيع، فإذا تحقق لهم ما يريدون عادوا مشغولين بذواتهم غير مدركين لتبعات عهودهم ووعودهم ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

١٩ ـ كم هي نِعَم الله تعالى علينا! وكم هو تقصيرنا في القيام بحقوقها من الشكر والعرفان! ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾

مؤلم أن نتوسّل إلى الله تعالى بكل شـــيء، ثم إذا أفاض علينا من وابل فضله عدنا متردِّدين.

٢٠ ـ نقض العهود والمواثيق مؤذنٌ بخراب القلوب ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ إيـــاك أن تقطع عهداً، أو موعداً، ثم تخلفه، إلّا لضرورة لا يمكن معها الوفاء! لا تلبس ثوباً للنفاق وقد أعتقك الله تعالى منه بالإيمان.

٢١ ـ النفاق نبتة سوء، وأثرٌ من خُلْفِ العهود والمواثيق والكذب ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ هل كانوا يتصورون يوماً أن إهدار موعــد ما والتخلّف عن عهد وميثاق موجبٌ لصاحبه هذا المرض الكبير!

٢٢ ـ مشكلة النفاق أنه لا ترجى لصاحبه عافية ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ من وقع فيه وقع في كل سوء، ومن تلبّس بثوبه قل أن يقلع عنه مع الأيام.

٢٣ ـ لا يفوت الله تعالى شيء ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ ومهما بلغ ما نُسِــرُّهُ، فلن يخفى على الله تعالى منه شيء.

٢٤ ـ ماذا لو جــرى واعظ القرآن في قلوبنـــا كل حين؟! ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾.

٢٥ ـ كل حدث يجري في واقع صاحبه، إنما يجــري على فقهه بهذا المعنى الكبيــر ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾.

٢٦ ـ هـذه حكايـة النفاق في سـوق البطاليـن كل مرة ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾.

٢٧ ـ إذا رأيتهم يتوزعون السـخرية، ويتناقلون أقوالها، ويجهدون في توسـيع نطاقها، فتلك بؤر النفاق لا تبرحها عين ناقد ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾.

٢٨ ـ لا تنتظر كثيراً في التعرّف على رؤوس النفاق وأساطينه، يكفيك حدث واحد، وأزمة تمر بالأمة، وقضية تدار في واقعهم لترى شغبهم على المصلحين والمطّوعين في الخيرات ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾.

٢٩ ـ يا أهل الإيمان، والمطوّعين في الخيرات، لا يضركم حديث السـاخرين، فلم يتوقف منذ زمن الرسـالة وأيام النبوة، وسيظل كذلك، فسـيروا على ما سار عليه أولئك الكبار ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾.

٣٠ ـ إن أعطوهم من الصدقات ضجُّوا بالفرح والمدح والثناء، وإن منعوهم منها تناولوهـم باللمز والهمـز ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ هذه سنة التاريخ التي لم تتخلّف يوماً ما !

٣١ ـ لا تقلق من سـخرية هؤلاء من مؤمن، الله تعالى سـيتولّى المشـهد كاملاً ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

❀ ❀ ❀

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ
بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ
مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن
تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ
ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ
قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾
وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى
ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ
سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟
ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

التفسير

• ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ اطلب لهم المغفـرة ﴿أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أو لا تطلب لهم المغفرة، كلٌّ ذلك سواء ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ تسأل الله تعالى أن يغفر لهم سبعين مرة ﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ ذنباً مما اقترفوه ﴿ذَٰلِكَ﴾ وسبب ذلك ﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ جحدوا أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ ولم يرعوها حقها ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ الخارجين عن طاعة الله تعالى فلا يدلهم على خير، ولا يوفقهم لفضيلة وبر.

• ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ المتخلِّفـون عن الجهـاد ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ بقعودهم ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ مخالفين لرسول الله ﷺ ﴿وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ اسـتبقاءً لها ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي المنافقون: ﴿لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ لا تخرجوا؛ فالوقت حرٌّ لا يناسـب الخروج ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ أقوى من حر الدنيا وأشـد منه ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ ما عند الله تعالى من جزاء.

• ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا﴾ مدة هذه الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ يوم القيامة ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ بسبب كسبهم للأعمال القبيحة السيئة ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ أعادك من سفرك هذا ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ من المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد في غـزوة تبوك ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ إلـى غزوة أخرى ﴿فَقُل﴾ لهم: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾ مـرة أخرى ﴿وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ بعد اليوم ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ رضيتم بالتخلف عن الجهاد في تبوك ﴿فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ المتخلفين عن الجهاد.

- ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ من المنافقين ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ بعد الدفن لتدعو له ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ وذلك لأنهم كفرة ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ خارجون عن طاعة الله تعالى.
- ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ﴾ مهما كانت كثيرة وجميلة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ بما فيها من المشاق والمعاناة والقلق ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ ﴾ وتخرج أرواحهم ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ بالله تعالى.
- ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ من سور القرآن الكريم ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ﴾ فيها دعوة إلى الإيمان بالله تعالى، والجهاد مع رسول الله ﷺ ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ أصحاب الغنى والسعة ﴿وَقَالُوا۟ ذَرْنَا ﴾ دعنا ﴿نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ المتخلفين.

التدبر

١ ـ إذا أردت أن تعرف خطر النفاق على أهله فتأمل هذا اليأس الذي يفرضه الله تعالى على أهله في الختام ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

٢ ـ الفسق يؤول بصاحبه في النهاية للخذلان ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

٣ ـ كم من معصية حالت دون صاحبها والهداية ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ

وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ الكفر أصل المعاصي، ورأسها وذروة سنامها، والفسق درجات، وكل معصية حائلةٌ بين صاحبها وبين آماله في الدارين، على قدرها وأثرها في دين الله تعالى.

٤ ـ التخلّف عن العمل والجهاد في سبيل الله تعالى من أعظم مظاهر النفاق في حياة صاحبه، فكيف بالفرح فيه والسرور به! ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾.

٥ ـ كم مرة تخلفتَ عن رسالة ومشروع وقضية في حياتك؟ كم مرة كان ينتظرك الإسلام وتحتاج إليك أمتك في شيء، ومع ذلك لم يتحقق لك شرف هذه المشاركة؛ وقعدت عن دعمهما وتخلفت عن مشاهد العز؟ ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾.

٦ ـ هل في وقتك وقت لله تعالى تدفعه لهموم أمتك؟ كم تبذل لدينك ومنهجك ورسالتك؟ ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ هؤلاء المنافقون فرحوا بتخلفهم فما أنت صانع بقعودك في زمن الحاجات!

٧ ـ ما الفرق بين منافق فرح بمقعده خلاف رسول الله ﷺ زمن الحاجات، ورجل فرح بتخلف ماله أو جهده أو وقته عن نصرة دينه ومنهجه! ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾.

٨ ـ كثيرون آثروا أموالهم بظروفهم وحاجاتهم وشؤونهم عن قضايا دينهم، وهو الطريق نفسه أو قريباً منه ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ كم مرة دُعُوا للمشاركة في دعم حلقة تحفيظ، أو رسالة دعوة، أو إعانة، وضَنُّوا على دين الله تعالى ببضعة ريالات!

٩ ـ استثقلوا الطريق، وحسبوا شقته؛ فوقعوا في الحسرات ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ وكم من أبناء الأمة اليوم من حسب هذه المسافات، فتخلّف للأسباب ذاتها، والله المستعان؟!

١٠ ـ كم من ضَحِكٍ في عُرْضِ الطريق خلّف بكاءً كثيراً؟! ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

١١ ـ هذه الحياة لا شيء، وإن طال فيها عمر إنسان! ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ كم من ضاحك عاد باكياً في النهايات!

١٢ ـ إياك أن تعتقد أن قدراً نزل مفصولاً عن أسبابه، ما نراه في واقعنا هو نتيجة لكسبنا ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

١٣ ـ مشكلتنا أننا لا ننظر إلى الوراء في زمان الأحداث، نُحَوْقِلُ ظانين أن القدر مفصولٌ عن أسبابه ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

١٤ ـ من وعيك وكمال عقلك في كل فاجعة، أو مصيبة، أو عقبة تعترض طريق أيامك، أن تفتّش تاريخك، وتعود لقراءة خطواتك في زمانك السالف من عمرك ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ ثم تستعتب ربك، وتعود تائباً منيباً.

١٥ ـ الدروس والمشاهد والتطبيقات التي صنعها المنافقون في الواقع كافية في استيعاب خبثهم وعدائهم للإسلام ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ

﴿لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

١٦ ـ حتى لو كان بالمسلمين مسغبة شديدة فلا يمكّن المنافقون من المشاركة في حادث مهما بلغت الحاجة إليهم ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

١٧ ـ القلة المؤمنة الصادقة الثابتة على الطريق أثمن ألف مرة من جموع كثيرة تشم خبث صفها على بُعْدِ مسافات ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

١٨ ـ حتى في المشاريع التي نقيمها، الفئةُ القليلةُ المرابطة أولى ألفَ مرَّةٍ من الكثرة التي تبهج بصرك في الظاهر؛ وتقتل مباهج مشروعك عند الحقائق ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

١٩ ـ المصرون على الاستئذان من ثغور الأمة في كل مرة، والمعتذرون في كل حين، فيهم من شُعَبِ النفاق على قدر هذا المعنى في واقعهم كل حين ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

٢٠ ـ كم مرة أوكل إليه مشروع فاعتذر! وكم مرة ناداه ثغر فتخلّف! وكم مرة بعدما اجتمعت كلمةُ سواءٍ خرج من صفها بأدنى الأعذار! هذه شُعَبُ النفاق، ومن وجد منها شيئاً؛ فليلذ بالجماعة، وليتخلّص من مشاهد النفاق ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ

طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

٢١ ـ التخلّف في زمن الحاجة يكفي للاستغناء عن أصحابه مهما كانت الضرورة إلى مشاركتهم في مستقبل الأيام ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

٢٢ ـ حثالات النفاق لا يصلح منها إلّا القعود ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ فلا تتحسّر على قاعد أو تنكر على متفلّت من التزامات الحق. دين الله تعالى أكبر من أن يَتسوَّلَ هؤلاء في عُرْض الطريق.

٢٣ ـ المؤمن لا يلدغ من جُحْرٍ مرتين ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ تخلفهم الأول كافٍ في ألا تعقد عليهم راية، أو تثق بهم في مشروع، أو توكل إليهم مسؤولية.

٢٤ ـ لا تكن إمعة، أو تضع ثقتك في غير مظانها، أو تصدق كل ما يقال لك، يكفي الحرَّ الدرسُ من أول إشارة ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

٢٥ ـ الذين عاشوا يطاردون الدين، ويهبون لعدائه أوقاتهم وأموالهم، وكفروا بالمنهج والرسالة والرسل، لا يستحقون الاحتفاء بهم، أو الصلاة عليهم، حتى لو كانوا في الصورة الظاهرية مع المسلمين، وفي بيوت الله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ

عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

٢٦ ـ من العزة بهذا الدين ألا يقام فيه لمنافق أو عدو لدين الله تعالى شأن ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

٢٧ ـ الاحتفاء بالإنسان مشروط بقيامه بحق هذا الدين، ومن لم يكن له في دين الله تعالى شأن، أو عاش مناهضاً لفكرته؛ فحقه رغام التراب ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

٢٨ ـ كل مال وولد لا يمدان في رحاب الإسلام ولا يدفعان بقيمه فلا قيمة لهما في واقع الحياة ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

٢٩ ـ كم من مال وولد أوشك أن يعانق صاحبهما الهلاك ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ وتزهق أنفسهم: صورة من صور البلاء الذي تجره هذه النعم على أصحابها.

٣٠ ـ لا تحسبنّ صاحب المال القابض له عن الخيرات هنيئاً بماله! كلا وإنما يشعر بالويلات ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

٣١ ـ رأيت آباءً يتنفسون من ثقب إبرة لما يجدونه من أبنائهم من ضياع ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

٣٢ ـ ثمة آباء لم يقفوا على أبواب الشُّرَط، ومواقف الذل، وأماكن الحسرات إلَّا مع أبنائهم ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

٣٣ ـ مشكلة كثيرين أنهم يحسبون الكثرة هي كل شيء، وفاتَتْهُم هذه الصور التي يجدونها في كل حين ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

٣٤ ـ الفرح الحقيقي بمال أورد صاحبه منازل الشرفاء، وولد يفيض على والده بأفراح الدارين، وما عدا ذلك فلا مفروح به ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

٣٥ ـ ما الغبطة إلَّا في مال يدفع به صاحبه في توسيع دائرة الإسلام، وولد صالح يفتح آفاقاً للخيرات، وما عداهما ظلام ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

٣٦ ـ ما استأذن من فضيلة وهو يستطيع إلَّا صاحب نفاق ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

٣٧ ـ إذا رأيت مواقع البر تقوم بدونك، وبت تتخلّف كثيراً عن الخيرات، وترى نفسك في مؤخرة صفوف الفضيلة؛ فاضرب على صدرك، وانهض عن مساحات النفاق وانْجُ بنفسك قبل الفوات ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

٣٨ ـ حين يقام شـــأن للأمة، ثم تتخلّف عنه بأدنى عذر؛ فتلك بؤر النفاق التي يوشك صاحبها ألا يرى النور ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

٣٩ ـ لا يرضـــى التخلّف إلّا دنيء همة، ومريــض قلب ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

❀ ❀ ❀

رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا
يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ
جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ
ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٠﴾
لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا
يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا
عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾ وَلَا
عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ
أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا
أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ
ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾

التفسير

• ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ المتخلفين ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ختم عليها ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ لا يفهمون.

• ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ ولم يتوانوا كما فعل المنافقون ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ العواقب الحسنة ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ الفائزون يوم القيامة.

• ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يخرجون منها ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ الذي ليس بعده فوز.

• ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ المعتذرون عن الجهاد ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في التخلّف ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ عن الجهاد في سبيل الله تعالى ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾ شديد.

• ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ الشيوخ والنساء والصبيان ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ وهم كل من عجز عن المشاركة في الجهاد لعذر المرض ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ لا يجدون زاداً ولا راحلة يتبلّغون بها إلى الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾ إثم ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أخلصوا له وصدقوا في تطلب الجهاد وحبسهم العذر حقيقة ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ عقاب أو مؤاخذة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ بالضعفاء من المؤمنين.

• ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ ولا إثم على من أتاك يطلب راحلة يجاهد عليها ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ فاعتذرت منهم

بذلك ﴿تَوَلَّواْ﴾ فخرجوا من عندك ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ بكاءً على فوات الجهاد ﴿حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ في سبيل الله تعالى.

- ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ الإثم والحرج ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ من الجهاد ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ بالمال والراحلة ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ المتخلفين ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ختم عليها فلا تهتدي إلى حق ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ ما عند الله تعالى من العقوبة على تخلفهم.

التَّدَبُّر

١ ـ لا يمكن للقلوب الحية أن تكون في مؤخرة الصفوف ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ وإنما يرضى بهذه الأمكنة من في قلبه مساحات من النفاق.

٢ ـ مجرد الرضا بالتخلّف والقعود مع الخوالف رسالة وإنذار بأن صاحب هذا الشأن منافق أو معلول ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

٣ ـ إذا لم تشعر بأثر تخلفك عن الفضيلة، ولم تُلق بالاً لتأخرك، فأدرك نفسك ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ فكيف بالفرح أنه لم يشارك، وأن ظلاله أطيب له من ذلك المكان!

٤ ـ أحد مؤهلات الإسلام التطبيقية أن تدفع بنفسك ومالك في سبيل الله تعالى ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

٥ ـ أقرب تعريف للفلاح في الدارين: أن تهب مالك ووقتك وجهدك وفكرك ومشاعرك أوقافاً في سبيل الله ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

٦ ـ النجاح صناعة يملكها الموفَّقون ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾.

٧ ـ الجيل الأول حمل همَّ الدعوة، وجاهد في سبيل تمكينها، وبذل من أجلها ولها كل شيء، وتحقق لهم في النهاية كل شيء. هل تخيلت يوماً نبيك ﷺ يجوب الفيافي والقفار وحده، ويبذل من جسده ومشاعره ووجدانه كل شيء من أجل هذا الدين! هل تخيلت تلك اللحظة التي كُسرت فيها رباعيته، وشُج وجهه، وسقط على الأرض بعد أن أجهده التعب، وأُلقِيَ به صريعاً على التراب! هل تخيلت ذلك الجيل وهو يقف معه وأمامه ومن خلفه، ويضحي في سبيل الله تعالى بكل شيء! كم هم الذي ودَّعوا الحياة وهم في ساحات الجهاد! هل تخيلت يوماً أن يضحي الإنسان بدمه من أجل دينه ومنهجه! هذه هي المواقف التي جاءت الشهادة الربانية بتزكيتها، ومدحها، والثناء عليها إلى يوم القيامة ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ فكن على الطريق، وابذل في سبيل تلك الغايات ما تستطيع، وإياك والتخلّف عن ساحات ذلك الموكب الكبير.

٨ ـ القعود عن العمل لهذا الدين عار، والتخلّف عن حياضه رذيلة تستحق العذاب ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ ﴾.

٩ ـ لا تلم متخلفاً عن ساحات هذا الشرف الكبير، لو علم الله تعالى في قلوبهم خيراً لأعانهم، ودفع بهم إلى المشاركة. كم من متخلّف لسوء نيته، وضعف همته، وقلة دافعيته! والنفوس المخذولة تفرح بالقعود في عُرْض الطريق، وترى التخلف نجاة لأجسادها من جهاد الشرفاء ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾.

١٠ ـ أصحاب الأعذار ليس عليهم من لوم ولا عتب في التخلف عن العمل لهذا الدين ومَدّ مساحته ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ تكفي تلك الأمراض والعوائق عذراً لهم عن منازل الكبار، وأجورهم على قدر نواياهم في النهاية.

١١ ـ الدين لا يكلفك فوق طاقتك، ولا يُحَمّلك ثقيلاً، فقط يثرّب عليك أن تكون قادراً على خدمته، ثم لا تتقدم للمساهمة في إثراء واقعه ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

١٢ ـ إذا كنت لا تملك قلماً يحرر فكرة، أو لساناً ينكر منكراً، أو قدماً تنقلك إلى مشاهد الطاعات، أو جاهاً يقوم بدوره في توسيع رقعة دين الله تعالى فتكفي نيتك لتبلغك آمالك، ولا يلحقك من مساحات التخلّف شيء ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ

مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

١٣ ـ ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ تصلح دواءً للمجهدين والمعدمين والذين لا يملكون شيئاً يشاركون به في مَدِّ رقعة هذا الدين، وتوسيع منهج الله تعالى في الأرض.

١٤ ـ ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ لا تصلح عذراً للمتخلفين عن ساحات العمل، والمتمسكين بأهدابها عند التخلف والقعود.

١٥ ـ يستلم عملاً تطوعياً، ثم تبدأ رحلة تخلفه، وأول ما يُناقش في تخلفه يردد ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ أحشفاً وسوء كيلة!

١٦ ـ ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ بعد أن يبذلوا كل شيء في سبيل الله تعالى، ويستفرغوا وسعهم في تلك الغايات.

١٧ ـ هل رأيت معدماً وفقيراً ومقعداً وعاجزاً يبكي لأنه لم يجد شيئاً يشارك به في خدمة الإسلام؟! ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ هذه والله الحياة!

١٨ ـ يا حسرة على العباد، هذا مُقعدٌ عاجزٌ يبكي ألا يجد شيئاً يشارك به في خدمة دينه ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ وذاك موسر متعافٍ لم يجد مضضاً في قلبه على فوات تلك الخيرات.

١٩ ـ مؤلم لحد الوجع أن ترى مقتدراً في ساحات الإسلام لم يهب لدينه شيئاً رغم ما مَنَّ الله تعالى عليه من خيرات ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

٢٠ ـ كم من إنسانٍ مَنَّ الله تعالى عليه بعافيةٍ في جسده، وسعةٍ في ماله، وفضلِ وقتٍ في يومه، وجاهٍ وسلطانٍ ومكانةٍ في وظيفته، ولم يتشرَّف بعد بخدمة دينه حتى هذه اللحظة ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

٢١ ـ المسؤولية وتبعات الأحمال لأولئك الذين يملكون كل شيء ثم لا يتمكنون من المشاركة في شيء ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

❀ ❀ ❀

يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن
نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ
عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ
لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ
إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن
تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ
﴿٩٦﴾ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ
حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ
ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ
عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا
يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ
سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٩﴾

التفسير

• ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ أي المنافقون ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إذا عدتم من الجهاد ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّا تَعْتَذِرُوا﴾ عن تخلفكم ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ فلن نصدقكم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ أعلمنا الله تعالى عن سبب تخلفكم ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ يطلع الله تعالى على عملكم وأخباركم وسيُعْلِمُ بها رسول الله ﷺ ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ السر ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ العلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ فيخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾ بأعمالكم كلها.

• ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إذا رجعتم إليهم ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ حتى لا توبخوهم وتعاتبوهم ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ اتركوهم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ خبثاء ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مقرهم جهنم يوم القيامة ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾ بسبب كسبهم.

• ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ حتى ترضوا عنهم ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ الخارجين عن طاعة الله تعالى.

• ﴿الْأَعْرَابُ﴾ سكان البادية ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من غيرهم ﴿وَأَجْدَرُ﴾ وأحق وأحرى ﴿أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ من الشرائع والأحكام لبعدهم عن مواطن العلم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يصلح عباده ﴿حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ في تدبير أمره وشأنه.

• ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ من الزكوات والصدقات ﴿مَغْرَمًا﴾ غرامة وخسارة ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ وينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ الأحداث والمصائب

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ عليهم المصيبة والشر ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقولون ﴿عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ بما يفعلون.

• ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ كحال أهل الإيمان ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ينـوي بهـا القربة عنـد الله تعالى ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ ويرجو بها كذلك دعـاءه ﷺ لهم وتبريكه عليهم ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ ما دامـت بهذا الوجـه ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾ يشملهم برحمته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ بالمؤمنين.

التدبر

١ ـ الأعذار الواهية لا يلقي لها الإسـلام بالاً ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

٢ ـ الكـذب والزيف لا يسـتطيع تغليف الحقائـق ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾ يستطيع كثيرون الخروج من مآزق الحياة كذباً وزوراً، غير أنهم فـي الحقيقة يقعون على وجوههم فـي الوحل! يمكنك أن تعتذر بما ينجيك من مساءلة مَنْ أمامك، ولكنك توغل في الظلام في جناب ربك. الأعذار الواهية لا يمكن أن تصنع لك واقعـاً أو تخرجك من الوحل، وإنما تزيدك ظلاماً وفساداً.

٣ ـ ثمة يوم كاشف لأستار كل شيء ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾ حتى لو طالت أيام الظلام، سيأتي فلق الصبح بالحقائق كاشفة الرأس.

٤ ـ الجرأة على الأيمان، والعبث بشعائر الله تعالى، وعدم تعظيمها دليل على النفاق ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

٥ ـ جزء كبير من مظاهر المرض، وأعراضه، أن يصبح رضا المخلوقين أحب إلينا وأقرب من رضا الله تعالى ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

٦ ـ كم مرة وقعنا في هذا المشهد بوعي، أو دون وعي ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

٧ ـ يغيب عن دوامه، ويتخلّف عن واجبه، ويجد مضض الحرج من مسؤوله؛ فيشتري تقريراً مزوّراً ليشتري به رضا مسؤوله، ولا يبالي برضا ربه في هذا الشأن ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

٨ ـ يحلف في قضية أيماناً مغلظة، وهو كاذب فيها؛ ليخرج من حرج المخلوقين، ولا يهمه الوقوع في حضيض الخسران ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

٩ ـ البيئات التي يشح فيها العلم مظنة للجهل والضلال ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ فالأصل في الأعــراب أنهم من بيئات نائية بعيدة عن مظان العلم؛ فينتشــر فيها الجهل، وتمتدُّ رقع الضلال.

١٠ ـ العلم مؤذن بمساحات الربيع في كل واقع يحل فيه ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ بدلالة مفهوم الآية، وهو مشهد لا يحتاج إلى دليل لثبوته.

١١ ـ ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ صورة طبيعية جداً لأثر تخلّف العلم عن بيئة من البيئات.

١٢ ـ كثيرة هي صور الأعراب في مثل هذا المعنى في واقعنا! ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾.

١٣ ـ يبذلون في عشاءِ ليلةٍ مئات الريالات، ويشترون في أخرى ملابس بآلاف الريــالات، وإذا دعوا لصدقةٍ مــن الصدقات أدخل يده وأخرجهــا مراراً، ولم يخرجها حتى عدَّ ما فيها والحســرات تأكل قلبه، ثم دفع بها كأنما دفع بنفسه ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾.

١٤ ـ من صور هذا المعنى ما يقدمه لله وفي سبيله تعالى لا يكاد يبلغ (١٪) وما بقي فهو في طريق الشهوات ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾.

١٥ ـ انظر لنفسك، وتأمل راتبك، وأعد النظر في كل ما يدخل إليك؛ كم منها لله تعالى؟! وكم منها لشـهواتك؟! كم منها لدينك، لمشروعك، لقضيتك؟! وكم منها للماديات كل يـوم؟! ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾.

١٦ ـ ثمة نفوس تغلب فيها الفطرة شحَّ العلم ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾.

١٧ ـ البيئات لا تخلـق عائقاً إلّا أمام النفوس الهشـة، والطموحـات المتدنية، والأرواح المثقلة بالكسل والتواني ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ أعـرابٌ، وفي بيئات ضعيفة هشة من العلم، ولكنهم بلغوا آمالهم كما يريدون.

١٨ ـ كم من طالبِ علمٍ بلغ مراتب الكبار، وهو في بيئات ضعيفة علمياً متدنية روحياً، وآخر في عمق الحياة العلمية، ولكنه على الهامش، لم يحرّك ساكناً، ولم يبلغ منـاه فـي شـيء ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾.

١٩ ـ لدينا قدرات وإمكانات تتفوّق على البيئات التي نعيش فيها، ولا تحتاج منا إلّا إلى حث. مشكلتنا الكبرى أننا نستسلم من أول مرة، ونقزّم هذه القدرات، ولا نفيض في إشاعة مساحاتها في تلك البيئات ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾.

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ
ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ
وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ
سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾
وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا
عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ
صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ
لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ
ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ
وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا
يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

التفسير

• ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ الذين سبقوا بإسلامهم ﴿مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ الذين خرجوا من مكة إلى المدينة ﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ وهم سكان المدينة ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ اتبعوا المهاجرين والأنصار ﴿بِإِحْسَـٰنٍ﴾ في القول والعمل ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ فقبل طاعتهم ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ لما أعطاهم من فضله ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ لا يخرجون عنها ﴿ذَٰلِكَ﴾ ما نالوه من نعيم ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ أعظم فوز.

• ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ استمروا عليه وزادوا فيه ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ يا رسول الله ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ نعرف حالهم ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ مرة في الدنيا بما يحصل لهم من الغم والهم وكشف أستارهم، ومرة في القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أقروا بها وندموا عليها ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا﴾ طيباً ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ خبيثاً ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ يوفقهم للتوبة، ويقبلها منهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ بالمؤمنين.

• ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ أي الزكاة المفروضة في أموالهم ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ من الذنوب ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ تنمّيهم، وتزيد في أخلاقهم ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ادع لهم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ طمأنينة لقلوبهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقولون ﴿عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ بما يفعلون.

• ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ برحمته وسعة فضله ﴿هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ يتوب عليهم إذا تابوا إليه ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يتقبّلها منهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ كثير التوبة ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ واسع الرحمة.

• ﴿وَقُلِ﴾ يا رسول الله ﴿ٱعْمَلُواْ﴾ ما يرضي الله تعالى ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ولا بد أن يتبين ويتضح كل ما تعملونه ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ في نهاية الأمر ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ السر ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ العلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ فيخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ في الدنيا.

• ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ من المخلّفين ﴿مُرْجَوْنَ﴾ مؤخرون ﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ لحكم الله تعالى ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ بما يحكم الله تعالى فيهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال العباد ونيّاتهم ﴿حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ في تدبير أمره وشأنه.

١ ـ فرق كبير بين السابق في أيام الحاجة واللاحق بعد ذلك ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ لكلٍّ درجةٌ وجزاءٌ على حسب جهاده، ومرحلته التي عاشها، ولا يمكن أن يتساوى من صبر على أثقال الطريق، ومن عاش في بيئات تدفعه لكل معروف.

٢ ـ البيئات التي يضعف فيها العلم، ويقل فيها المعين، وتنضب فيها روح المبادرة، يكون ثمن العمل فيها مضاعفاً ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾.

٣ ـ عدل الإسلام ورحمته ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ ألا تراه مَايَزَ بين السابقين للإسلام ومن جاء متأخراً، بناءً على تكاليف الطريق في كل مرحلة من تلك المراحل التي عاشوها.

٤ ـ ليس معك في يوم الجزاء إلّا تعبك، ورحلتك، وتاريخك، أياً كانت مرحلتك التي عشتها، وواقعك الذي بدأت منه حياتك ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ الإسلام في النهاية يقيّم جهدك بغض النظر عن واقعك الذي تعيشه، ومساحتك التي ولدت فيها.

٥ ـ من فجر التاريخ إلى يومنا هذا لم تخل بيئة من البيئات من النفاق وأهله وحمّال فكرته ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

٦ ـ من الناس من يتخلّق بالنفاق، ومنهم من يحمل فكرته، ويقوم به في العالمين على أنه مشروع ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

٧ ـ في واقعك مَنْ لا يمكن أن يتخلّص من النفاق، لكنه في حدود ذاته ونفسه، ومَنْ يرفع رايته ويعيش به مناهضاً للحقائق في كل مكان ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

٨ ـ ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢) ﴾ هذه الصورة هي البيئة السائدة في كل مكان، ورحمة الله تعالى أقرب ما تكون إليهم مع الإصلاح.

٩ ـ الاعتراف بالذنب والخطيئة يسقط أحمالها ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢) ﴾.

١٠ ـ أسوأ شيء أن يقترف الإنسان الذنب، ثم يجادل أنه لم يحمل من أوضاره شيئاً ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢) ﴾.

١١ ـ الاعتراف بالخطيئة على سبيل الذل والخوف والوجل، وسؤال الله تعالى مغفرتها ومحوها، ومحاولة إبدالها بصالح العمل صناعة الجادين ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢) ﴾.

١٢ ـ فرق كبير جداً بين مخطئ مذنب، يشعر بذنبه في كل خطوة، ويخشى على نفسه قبل الفوات، هذا هو الاعتراف النافع، ومخطئ لا يجد لذلك أثراً، ويرى نفسه أنه من الصالحين ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢) ﴾.

١٣ ـ الصدقات تمحو أوزار المخطئين، وتلقي بها في ساحات عفو الله تعالى كأنها لم تكن شيئاً ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) ﴾ وفي الحديث: «**صدقة السر تطفئ غضب الرب**»(١).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن معاوية بن حيدة، قال المنذري في الترغيب رقم (١٣٠٤): لا بأس به في شواهده. وأورده الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٧٥٩).

١٤ ـ الصدقات طهارةٌ للنفوس، وزكاة لها من أوضار الشح والبخل، ورزايا الأخلاق الرذيلة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

١٥ ـ تعلّم دائماً أن قيمة العطاء من أكثر القيم التي تربي النفوس على المعالي ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

١٦ ـ قيامك بحقوق الله تعالى كفيل بتأهيلك، وجعلك أُنموذجاً صالحاً للبناء ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ عطاء المال كفيل بالتطهير والتزكية، وهي جزء من التأهيل التي تنشده قيمة العطاء في النفوس.

١٧ ـ إذا عرف الإنسان ربه حقيقة ألقى إليه بكل شيء ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

١٨ ـ مشكلة الكثيرين أنهم لم يعرفوا الله تعالى بعد ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

١٩ ـ الجهل بالله تعالى مؤذنٌ بفوات كثيرٍ من الخيرات ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

٢٠ ـ كل الذين انتحروا، وقتلوا أنفسهم، لم يعرفوا عن الله تعالى شيئاً ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ ماذا لو علموا أن الله تعالى يقبل توبتهم، مهما كانت الذنوب التي واقعوها!

٢١ ـ ومثل ذلك اليائســون من رحمة الله تعالى، والقانطون من مغفرته، هم في أَمَسِّ الحاجة إلى إعادة قراءة هذا المعنى الكبير ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

٢٢ ـ مهما كان تأخرك، فالعمل يعوّض كل فائت، ويأتي بالآمال من جديد ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ المهم أن تبدأ الآن، وتتخلى عن فكرة التشـاؤم التي تطاردك في كل مرة.

٢٣ ـ كل ما تقدِّمُ من عمل، وما تكتب من جهد هو في عين الله تعالى، لا يغيب عنه شـيء ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ فلا تتخلّف عن الطريق، ولا تتهاون في الجهد، ولا تبعثر نيتك لغير الله تعالى!

٢٤ ـ نتائـج الغد وقف علـى نوع العمـل ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ سيراه الله تعالى سواءً كان صالحاً أو باطلاً، صحيحاً أو فاسداً، كبيراً أو صغيراً، عظيماً أو هشّاً، لن يغيب عنه منه شيء.

٢٥ ـ التخلّف عن مساحات العمل مُكْلِفٌ في النهاية ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

٢٦ ـ لو لم يكن من أثر التخلّف إلّا خمسين الليلة التي قضوها في الهجر لكانت كافية في سوءة التخلّف ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

٢٧ ـ وإذا أراد عاقل أن يقف على نتائج التخلّف عن المشاركة في مساحات هذا الدين، فليقرأ خبر الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ ما العقوبة التي تلقوها، والدروس التي فقهوها في تلك الحقبة من الزمن؟!

٢٨ ـ خمسون ليلة لا يكلمهم أحد في المدينة، ويمنعون من أزواجهم، ويتلظون من أثر الهجر زمناً، عقوبة التخلّف عن غزوة، فما عقوبة المتخلّف عن فرض عين، أو كفاية، لم يجد من يحمل أثقاله من رقاب الأمة حتى الآن ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾.

٢٩ ـ من فقه المربي لأصحابه، والقائد لأتباعه، أن يقرر عليهم هذه القصة، كدرسٍ في عواقب التخلّف عن مشاريع الأمة التي ما زالت تنتظر من يقوم بها في العالمين ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ
وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾
لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ
أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ
ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ
مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا
جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ
إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ
ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ
ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ
وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ
أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم
بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾

التفسير

- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا﴾ ابتنوا مسجداً لغير طاعة الله تعالى ﴿ضِرَارٗا﴾ مضارة للمسلمين، ومخالفة لهم، وتفريقاً لكلمتهم وجمعهم ﴿وَكُفۡرٗا﴾ وقصدوا به ما هو كفر ﴿وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وقصدوا به التفريق بين جماعة المؤمنين ﴿وَإِرۡصَادٗا﴾ إعداداً ﴿لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ إعانة لمن حارب الله تعالى ورسوله من قبل ﴿وَلَيَحۡلِفُنَّ﴾ المنافقون الذين بنوا المسجد ﴿إِنۡ أَرَدۡنَآ﴾ ببناء المسجد ﴿إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾ الإحسان إلى الضعيف والعاجز ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧﴾ في قولهم وفعلهم.
- ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ﴾ لا تُصَلِّ في مسجد الضرار ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ مسجد قباء ﴿مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾ من أيام تأسيسه ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ تصلي فيه ﴿فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ﴾ من الذنوب والأوساخ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ المتنظّفين حِسّاً ومعنى.
- ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ﴾ على نية صالحة ﴿وَرِضۡوَٰنٍ﴾ من الله تعالى ﴿خَيۡرٌ﴾ أفضل ﴿أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا﴾ طرف ﴿جُرُفٍ هَارٖ﴾ حفرة آيلة للسقوط ﴿فَٱنۡهَارَ بِهِۦ﴾ سقط به ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩﴾ فلا يدلهم على ما ينفعهم، ولا يعينهم عليه.
- ﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ﴾ مسجد الضرار الذي بنوه ﴿رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ سيبقى شكهم ونفاقهم وإن أزيل بناء ذلك المسجد ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ بالندامة والحسرة أو بالموت ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال العباد وأفعالهم ﴿حَكِيمٌ ١١٠﴾ في تدبير خلقه وشأنه.

• ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ مقابل ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى ﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ خالصاً لوجهه ﴿فَيَقْتُلُونَ﴾ الأعداء ﴿وَيُقْتَلُونَ﴾ في سبيل الله تعالى ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ أي هذا الوعد في هذه الكتب من كتب الله تعالى ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ فلا أحد أوفى منه تعالى ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ أظهروا السرور به ﴿وَذَٰلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ الذي لا يماثله فوز.

التدبر

١ ـ زرع الشقاق والخلاف في الأمة منهج يثريه النفاق في كل زمان ومكان ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

٢ ـ الاجتماع والائتلاف قوة، تتكسّر عليه قوى الأعداء، ولا تجسر على اختراقه ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

٣ ـ كل منشط، أو فكرة، أو مشروع، يخل بنظام الاجتماع، ويحدث تفرقاً في الصف؛ فهو ضرار يجب الوقوف أمامه، والحيلولة دون إقامته ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

٤ - الساحة تسع الكل، وكل من أراد أن يشارك في بناء دينه، ودفع مسيرته فله ذلك، بشرط ألا يزاحم منشطاً آخر، أو فكرة قائمة، أو مشروعاً في المكان ذاته وإلَّا كان من الضرار ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

٥ - الوقوف في وجه المشاريع التي تزاحم مناشط الخير، أو تتوسّع على حسابها منهجٌ شرعي ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ لو لم يكن ذلك مشروعاً لما جاء هذا التشهير والمنع من المشاركة في إقامة مشاهده.

٦ - في مرَّاتٍ كثيرةٍ لا يمكن أن تبني مع النفاق شراكة في أي مشروع من المشاريع ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

٧ - الحقائق وإن كانت صادمة في بداية أمرها، لكنها تبني منهجاً واضحاً ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

٨ - المفاصلة بين الحق والباطل منهج شرعي، أسَّس قواعده القرآن الكريم، وشرّعت له السيرة أدواته التطبيقية العملية ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

٩ - الذين يعتقدون أن بعض الحقائق كافٍ، ومنتصف الطريق يبلّغنا النهاية، وموادعة العدو تقرّب لنا النهاية فهو واهم ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى

ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

١٠ ـ فرق كبير جداً بين مشروع قام للإسلام خالصاً، وآخر تشوبه شبهات النفاق، ومكر الأعداء ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

١١ ـ المشـــاريع المناهضة للحق، وإن كانت في بدايتها ضخمة وكبيرة ومؤثرة، لكنها ما تلبث أن تنهار دون غاية ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

١٢ ـ ليست القضية بناءً أو مسجداً أو وجود مشروع مناهض للإسلام في مساحة من الأرض، القضية عداء يجري في قلوب المنافقين، ويُكنّ للإسلام كل ما يسوء ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾.

١٣ ـ يَشْرَقُ المنافقون بكل مشروع للإسلام، وإنْ ضحكوا مسرورين في الظاهر لبنائه، أو صفّقوا مع المصفّقين في حضـــور حفله ومباهجه ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾.

١٤ ـ مسألة الجهاد ليست مجرد مشاركة، وإنما أرواح وأجساد أوقفت حياتها في سـبيل الله تعالى، تبتغي مرضاته ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾.

١٥ ـ الجهاد في سبيل الله تعالى عقد بيع بين صاحب الراية ورب العالمين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ إذا لم تتصوّر القضية فأعد قراءة الآية من جديد.

١٦ ـ كلَّما رأيت مجاهداً في سبيل الله تعالى صادقاً في الطريق، فاعلم أنه أجرى بينه وبين الخالق عقداً على أن يمضي في طريقه، وتكون له الجنان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾.

١٧ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ هل أنت من هؤلاء الذين جرى معهم العقد أم لا نصيب لك في مباهجه؟!

١٨ ـ إذا أردت أن تعرف حقيقة موقعك من هذا العقد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ فتأمَّلْ كم في وقتك ومالك لله تعالى، وفي سبيله!

١٩ ـ من تكاليف هذا العقد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ أنك لا تحسب ثمنه، أو تلوي رقبتك تحسب أثقاله وأتعابه، تمضي دون التفات!

٢٠ ـ سل نفسك هل أنت ممَّن جرى معه هذا العقد؟ أم اكتفى عنه بالقعود مع الخالفين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾.

❀ ❀ ❀

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ
ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ
لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ
أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ
إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ
أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَمَا
كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم
مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ
وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ
ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ
تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾

التفسير

- ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ الحاصلون على هذا الجزاء هم الملازمون للتوبة ﴿ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ المستمرون على العبادة ﴿ٱلْحَٰمِدُونَ﴾ لله تعالى ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ الصائمون ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ المكثرون من الصلاة ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ القائمون بهذه الفريضة، وهي الأمر بكل ما أمرت به الشريعة، والنهي عن كل ما نهت عنه ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ بكل ما يسرهم ويسعدهم.
- ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ لا يليق بهم أن يستغفروا للمشركين ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟﴾ هؤلاء المشركين ﴿أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾ أقارب لهم ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ من بعد ما عرفوا ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ من أهل النار لكفرهم.
- ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ وسبب استغفار إبراهيم لأبيه وهو على شركه ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ فإنما وعده بذلك قبل أن يعلم عاقبة أمره، كما في قوله تعالى: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ [مريم: ٤٧] ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ﴾ لإبراهيم ﴿أَنَّهُۥ﴾ أي والده ﴿عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ لكفره ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ من أبيه ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ رجّاع إلى الله تعالى ﴿حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ رحيم بالخلق يصفح عن الذنب، ويصبر على الأذى.
- ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ إذا منّ على قوم بالهداية، ووفقهم لها، فلا يعيدهم للضلال ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ به من

الأحكام والآداب التي تقوّي صلتهم بـالله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١١٥﴾ فلا يغيب عنه شيء.

• ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فهـو المالـك لها المدبّر لشـأنها ﴿يُحْيِۦ﴾ من أراد ﴿وَيُمِيتُ﴾ من أراد ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يتولى أموركم ﴿وَلَا نَصِيرٍ ١١٦﴾ يدفع عنكم المضارّ.

• ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ غفر لرسـوله ﷺ ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ وغفر للمهاجرين الذين هاجروا من مكة إلـى المدينة ﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ وغفر لسـكان المدينة، غفر لهم ذنوبهم وزلّاتهم، وما وقع منهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ وقت الشِّـدَّة، وهي غزوة تبوك ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ يميـل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ من المؤمنيـن حين همُّوا بالتخلف عن الغـزوة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ فقبـل توبتهم ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ﴾ بالذين كادوا يتخلفون ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧﴾ شديد الرحمة بهم.

التدبّر

١ ـ عناق نهايات الشرف لا يستحقها إلّا الجادون في الطريق ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١١٢﴾.

٢ ـ على قدر بذلك لدين الله تعالى تسـتحق بشـائر الخيـر والرضوان ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١١٢﴾.

٣ ـ الخطأ فرصة كبيرة جداً لعناق أعظم محبوبات الله تعالى التوبة ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ وفي الحديث: «**للهُ أفرحُ بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضلته في أرض فلاة**»[1] فلا تقعد بعد خطيئتك باكياً متحسراً، وإنما قم إلى إحداث التوبة، وأعد الحياة إلى قلبك من جديد.

٤ ـ اليسر والسعة من سمات هذا الدين، ألا تراه جعل التوبة من سيما تلك الأجيال التي رافقت نبي الله ﷺ في الحياة! ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾.

٥ ـ التوبة إلى الله تعالى، والاعتذار من الخطأ، والاعتراف بالتقصير: أول سلالم الطريق ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾.

٦ ـ العبادة هي السلّم الثاني للحياة ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ وقلَّ أَنْ تجد تائباً بصدق إلَّا وله وِرْدٌ بهيج من العبادة.

٧ ـ إذا أردت أن تقرأ مواصفات جيل النبوة، فاقرأ هذه المعالم الراشدة في حياتهم ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٣٠٩) ومسلم رقم (٢٧٤٧) عن أنس رضي الله عنه.

٨ ـ عدو الله تعالى لا يجوز بحال أن يسترقَّ قلوبنا في شيء ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ١١٣﴾.

٩ ـ من غير اللائق أن نقضي زمناً في الاستغفار لعدو، أمضى عمره كله في عداوة هذا الدين، ومناهضة طريقه في الحياة ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ١١٣﴾.

١٠ ـ العقيدة ليست فكرة شعورية، وإنما منهج حياة ضابط لتصرفات الإنسان في كل شيء ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ١١٣﴾.

١١ ـ مفاهيم العقيدة تقف على مسافة واحدة من كل إنسان ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ١١٣﴾ سواء كان هذا الإنسان نبياً لله تعالى، أو فرداً من عامة المسلمين!

١٢ ـ إذا رضي الله تعالى عن مخلوق صنع له كل شيء ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ١١٤﴾ أحبه الله تعالى، ورضي عنه ثم اعتذر له عن كل ما صنع مع والده.

١٣ ـ الاعتذار الصادر عن الكبار منهج شرعي ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ١١٤﴾ فإذا رأيت متعثراً في الطريق، وقد كانت له سابقة فمن حقه عليك وعلى الأمة أن تقف مناضلاً دون ما يصيبه من أحداث.

١٤ ـ القدوات مؤثرة في حياة الناس ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ وإذا صنعوا شيئاً يخالف المنهج في ظاهره فيجب أن يُوَضَّحَ حتى لا يقع الالتباس.

١٥ ـ من فقهك وكمال وعيك وتوفيقك أن تقرأ سيرة إبراهيم عليه السلام مرات، لعلك تقف على المواصفات التي بلّغته هذه المنازل الجليلة ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾.

١٦ ـ قراءة سير الكبار والاستفادة من مواقفهم وتجاربهم في الحياة من أكثر الطرق التي تعين الإنسان على النجاح ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾.

١٧ ـ إذا أردت لفكرة أو مشروع أن يأخذ حظه من الواقع، فانصب له قدوة يثير شجونها وآثارها في واقع الناس ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ لولا ذلك لما اعتذر الله تعالى عن فعل إبراهيم.

١٨ ـ الكبار يدركون المنهج ويحسنون التعامل معه بفن ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ فلا تتوقع أن مثل هذه القدوة تقع في مسألة عقدية وهي بهذا الحجم.

١٩ ـ الأصل أن الله تعالى إذا منّ على عبده بفضل وتوفيق وهداية، ألّا يسلبه منه حتى يبدده الإنسان بنفسه ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾.

٢٠ ـ إذا رأيتم ضالاً في الطريق بعد أن كساه الله تعالى الهداية، فذلك بعد إصراره على التفريط ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

٢١ ـ صُنّاع الفوضى في واقعهم كثيرون ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ ملّكهم الله تعالى أسباب التوفيق، فذهبوا يبددونها في غير الطريق القويم.

٢٢ ـ التقصير في الواجبات، والوقوع في المحرمات، وذنوب الخلوات أكثر مبدّدات التوفيق في حياة الإنسان ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ فإذا أضلهم الله تعالى بعد الهداية، فتلك نتيجة أخطائهم في الطريق.

٢٣ ـ ما رأيت مستوثقاً من دينه، قائماً بحقوق ربه، حافظاً لحدود الله تعالى، معظّماً لشعائره، إلّا وأدركت أنه بالغٌ مناه مهما طال الطريق ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ لأن هذا هو الأصل وما عداه عارض.

٢٤ ـ هذه الآية كافية في تأسيس الثقة في نفوس المؤمنين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ كل العالم الذي تراه حولك بكل من فيه لا يملكون شيئاً.

٢٥ ـ لا تتعلّق بمخلوق مهما بلغ مقامه، يكفيك هذا المعنى الكبير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾.

٢٦ ـ يزعمون أنهم يصنعون تغييراً في العالم وفاتَتْهم هذه الحقيقة المثيرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾.

٢٧ ـ الطواغيت الذين تراهم يعيثون فساداً في الأرض، بعضُ خلق الله تعالى، يتصرف فيهم كيف شاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾.

٢٨ ـ العمل والصبر على لأواء الطريق في أيام الشدة مؤذنٌ بمباهج الختام لأصحابه ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾.

٢٩ ـ فرق كبير بين من يعلنون عن الهوية في أيام البلاء والفتن والأزمات، وبين من يأتون في أيام النعيم ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾.

إنَّ الزِّعامَــةَ والطَّريقُ مَخُوفَةٌ غيــرُ الزِّعامَــةِ والطَّريقُ أمانُ

٣٠ ـ أيام الفتن والبلاء، والأزمات وقلة الأعوان، هي الطريق الكاشف لحقائق السائرين في الطريق ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾.

٣١ ـ مواقف الشرف تأتي ماشية على أقدامها في أوقات الأزمات ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾.

٣٢ ـ حتى الكبار يخطئون ويحتاجون إلى إغضاء ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ فلا تقلق إن وقعتَ يوماً إذا صحَّتْ منك التوبةُ والعزيمة. وإذا رأيت كبيراً وقع، فالتمس له عذراً، وخُذْ بيده للقيام من كبوته، واحمِلْه على أحسن المحامل والظنون.

٣٣ ـ الشريعة لا تحابي كبيراً، مهما بلغ شأنه، ولكن في ثوبٍ من الأدب والرقي والأخلاق ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾.

٣٤ ـ من كمال وعيك وشـريف علمك ألا تركن إلى عملك ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾.

٣٥ ـ سل الله تعالى الثباتَ على دينه تعالى، وإيَّاكَ والغرور! ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ فأعظم الأجيال التي زكّاها الله تعالى كادت تضل لولا لطف الله تعالى بها، ولذلك كان من دأب النبي ﷺ سؤال ربه الدائم: «**يا مُقَلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِيْنِكَ**»[1].

٣٦ ـ التخلّف والقعـود عن العمل لدين الله تعالى مـع الإمكان مؤذن بالضلال والضياع ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ وكم ممن تخلّف عنـد القيام بواجبه، فأزاغ الله تعالى قلبه، وهو لا يدري من أين أصابته الأحداث!

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢١٤٠) واللفظ له، وأحمد (١٣٦٩٦) وابن ماجه (٣٨٣٤).

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا
رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ
إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ
ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن
نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا
مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ
ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ
عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا
يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا
إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ
﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ
مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ
قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

التفسير

• ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾ ولقد تاب الله تعالى على الثلاثة، وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع ﴿ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ عن الخروج مع المسلمين في غزوة تبوك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ ضاقت عليهم مع رحبها وسعتها بالهجر الذي واجهوه ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ ضاقت صدورهم بما نالهم من الوحشة ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ علموا وتيقنوا ﴿أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ فلا يخرجهم ممَّا هم فيه إلَّا الله ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أذن في توبتهم، ووفَّقهم لها ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ عن ما وقعوا فيه من إثم التخلف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ كثير التوبة والصفح والعفو ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ بكل صاحب خطيئة.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ من جملة الصادقين مع الله تعالى ومع الخلق.

• ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ﴾ من المهاجرين والأنصار ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ الذين بجوارهم ﴿أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ في كل أمر، ومن ذلك الجهاد ﴿وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ فيؤثروا الراحة لأنفسهم، ويتركوا رسولهم ﷺ في التعب والمشقة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخۡمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مجاعة ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئًا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ ولا يمشون في الطريق أثناء الغزوة ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا﴾ قتلاً أو أسراً ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ

عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾ حسنات مقبولة عند الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ بل يوفيهم إياه بأعظم الثواب.

• ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ من أموالهم ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا ﴾ في ذهابهم إلى عدوهم ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ ﴾ أجر ذلك ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ بأفضل مما كانوا يعملون.

• ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾ جميعاً لقتال الأعداء ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ من كل جماعة ﴿طَآئِفَةٌ ﴾ مجموعة تنفر للجهاد في سبيل الله تعالى ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ وبقيت طائفة أخرى مع رسول الله ﷺ ليتفقهوا في الدين بما يسمعونه منه ﷺ ﴿وَلِيُنذِرُواْ ﴾ القاعدون ﴿قَوْمَهُمْ ﴾ الذين ذهبوا للقتال ﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾ من الجهاد ﴿لَعَلَّهُمْ ﴾ أي الراجعين من الجهاد ﴿يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ ما نهوا عنه.

التَّدَبُّرُ

١ ـ الصدق يصنع خواتيم الفرح ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ صدقوا مع الله تعالى، وتحملوا أثقال هذه القيمة الكبرى، ثم بلغوا آمالهم التي يريدون.

٢ ـ كم هي مباهج هذه القيمة في حياتك كل يوم؟ وكم مرة اغتيلت في مواقف لا تستحق ذلك! ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

٣ ـ إذا رصدنا هذه القيمة في بيوتنا، وتعاملنا مع أزواجنا، وأولادنا، ووظائفنا، وأصدقائنا، ربما نكتشف كم هي حاجتنا لوعي هذا النداء الرباني، في كل لحظة من حياتنا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

٤ ـ القيم الكبرى مُكْلِفَةٌ، ولها تبعات وتحتاج إلى كبار ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ كلّفهم الصدق عناء خمسين ليلة بكل ما فيها من عناء ومشاق.

٥ ـ في أيام البلاء لا تَعْتَصِمْ بغير الصبر، تأتيك من خلاله ظلال التوفيق ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

٦ ـ للتوبة تكاليف ومشاق، تحتاج إلى عناء وهموم ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ لا تتصوّر أن التوبة كلمة باردة، ثم تُلقي بأثقال الذنوب على قارعة الطريق وتمضي.

٧ ـ خطأ الكبار يجب أن يأخذ حقه من التأديب ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ لأن شأن القدوة كبير في حياة الناس، فلا بد أن تجري العقوبة على قدر أثرها في مستقبلهم.

٨ ـ الابتلاء سنة ربانية يرفع الله تعالى بها أولياءه في الحياة ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ وعلى هذه السُّنَّةِ قامت الحياة.

٩ ـ الابتلاءات كثيرة، ومتعددة، ومتنوعة، فكن مستعداً وتوكل على الله ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ ولو لم يكن من ذلك إلَّا الابتلاءات التي بينك وبين نفسك، في بيتك وزوجك، ووظيفتك وفي طريقك، فلا تذهب بعيداً، فيمكن أن تصيبك من أقرب مكان.

١٠ ـ العقاب منهج شرعي يجب أن يجري بجانب الثواب لا فرق، والخلل في أحدهما خلل في النتائج ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ في مثل هذا الواقع لا يصلح إلَّا العقاب، حتى لا تغرق النفوس بالشهوات، وتترك ميادين الجهاد في مستقبل الأيام.

١١ ـ ليس من اللائق التخلّف عن النبي ﷺ في ساحة من ساحات العمل، سواء في أيام حياته، أو بعد موته، في مشاريع سنته ومنهجه ورسالته ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ

عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٢٠ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٢١﴾.

١٢ ـ إذا استطعت ألا تتخلّف عن مشروع لسُنَّة النبي ﷺ فافعل، حتى لا تلحقك العتبى الربانية على تخلفك عن ساحة جهاد ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٢٠ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٢١﴾.

١٣ ـ هذه الآثار المحسوبة في رايات الجهاد بالأمس ليس في رايات السيف فحسب، وإنما تجري حتى في رايات المشاريع التي تقيم منهج الله تعالى في كل حين ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٢٠ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٢١﴾.

١٤ ـ إذا كانت المشاركة الجسدية صنعت مثل هذا الاحتفاء؛ فكيف بالمشاركة الفكرية في صناعة قصة المشروع من بدايته حتى النهاية! ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا

يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾.

١٥ ـ إذا خرجت من بيتك تدير مشروعاً للأمة، فاقرأ في طريقك هذه السلوى لأحداث مشروعك ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾.

١٦ ـ أياً كانت نفقتك في مشاريع الخير، سواء كانت فكرية، أو شعورية وجدانية، أو مالية، أو جسدية، ستراها أمثل ما تكون في يوم الحساب ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾.

١٧ ـ ترتيب صفوف الأمة، وتنظيمها، وتوزيع الأدوار بينها مطلبٌ مُلِحٌّ لنجاح فكرتها ومشروعها الذي تدير دفته في الحياة ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

١٨ ـ التعرف على مشاريع الجيل الناهض ضرورة حتى يتم استيعاب تلك الطاقات في مكانها المناسب ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

١٩ ـ شعور الأمة بفروض الكفايات لا يكفي في تحقيق نجاحها، وإنما توزيع طاقاتها على تلك الأدوار هو الكفيل ببلوغ آمالها الكبرى ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

٢٠ ـ حين ضاعَ أو افتُقِدَ هذا المعنى ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ أثِمَتِ الأمة لضياع بعض فروض الكفايات من واقعها.

٢١ ـ فرق بين حامل راية الجهاد، وراية العلم، وراية الإعلام، وراية التربية وغيرها من الرايات، ومَنْ يصلحُ هنا لا يَصْلُحُ هناك، وقدرة الأمة على توزيع طاقاتها في كل مكان بدقة نوع من الذكاء لإقامة دين الله وتحقيق مقاصده الكبار ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

٢٢ ـ هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ تؤسس للفكرة الناهضة (مشروع العمر)، وأن واجب كل إنسان أن يعرف قدراته ومهاراته وإمكاناته حتى يقوم عن الأمة بفرض الكفاية الذي لا يحسنه غيره.

❀ ❀ ❀

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ
وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾
وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ
إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا
إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا
يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ
سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ
ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ
﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ
إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

التفسير

• ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ قاتلوا القريبين منكم من أهل الكفر ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ بالنصر والتأييد.

• ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ من القرآن ﴿فَمِنْهُم﴾ من المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ لمن معه ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ﴾ السورة النازلة ﴿إِيمَـٰنًا﴾ بالله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ﴾ السورة النازلة ﴿إِيمَـٰنًا﴾ بالله تعالى ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ يبشّر بعضهم بعضاً بما منّ الله تعالى عليهم من فهمها ومعرفة معانيها.

• ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شكٌّ ونفاق ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ كفراً ﴿إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ كفرهم ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ لم تنفعهم هذه الآيات.

• ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ هؤلاء المنافقون ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يختبرون ﴿فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالمصائب والبلايا، أو الأوامر والنواهي من ربهم ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ لا يعودون عن غيّهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ ما ينفعهم في دينهم.

• ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ من سور القرآن ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ متآمرين على تركها ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ من المؤمنين ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ معرضين عنها ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ صدّها عن الخير ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ أمر الله تعالى.

• ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من جنسكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يشقُّ عليه ما يشقُّ عليكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ بكل ما ينفعكم ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ شديد الرأفة والرحمة بهم.

• ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فَقُلْ﴾ يا رسول الله: ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ كافيني في كل شيء ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا شريك له ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اعتمدت ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ الذي هو أعظم المخلوقات.

التَّدَبُّر

١ ـ الحذر من العدو، والتكتّل قدر الوسع في وجهه، والاستعداد الأمثل لمقاومته نوعٌ من فنِّ إدارةِ المعركة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

٢ ـ العدو القريب المجاور للأمة أشدُّ بأساً وأثراً عليها، ومِنْ فقه المعركة التربص به، والانشغال بتوهين قوته، وكسر شوكته، حتى لا يفتح على الأمة باباً هي في غنًى عنه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

٣ ـ الاستعداد للعدو، وأخذ القوة الممكنة لدفعه واجب، لأنه لا يمكن قتاله والنصر عليه إلَّا بذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

٤ ـ القتال المشار إليه في الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ أصل في جهاد

السيف، ويلحق به كل صورة من صور الجهاد الأخرى، سواء جهاد العلم والأفكار والمفاهيم أو غيرها.

٥ ـ الحرب على المفاهيم والقيم، من خلال الإعلام، من أعظم الأدوات التي بات يؤثّر بها العدو علينا على بعد مساحاته عنا، وبالأمة ضرورة إلى التفرغ لمواجهتها، وإيقاف زحفها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

٦ ـ سلاح العلم أعظم الأسلحة التي يواجهنا بها العدو اليوم، وقتاله ومقاومته لا تتم إلَّا من خلال الوسيلة نفسها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

٧ ـ على الأمة اليوم أن تفقه أن الحرب التي تدار عليها من عدوها هي حرب القيم والمبادئ والأصول، وإذا انهزمت في هذه المعاني فقد انهزمت في كل شيء ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

٨ ـ التوكل على الله تعالى، والإقبال عليه، والثقة بنصره: أعظم مقومات النصر في كل معركة تُدار مع العدو ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٩ ـ الاستعداد المعنوي، من خلال عقائد الإيمان، والتقوى، والصلاح، ومدد الروح: أعظم الأسباب الموجبة للنصر والفلاح ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وحاجة الأمة اليوم إلى وعي هذا المعنى أكبر من كل حاجة.

١٠ ـ بث الطمأنينة، والوعد بالنصر، وتقريب المسافة: فنٌّ يجب ألا يفوت صاحب الراية في كل موقع ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

١١ ـ الاستهزاء بضاعة النفاق في كل زمان ومكان ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ وإذا حلت فتنة في واقعك؛ فسترى بساط النفاق على مصراعيه!

١٢ ـ القرآن مورد عذب لزيادة الإيمان في قلوب قُرّائه ومتدبريه ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ وإذا أردت أن تلقى ربيعاً مورقاً في أيامك، فيمم وجهك نحو كتاب الله تعالى تلاوة وتدبراً.

١٣ ـ ماذا لو فقه كل فرد أن ورد القرآن واجب في وقته، ورأس وأصل في يومه، وأن كل أعماله تبع لهـذا المعنى الكبير ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

١٤ ـ القلوب المريضة لا تكاد تنتفع من القرآن بشيء ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ وكل هذه القوارع التي تستدر الدمع من عينك لا تصنع في واقع تلك القلوب شيئاً.

١٥ ـ الأحداث لا تكاد تصنع فارقاً في قلوب المعلولين ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ كم مرة خرجوا من شفير حدث ولم يصنع فيهم جديداً!

١٦ ـ يشهدون حوادث الموت، ويشيعون الجنائز، ويرون ظلام القبور، ويودعون في كل مرة بعضاً من أصدقائهم وأقاربهم، ولا يتغيّر من حياتهم شيء ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾.

١٧ ـ القلوب التي لا تصنع فيها مشاهد الأحداث عظة وعبرة لا تكاد تنتفع بواعظ في الحياة ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾.

١٨ ـ ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ نافذة على ظلام النفاق!

١٩ ـ ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ هذا الحدث من المنافقين ليس عند نزول القرآن فحسب، وإنما في كل مشهد طاعة تراهم يبحثون عن مخارج للهروب.

٢٠ ـ كل ما قام مشهد للحياة في واقع الأرض قاموا يبحثون عن أعذار الخروج ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

٢١ ـ لا تفرح بمنافق في صف الجماعة! ولا تعلّق أملك في مشروع للأمة على أحدٍ من هؤلاء! حتى لو حبسته بين يديك، سيبحث عن ألف عذر للفرار ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

٢٢ ـ واقعك الذي تعيشه نتيجة لخطواتك الأولى التي صنعتها في سابق أيامك ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

٢٣ ـ ﴿ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ نتيجة نهائية لخطوات البداية ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ﴾.

٢٤ ـ من أعظم المنن على هذه الأمة بعثة رسول الله ﷺ إليها ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ فما أحوج الأمة إلى فقه هذا المعنى والفرح به في كل حين.

٢٥ ـ من أعظم مشكلات الأمة اليوم أنها لم تتعلم من سيرة نبيها ﷺ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

٢٦ ـ إلى الباحثين عن الحياة: دونكم هذا المعين الصافي ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

٢٧ ـ ما لم تتحوّل سيرة هذا النبي إلى منهج حياة لكل فرد في هذه الأمة، وإلّا سيطول انتظار أزمان العز والتمكين ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

٢٨ ـ من الواجب على الوالد والمعلم وإمام المسجد والمسؤول عن كل مشروع أن يجعل هذه السيرة أصلاً وبدايةً في شأنه كله ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

٢٩ ـ سيرته ﷺ ليست هي الركام المعرفي الذي نردِّده في كل مناسبة، وإنما هي الترجمة العملية التطبيقية للأحداث التي عاشها، والأفكار التي بثها، والمفاهيم التي رسخها، والجوانب العملية التي طبقها في سيرته وحياته! ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

٣٠ ـ رسول لا يتخلّص برسالته من واجب على عنقه، وإنما يشعر بنا في كل لحظة من حياته ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ أليس من حقه علينا أَنْ نحتفلَ بسُنَّته، ونناهض بها عدوه!

٣١ ـ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ مشهد لصورة الداعية الذي يمكن أن يصنع تغييراً في واقع أمته.

٣٢ ـ الدعوة قبل أن تكون بلاغاً لوحي، هي روح ومشاعر ووجدان، تفيض من حياة حاملها على العالمين ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

٣٣ ـ يا صنّاع الحياة! اصنعوا لأمتكم جيلاً من الدعاة والمصلحين، يحمل هذه المؤهلات ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ ولا يمكن أن يتم هذا المعنى إلَّا من خلال المراكز والمعاهد المتخصصة لهذا الشأن الكبير.

٣٤ ـ الذي لا يحمل مشروعه بهذه الروح، لا يستحق أن يكتب شيئاً في واقع الحياة ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

٣٥ ـ الذين لا يستجيبون للدعوة، ويتولون عن مشاهدها، لا يستحقون ثمارها اليانعة في النهاية ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾.

٣٦ ـ لا تلتفت للمعرضين والمتخلفين والمتأخرين عن هموم هذه الدعوة، توكل على ربك، وشمّر عن ساعد الجد وواصل الطريق ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾.

٣٧ ـ لا تستعطف المتأخرين، أو تقف تنتظرهم في قارعة الطريق، الدين لا يحمل في طريقه إلَّا الجادِّين ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾.

٣٨ ـ البلاغ، وإيصال الرسالة، هو دور الداعية والمصلح، وليس من شأنه قبول الناس للحق، أو رفضهم له ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾.

٣٩ ـ من فقه الدعوة أَنْ يتعلَّمَ صاحبها العقيدة قبل أن يبدأ بدرسها في العالمين ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾.

٤٠ ـ الانتصار الحقيقي للداعية هو الالتزام بواجب الدعوة، والقيام على مشروعها الكبير، وليس في أعداد المهتدين على يديه ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾.

٤١ ـ يجب أن يكون انشغال الدعاة، وأصحاب الرسالة، وحملة الأفكار برسالتهم، وواجب مشروعهم: أولى من انشغالهم بأعداد التابعين لهم ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾

❀ ❀ ❀

المحتويات

سورة المائدة ٥

سورة الأنعام ١٤٢

سورة الأعراف ٢٩٨

سورة الأنفال ٤٤٩

سورة التوبة ٥٠٩

• المحتويات ٦٥٣